المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

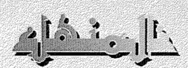
العدد (٥٦٠) المجلد (٦١) العام [٦٥] جمادى الاولى والاخرة ١٤٢٠ هـ ـ سبتمبر واكتوبر ١٩٩٩م

الأنصاري وتجربته في الصحافة

الحوار المفتوح هو الحل

- مفهوم «لدن» في القرآن الكريم
- الضرائر الشعرية في النحو العربي
- العميد .. وانتصار النموذج الاوروبي
- المرأة العاملة
- العلاقة الصحيحة تأخذ مكانها في الضوء

البيئة .. مطلب حضاري



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



صفاء الحياة!..

تصفو الحياة لجاهل أو غافل
عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه
ويسومها طلب المحال فتطمع

«أبو الطيب»

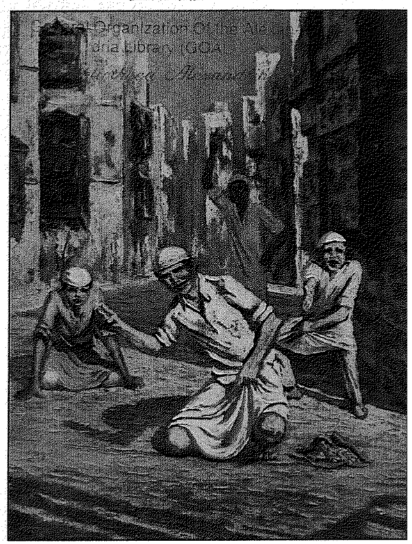
أترى في هذا القول كل الحق، أم بعض الحق وبعض الباطل؟ أما أنا فارى ان هذا القول ليس كله حقا، لا يقبل شائبة باطل. وليس كذلك باطلا لا يقبل ومضة حق.. ففيه من الحق والحقيقة اطراف. وفيه من الباطل كذلك اطراف.. ذلك اننا اذا اردنا بصفاء الحياة، صفاء شاملا كاملا، ومطردا مستديما لا يعروه كدر فذلك مالا اخال انه يتسنى حتى لجاهل، أو لغافل، أو لمغالط نفسه في حقائق الامور.. واذا اردنا بصفاء الحياة صفاءها الجزئى الموقوت الذى ليس من شأنه ان يمتد لا طولا ولا عرضا ولا عمقا، فهذا اللون من الصفاء الجزئى يناله العاقل المتأمل الواعى لشؤون الحياة ومسارب الامور، آنا، وفي لحظات وفترات محدودة خاطفة وغير خاطفة، كما يساهم فيه الجاهل بحقائق الامور والغافل عن مجاريها، والعارف بما فيها، المغالط نفسه في حقائقها، على السواء، ويعب من هذا السلسبيل ايضا فئة خامسة تمت الى اولئك بأسباب من اسباب الحياة خاصة اذا جمعتهم المحافل، وكانت هذه المحافل التى تجمعهم تتسم بالانسجام الفكرى والعاطفى وتتصف بالتجاوب النفسي وتواكب النظريات وتجانس الاهداف والآراء.. ان هذه الفئة المقصودة هنا هم فئة الادباء.. فهم اذا وفق فريق منهم متجانس الاتجاهات الى الاجتماع استحال اجتماعهم هذا الى روضة عبقة بالسعادة وبصفاء الحياة ولمعانها واشراقها، فتراهم يجولون في كل مجال، ويطيرون مغتبطين في كل جو، ويحلقون.. وفي تلك الساعات تنال ارواحهم المثالية الوانا من صفاء الحياة وبهجتها واشراقها مالا يكاد يصفه بيان.

«عبدالقدوس الأنصاري»

جمادى الآخرة ١٣٧٦هـ/ يناير ١٩٥٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

حرف ولون



اللوحة للفنان : ضياء عزيز ـ السعودية

الحياة .. لحظات ما قبل النهاية .. واللحظات تختلف .

اشــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ. د / عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة
هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها

غلاف العدد

طبع بمطابع
شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر
جدة - تليفون ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس ٦٣٩١٠٠٣

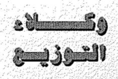


العدد: (٥٦٠)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)

الفهرس







الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ -
الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ -
شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

فقرات مستلة

** بانتشار حركة الصحافة بدأت تبرز معالم النهضة الادبية والفكرية واضحة.

(يحى محمد يحى) ص ١٠

** الحوار المفتوح هو الحل الوحيد القادر على امتصاص التوتر في عالمنا العربي.

(د٠محمد عمارة) ص ٣٦

** جاء كتاب (مستقبل الثقافة في مصر) ليكون وثيقة اعلان انتصار النموذج الأوربي).

د٠ عبد الحميد ابراهيم ص ٤٠

** الحفاظ على البيئة، حفاظ على حياة معافاة.

(ملف البيئة ص ٥٩)

** (في الشعر الجاهلي) لم يكن السبب المباشر في فصل العميد٠٠!!

د٠ محمد رجب البيومي ص ١٢٠

** الاعتدال ٠٠ النتيجة المثلى لتجربتي في الصحافة ٠٠

عبد القدوس الانصاري ص ١٣٢

** العلاقات الصحيحة تأخذ مكانها في الضوء.

د٠ ام عمرو ص ١٥٢

منهليات

صرعات المحبين

**** في عالم الكرة٠٠**

عشرات الآلاف، تدافع وتزاحم واصطراع في الدخول.
صراخ وضجيج وهيستريا في التشجيع.
اقتتال وتحارب، ودماء وجرحى، إذا ما حمي الوطيس.
هل قانون اللعبة يقول بهذا؟ أم انه اصطراع (خارج النص)٠٠؟

أليس في ميادين حياتنا ما يستحق أن تُصْرف إليه هذه الطاقة الجبارة من الحيوية والنشاط والتدافع٠٠ منقطع النظير؟٠

**** في عالم الغناء٠٠**

عند مشاهير المغنين، تزدحم الصالات بمحبيهم وعشاق فنهم.
آلاف الآلاف من البشر، لا تجد بينهم موقع قدم.
يرددون، يرقصون، يصفقون، بل يُصعقون!
عندما توفي أحد مشاهير الغناء، هلك في إثره منْ هلك!
وكثير منهم نقل الى المستشفيات في حالات اغماء!٠
تُرى، أي نوع من الصرْع هذا٠٠؟!

**** حتى في عالم المتصوفة٠٠**

نعم ٠٠ حتى عالم المتصوفه٠٠
في حلقات الذكر، يميلون يميناً ويسارا٠
ترتفع أصواتهم ٠٠
تختلط بأصوات الطبول٠٠ يُغشى على أحدهم.
يقع على الأرض، في اغماءة، تطول أو تقصر٠٠
يسمونها (الحالة) أو (الجذبة)٠٠ إنه الصعق٠٠
ما أعجب ٠٠ وما أغرب، وما أدهش، صرعات المحبين !؟

المحرر

٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

خاص بالمنهل

أيام لا تنسى في أرض الحرمين

كنت سعيداً غاية السعادة حين تلقيت نبأ قبول مشاركتي بدراسة عن مساجد مدينة فوة وخصائصها المعمارية والفنية، في ندوة عمارة المساجد التي نظمتها كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود، في إطار الاحتفالات بمئوية المملكة العربية السعودية.

كان استقبال المشاركين في المؤتمر في مطار الملك خالد بالرياض حافلا، وترك الوقت الذي انتهى فيه مرافقونا من الاجراءات المعتادة، فرصة لنا لتأمل عمارة هذا المطار الذي اكتسب شهرة دولية.

كان مرافقونا هم طلبة كلية العمارة والتخطيط تبرعوا بجهدهم ووقتهم لصالح تنظيم هذا المؤتمر، فقد بذلوا أقصى ما في جهدهم لراحة الضيوف.

اتيح لنا يوم نظم لنا خلاله زيارة لمهرجان الجنادرية، وشدنا التنظيم الشديد للمهرجان، خاصة المنطقة التي تضم الحرف التقليدية، والعمارة التقليدية بكافة مناطق المملكة الممثلة في المهرجان.

وفي المساء بدأت جلسات الندوة وقد صاحبها معرض لعمارة المساجد، ضم نموذجين لتطور عمارة الحرمين عبر العصور، وشدني في المعرض نشاط الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك في إعمار مساجد البوسنة التاريخية والحديثة. ومثل هذا المشروع يساعد على تثبيت الهوية الإسلامية، للمنطقة، وإعادة الثقة لمسلميها، وكذلك إقامة جسور للتواصل بينهم وبين المسلمين في شتى أنحاء المعمورة، ومن أبرز مشروعاتها، مسجد إيفي في زينتسا، ومسجد مجاس في توزلا، ومسجد فينستيا في بيهاتش.

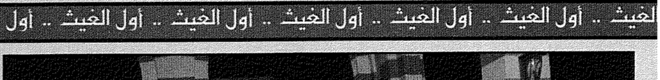
ولفت انتباهي أيضا برنامج الأمير سلطان بن عبد العزيز للعناية بالمساجد، وهو يهدف الى المحافظة على المساجد القديمة بالملكة العربية السعودية وترميمها، وأهمية هذا البرنامج تعود لكون المساجد وثائق تاريخية على قدر كبير من الأهمية. ويجرى في اطاره مسح لجميع القرى والمدن وتسجيل مساجدها ورفعها معمارياً ثم القيام بترميمها.

وقدمت مؤسسة التراث ومكتبة الملك فهد في المعرض ما معها من صور قديمة للحرمين في اطار مشروع الأرشيف الوطني للصور التاريخية، وهو أرشيف متخصص تقوم مؤسسة التراث بالعمل على إنشائه، لصالح مكتبة الملك فهد الوطنية.

وكانت جلسات المؤتمر موزعة بين قاعات الجامعة، وشهدت العديد من الأبحاث الجديدة، خاصة في عمارة مساجد جنوب شرق آسيا، مثل مساجد ماليزيا وأندونيسيا، وقدم الدكتور على أبو غنيمة دراسة تقويمية للمركز الإسلامي في روما، الذي يعد تحفة معمارية جمعت بين أصالة العمارة الاسلامية والعمارة المعاصرة بينما شد الدكتور عبد الستار عثمان انتباه الحاضرين ببحثه عن الأحكام الفقهية وعمارة المساجد.

وقدم الدكتور عبد العزيز الدولاتلي محاضرته عن جامع الزيتونة بمدينة تونس، فالزيتونة ساهمت منذ تأسيسها كمسجد وجامعة من أعرق الجامعات التي عرفتها البلاد الاسلامية، في تركيز القيم ونشرها

اعداد : د . خالد عزب
- مصر -





افتتاح معرض ندوة عمارة المساجد



افتتاح ندوة عمارة المساجد بجامعة الملك سعود

بافريقية والمغرب، ويعود البناء الحالى لجامع الزيتونة الى العصر العباسي. وظلت الإضافات تتوالى على هذه المؤسسة حتى القرن الماضي.

وشهدت كلية الآداب واحدة من أكثر جلسات الندوة ثراءاً بالمناقشات، في محاضرة كل من الدكتور محمد زينهم والدكتور عمرو الجوهرى عن مشروع ترميم الجامع الأزهر. واتسمت المناقشات بقدر كبير من الاحترام المتبادل، بل والمستوى العلمي الرفيع، وهو ما جعل لهذه الجلسة صدى واسعاً داخل أروقة جامعة الملك سعود.

كما شهدت كلية الآداب عرضا شيقا من فيروز أشرفى لمساجد أوزبكستان، خاصة في مدينتى بخارى وسمرقند. وقدم الدكتور حسام مهدى دراسة عن مساجد الكويت التراثية وهى الاولى من نوعها عن هذه المساجد، ولفت الانتباه الى بعض خصائصها، واهتمام اليونسكو بها من خلال مساعدة الكويت على توثيقها.

زخرت الندوة بـ ١٥٠ بحثا في شتى تخصصات عمارة المساجد بدءاً من الأحكام الفقهية التى تصوغها حتى المساجد التراثية وتوثيقها الى التصميم المعمارى الى دراسة أثر المسجد على محيطه العمراني، عشرة مجلدات ضمت أبحاث هذه الندوة، جعلت منها موسوعة لا غنى عنها للمعماريين والأثريين العاملين في حقل تصميم ودراسة عمارة المساجد.

وأعقبت - ثلاثة أيام - هى أيام الندوة، جولة خاصة لنا نظمها طلاب الدكتور محمد عبد الستار عثمان الذى عمل خمس سنوات في قسم الآثار بجامعة الملك سعود الى المتحف الوطنى ودارة الملك عبد العزيز وقصر المصمك ولفت انتباهنا وجود العديد من التقنيات الحديثة للعرض المتحفى في هذه الأماكن.

وتستطيع أن تتوقف كثيراً أمام المتحف الوطنى الذى يقع في الجانب الشرقى لمركز الملك عبد العزيز التاريخي، ليكون معلما وطنيا يساهم في إثراء عشر قاعات ومنها قاعة الممالك العربية القديمة وقاعة العصر الجاهلي وقاعة الانسان والكون، وتتنوع معروضات المتحف لتشمل المواد والقطع الأثرية والوثائق والمخطوطات ولوحات العرض ومجسمات المدن بالاضافة الى وسائل العرض الالكترونية.

وغادرنا الرياض بعد ذلك الى مكة المكرمة والمدينة المنورة لأداء مناسك العمرة، حيث استضاف خادم الحرمين الشريفين المشاركين في الندوة لأداء العمرة على نفقته، ومن هناك توجهنا الى جدة حيث عاد المشاركون الى بلادهم.

أطلس المملكة العربية السعودية

خلال قرن من الزمان في مسيرة الخير والنماء والعمران، سجلت المملكة العربية السعودية اسمها بأحرف من نور على جبين التاريخ.. وحققت نهضة حضارية في كل المجالات.. وهذا ما ينبغي توثيقه للتاريخ وللأجيال، كأنموذج يحتذى، وسبيل يسلك ويشاد به.

بمناسبة مئوية المملكة جاء أطلس المملكة العربية السعودية واحداً من ادوات التوثيق ووسائله التى أعدتها ونشرتها الهيئات المختصة.

هذا الأطلس تعاونت على اعداده وطباعته ونشره الأمانة العامة لمئوية المملكة، ووزارة التربية والتعليم ودارة الملك عبد العزيز.

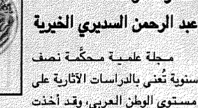
وهو تعريفي توثيقي احتوى على ثلاثة عشر باباً تحدثت عن: موقع المملكة ومراحل تكوينها، وخارطتها الجغرافية التى شملت المظاهر الطبيعية والجيولوجية، والتربة والمعادن، والامطار والمناخ، والموارد المائية والسدود، والزراعة.. السكان، عددهم وتوزيعهم، والكثافة السكانية والتركيبات النوعية، الموارد الحيوانية والسمكية، والمحميات الطبيعية، التكوين الاقتصادي للمملكة وموارد الدولة الاقتصادية، البترول، المعادن، الزراعة، التجارة، الصناعة وغيرها. وما يتبع هذا من نقل ومواصلات وطرق..

النهضة التعليمية في المملكة، النهضة الرياضية..

غلاف الأطلس الجديد

وقبل هذا كله، وفي مقدمة هذا السفر التوثيقي كان الحديث عن الحرمين الشريفين من حيث توسعتهما العمرانية، وعن المشاعر المقدسة والعناية بها، وعن الحجاج والزائرين والمعتمرين، والاهتمام الكبير براحتهم جميعا.

أدوماتو .. مجلة متخصصة بالدراسات الآثارية في الوطن العربي



تصدرها مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية

مجلة علمية محكَّمة نصف سنوية تُعنى بالدراسات الآثارية على مستوى الوطن العربي، وقد أخذت المجلة اسمها من الاسم القديم لمدينة «دومة الجندل».. إحدى أبرز المواقع الأثرية في الجزيرة العربية.

مجالات النشر:

- الأبحاث والدراسات العلمية عن الكشوفات الآثارية في العالم العربي.
- دراسات عن الآثار في العالم العربي.
- قضايا المصطلحات الآثارية.
- مراجعة الكتب الحديثة في حقل الآثار.
- تقارير عن الندوات والمؤتمرات العربية والعالمية حول آثار العالم العربي.

العدد الأول:

ستصدر المجلة كل ستة أشهر في يناير ويوليو من كل عام، وسيصدر العدد الأول ـ إن شاء الله ـ في شوال ١٤٢٠هـ الموافق يناير ٢٠٠٠م.

والمجلة موجهة بشكل خاص إلى: الآثاريين، الأنثروبولوجيين، المؤرخين، البيئيين، مؤرخي الفنون.

هيئة التحرير:

- أ.د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري ـ رئيسا.
- د. خليل بن ابراهيم المعيقل ـ عضوا.
- د. عبد الله بن محمد الشارخ ـ عضوا.

الاشتراك السنوي (شاملا أجور البريد):

* **في العالم العربي:**
- الأفراد ٧٠ ريالا سعودياً (٢٠ دولاراً أمريكياً).
- المؤسسات ١٢٠ ريالا سعودياً (٣٥ دولاراً أمريكياً).

* **خارج العالم العربي:**
- الأفراد: ٣٠ دولاراً أمريكياً
- المؤسسات: ٤٠ دولاراً أمريكياً.

عنوان المراسلة:

مجلة أدوماتو ـ ص.ب ١٠٠٧١ ـ الرياض ١١٤٣٣ ـ المملكة العربية السعودية.

هاتف: ٤٠٣٦٧٨٠ (٩٦٦١ +) ـ ٤٠٣٤٧٥١ (٩٦٦١ +)

فاكس: ٤٠٢٢٥٤٥ (٩٦٦١ +).

بريد إلكتروني: adumatu @ suhuf.net.sa

المؤتمر الأول للشعر العربي

في مدينة (فاس) بالمملكة المغربية وبحضور جمهرة من الادباء والشعراء والنقاد العرب، جاءت اعمال المؤتمر الأول (للشعر العربي).

المؤتمر في مجمله نظرة ووقفة تأملية في واقع الشعر العربي وما وصل إليه من قدر كبير من الفوضى، في الموضوع المطروح وفي أسلوب الأداء، حتى غدا في كثير من أحواله (خبط عشواء) أو (حاطب ليل).

تبحث عن موضوع للقصيدة، فلا تجد شيئا، تبحث عن موسيقى أو نغمة شعرية، فلا تعثر على شيء. تبحث عن مسمى لهذا الذي بين يديك، فتحار فيه.

الكل يعلم أن الشعر قيمة انسانية، ينفعل بها الشاعر وتتعامل مع وجدانه وأحاسيسه، ويكون الناتج (قصيداً) يكون هو النغمة الجميلة الخالدة الرائعة التى تغمر وجدان الانسان وتتفاعل معه.

وكم يود الانسان ان يجد نفسه في هذا القصيد.. وكم يود ان يجد من يعبر عن كوامنه ودواخله وما يجيش في انحاء نفسه، يحمل عنه أناته وآهاته، وما يعاني.

حقيقة، كما افتقد الشعر المعاصر كثيراً من موضوعاته افتقد ايضا جمالياته، وهي أسّ الشعر وجوهره.

ما اكثر القضايا المطروحة على ساحة الشعر اليوم. على مستوى عالمنا العربي والاسلامي، قضايا مصير الأمة وهويتها، قضايا ثقافتها وفكرها، قضايا توحدها وتلاقيها.

كلها تحتاج لـ (القصيد) الذي يحمل عنها الراية، انسان اليوم، هو أودية القصيد الحق.

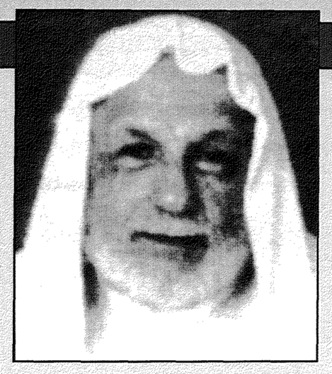
هذا المؤتمر الاول للشعر العربي، بهذه الصيغة التي انعقد عليها نحسبه، نقطة انطلاق للتصحيح، تصحيح يواكب ويجاري هموم الامة، وأحداثها الضخام.

محمد السمان ـ السودان ـ

وفيات الأعيان

الشيخ العلامة علي الطنطاوي

(١٩٠٩ - ١٩٩٩م)



في مساء الجمعة الرابع من ربيع الاول ١٤٢٠هـ، الموافق للثامن عشر من يونيه/ حزيران ١٩٩٩م، انتقل فضيلة الشيخ العلامة علي بن مصطفى الطنطاوي إلى دار البقاء، في رحمة خالقه.

شيخ جليل فاضل، مُلِيء علماً وفضلا ، وحلما .

عالم في موسوعية متفردة في زماننا هذا، عامل بعلمه، داعية مصلح، يحمل منطق الاقناع، وعاطفة المحب، وكياسة الحكيم، فلا تغادره أو يغادرك في مشكلة طرحت عليه إلا وقد امتلأ قلبك منه اعجابا واحتراما.

يملك الكلمة، ويملك مقدرة الايصال، هكذا عاش عمره، داعية خَيْر.

كانت كلمته (قولا أو كتابة) مدوية في الآفاق انتصاراً لهذا الدين في وجه خصومه، وفي وجوه المرجفين، لا تأخذه في الحق لومة لائم.. كان قوياً في قول الحق من غير تجاوز، كما لا يحب الظلم، فهو عدل في خصومته أو دفاعه.

نشأ في بيت علم وفضل، واضاف للفضل فضلا وللعلم علما.

يقول عنه فضيلة الشيخ العلامة الفقيه الدكتور يوسف القرضاوي: إنه أديب الفقهاء، وفقيه الأدباء، كان موسوعي الثقافة، مشعلا من مشاعل الهداية، ونجماً من نجوم التنوير ولساناً من ألسنة الصدق، وداعية من دعاة الحق والخير والجمال، وكان يجمع في عظاته بين العلم والادب أو بين الاقناع والامتاع.

جند الشيخ طوال عمره قلمه ولسانه للذود عن حياض الاسلام، وحراسة قلاعه من المغيرين عليه من أعدائه الصرحاء المكشوفين من الصهاينة والصليبيين والشيوعيين وأمثالهم، أم من المقنعين الذين يلبسون لبوس المسلمين ويتسمون بأسماء المسلمين، وليسوا على شيء من هذا الدين، وهؤلاء هم الأشد خطرا حينما ظهرت فتنة (القومية العربية) لتكون يوما بديلا عن الاسلام، وتكون مصدر ولائهم وانتمائهم بدل الولاء للاسلام، والانتماء للاسلام.

حينئذ وقف الشيخ الطنطاوى في وجه هذه الدعوة المضلة وكشف زيفها وباطلها وسجل في ذكرياته موقفه من هذه الدعوة وخصوصا بعد أن ارتبطت بدعوة اخرى هى دعوة الاشتراكية الثورية.

يعتبر الشيخ الاعتزاز باللغة العربية التى هى لسان الاسلام جزءا من الاعتزاز بالدين وبالذاتية الثقافية والهوية الحضارية للأمة ويرفض استخدام الكلمات الدخيلة المنقولة من اللغات الاجنبية الا بعد تعريبها أو ايجاد البديل لها كوصفه كلمة (الرائى) بدل كلمة (التلفزيون) وكلمة (الراد) بدل (الراديو) كما عرب كلمة (الكيلو) بـ (الكيل) وغيرها.

ومن هنا دافع الشيخ عن الفصحى دفاعه عن الاسلام، ودافع عن الأدب الراقي وقاوم الأدب السوقي

ودافع عن الشعر العمودي شعر العرب ذي الوزن والقافية ووقف ضد هذه البدع (الموضة) المستوردة مما يسمى الشعر الحديث.

ولد الشيخ علي الطنطاوي في مدينة دمشق في ٢٣ جمادى الاولى ١٣٢٧هـ (١٢ حزيران ١٩٠٩م) من أسرة علم ودين فأبوه الشيخ مصطفى الطنطاوي من أهل العلم، وجده الشيخ محمد الطنطاوي عالم كبير. وخاله الاستاذ محب الدين الخطيب الكاتب الاسلامي الكبير والصحافي الشهير.

تلقى تعليمه في دمشق حتى تخرج من جامعتها في الحقوق والآداب عام ١٩٢٢م.

وتدرج في الوظائف التعليمية والقضائية حتى بلغ فيها مكانة عالية، وقد درس في كلية دار العلوم في مصر وكان زميلا للأستاذ سيد قطب - رحمه الله.

كانت له مواقف محمودة في مقاومة الاستعمار الفرنسي أيام طلبه العلم ثم في المراحل التالية من عمره، ثم درس في العراق سنة ١٩٣٦م ورجع الى بلده فلم يلبث ان انتقل الى القضاء فكان القاضي الشرعي في دوما، ثم مازال يتدرج في مناصب القضاء حتى وصل إلى أعلى تلك المناصب. وكان قد ذهب الى مصر لدراسة أوضاع المحاكم هناك. ثم هاجر الى المملكة العربية السعودية ١٩٦٢م فعمل في التدريس في كلية اللغة العربية وكلية الشريعة في الرياض ثم انتقل الى التدريس في كلية الشريعة في مكة المكرمة ثم تفرغ للعمل في مجال الاعلام وله برنامج إذاعي يومي بعنوان (مسائل ومشكلات) وبرنامج تلفزيوني أسبوعي بعنوان (نور وهداية).. ولتفانيه في خدمة الاسلام والمسلمين، فقد نال جائزة الملك فيصل العالمية.

يعد الشيخ علي الطنطاوي أحد رموز الدعوة الاسلامية الكبيرة في العالم الاسلامي وشخصية محببة ذائعة الصيت نالت حظا واسعا من الشهرة والاعجاب والقبول وله سجل شرف في خدمة الاسلام والمسلمين فالشيخ علي الطنطاوي استطاع ان يجمع جمعا قويا بين الثقافتين الإسلامية العربية من جانب، والحديثة المعاصرة من جانب آخر، مما جعله قنطرة فكرية مقبولة من الفريقين الى حد كبير.

ثم انه يتمتع بأسلوب سهل جميل جذاب لا يكاد يشبهه فيه أحد، يمكن ان يوصف بأنه السهل الممتنع، فيه تظهر عبارته أنيقة مشرقة، فيها جمال ويسر فضلا عن الصحة والسلامة، وهذا ما جعله يستطيع ان يعرض أخطر القضايا والافكار بأسلوب يطرب له المثقف ويرتاح له العادي، ويفهمه من نال أيسر قسط من التعليم.

عرف بعلمه وحلمه:

يقول فضيلة الشيخ مجاهد محمد الصواف - الذي رافق فضيلة العلامة الشيخ علي الطنطاوي يرحمه الله منذ كان في العاشرة من عمره.. وللشيخ رحمه الله مواقف في مؤتمر القدس ومواقف من قضية فلسطين في سبيل فلسطين قام العالم الاسلامي الطنطاوي وزار العالم من أجل العمل على انقاذ الشعب الفلسطيني وتحرك بقوة بالرغم من حيائه وخجله ورغم انه لا يريد الظهور في الصحافة وغيرها ولكن كان لابد لمن هو مثله ان يقدم كل ما يقدر عليه لخدمة أمته.. والشيخ كان من أول المشايخ الذين بلغوا الدعوة عن طريق التلفاز والكل يعلم ذلك وله مآثر كثيرة لا ندري من أين نبدأ وأين ننتهي في ذكرها؟. وله مواقف مشرفة في كل المآسي التي يتعرض لها المسلمون.. كان يبكي رحمه الله على ما يحدث للمسلمين في البوسنة والهرسك وفي كوسوفا.

هدوء الشيخ وعصريته وفهمه لما يجري في العالم وارتباطه العميق بالدعوة الى الله والتزامه في ذلك بالقرآن والسنة ورأي اصحاب السلف مكنه من طرح مواضيعه وما يهدف اليه من نشر التوعية والدعوة.

ألا رحم الله الشيخ الداعية المصلح، الشيخ علي الطنطاوي، وأحسن نزله، ووسع مرقده، وجعل الجنة متقلَّبه ومثواه، والهم آله وذويه ومحبيه الصبر، وحسن العزاء.

الخصوصية والآفاق

مدخل عام:

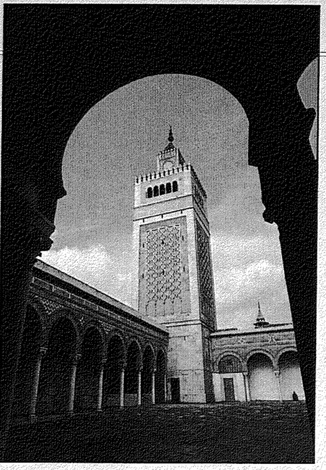
الحديث عن الكتابة القصصية والروائية في تونس يرتبط بداهة بتاريخ تطور الادب والعلم، خاصة ما شهده هذا الجنس الادبي الراقي من تغيرات فكرية ومنهجية عبر شتى العصور، واصل فيها نحت الجسور بين البلاد العربية وغيرها مما زاد في تعميق البحث في هذا الخصوص بضرورة معرفة التداخل والتمازج في الخطاب الادبي الغني بين خصوصية وأخرى، في مراحل مختلفة تستقطب الدارسين بحثا عن الجذور المميزة في هذه الكتابة النوعية، وذلك ما نحرص على محاولة الالمام به وبشتى الجوانب ولو لماماً في هذه الومضة الادبية عن مدرسة افرزت الكثير من الاجيال والتيارات كما سنرى.. لهذا بات من الضروري اعطاء بعض العلامات عن الادب التونسي عامة كاشارات تسمح باعطاء فكرة عامة عنه، وعن الادب القصصي والروائي وفق ما يلي:

- ان تميز جيل الوثبة الادبية والاجتماعية في تونس بجذوة النضال املا في الخلاص والتحرر من ربقة التبعية الاستعمارية المفروضة خاصة في اعقاب انهيار الخلافة العثمانية الى غير ذلك من مختلف العوامل، يُعدّ من المؤثرات التي تطلبت انبثاق رؤية ادبية وفكرية تمد الجسور نحو وثبة العالم العربي والاسلامي، لا سيما سعي المغرب العربي في نحت الوصل والتواصل وربط الصلات العلمية والادبية في ضوء اعتزاز هذا الجزء الحساس من الوطن العربي والاسلامي باللغة العربية هوية وامتداداً كما وضّح ذلك العلامة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور[١] في كتابه: (الحركة الادبية والفكرية في تونس) من خلال الدور العظيم الذي اضطلعت به الجامعة الزيتونية والمعاهد العلمية الجليلة - كالمعهد الصادقي - والعلوي - والمدرسة الخلدونية، التي اسهمت في تطوير الحركة العلمية والادبية ابان انتشار حركة الطباعة والصحافة والنشر وانبعاث الحركة الاصلاحية، ونشأة ادب الرحلات الذي أسس نظرة اخرى في مجال الاعتناء بالتحرير الادبي كما جاء في (صفوة الاعتبار) للشيخ محمد بيرم - و(الرحلة الحجازية) للشيخ محمد السنوسي - وكلاهما يحتل منزلة ادبية هامة في التحرير السياسي، والتعبير الادبي والعلمي.. ومتانة اللغة الادبية والروحية اعتباراً الى خصوصية الكتابة مع هذا الجيل الادبي والعلمي الذي ما انفك يبحث عن تواصل الوعي الروحي والقومي منذ أوائل (القرن العشرين) كركيزة ننطلق منها مع ما لغيرها من اضافات تاريخية وفكرية لا شك لها شأنها في بلورة منهج - الكتابة الفنية - مع جملة من الدوافع والمؤثرات والحركات مع طائفة الاصلاحيين بريادة الوزير خير الدين - وقبادو - وبوحاجب - والبشير صفر وصفوة **الشباب في تلك**



اعداد : يحيى محمد يحيى
- تونس -

جمادى الاولى والآخرة ١٤٢٠ هـ - سبتمبر واكتوبر ١٩٩٩م



- جامعة الزيتونة.

المرحلة لا سيما عند نشأة الحركة الوطنية التي عمقت الاحساس بالتحرر والتطور وربط الصلات العربية الاسلامية ومع العالم الخارجي بصورة أشمل! وبانتشار حركة الصحافة السياسية والادبية انتشر الاحساس بالوعي العقلي والاصلاح الاجتماعي وبدأت معالم النهضة الادبية تبرز واضحة عبر تجديد سبل التحرر من ربقة الاستعمار الفرنسي الجاثم على البلاد منذ عام ١٨٨١[٢].

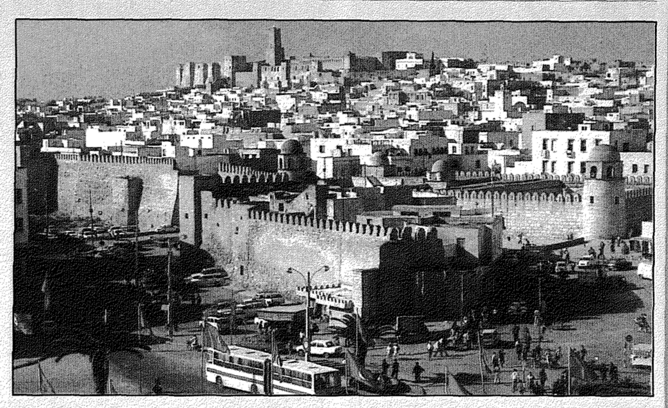
حيث نحت التعليم طرائق جديدة لتحسيس الشباب بواقع الوطن ومستلزمات تحرره بواسطة المقالات الصحفية والادبية وحركة الجمعيات الثقافية فساهمت الصحافة - رغم موجة التعطيل والمصادرة - التي قام بها الاستعمار الفرنسي - في احكام المعرفة ونشرها عبر فضاء (المدرسة الخلدونية) التي كانت منبراً لاشاعة الوعي الفكري والوطني والقومي.

الكاتب في سطور

- عضو مؤسس لنادي القصة (النادي الثقافي - ابو القاسم الشابي ١٩٦٤).
- عضو مؤسس لاتحاد الكتاب التونسيين - في السبعينيات - .
- عضو مؤسس للنادي الثقافي (على البلهوان) في السبعينيات.
- سكرتير تحرير مجلة «اللغات» التونسية ١٩٦١/٦٠.
- رئيس الجامعة التونسية لمسرح الهواة ورئيس تحرير مجلة «مسرح» ٨٣/ ١٩٨٧.

مؤلفاته:

- نداء الفجر - مجموعة قصصية - الدار التونسية للنشر ١٩٦٠ - اعيد طبعها عديد المرات ، طبعة (١١) دار شوقي ١٠٩٧.
- حوار في الظل - مجموعة قصصية - دار الكتب الشرقية بتونس ١٩٧٣.
- نوافذ السرداب - رواية - منشورات المؤلف ١٩٧٩.
- احاديث النسيان - رواية - منشورات قصص ١٩٧٧ - اعيد طبعها ١٩٩٢.
- زمن الغياب - مجموعة قصص - منشورات المؤلف ١٩٨٤.
- زاد الوفاء مجموعة مقالات - منشورات المؤلف ١٩٨٥.
- في الدرب المسرحي - دراسة عن مسرح الهواية - منشورات المؤلف ١٩٨٨.
- نفق الطوفان - رواية - منشورات المؤلف ١٩٩٠.
- اولاد الحومة - رواية - منشورات المؤلف ١٩٩٤، (١٠) زمن الحظ - مجموعة قصص ١٩٩٦.



- صورة عامة (تونس)

كذلك فضاء (جمعية قدماء الصادقية) حيث اهتمت بالمحاضرات الادبية والتاريخية بريادة ثلة من المؤرخين والادباء - امثال - حسن حسني عبد الوهاب - عثمان الكعاك - محمد بن حسين - محمد العربي الكبادي - عبد الرحمن الكعاك - محمد الشاذلي فزندار - مصطفى الكعاك - الشيخ مناشو - محمد الحبيب - زين العابدين السنوسي - صاحب مطبعة (العرب) بمدينة تونس - الشيخ الامام الطاهر بن عاشور - احمد توفيق المدني - الشيخ الخضر حسين - محمد المنصف المستيري - محيي الدين القليبي - عبد العزيز الثعالبي وغيرهم.

مع البدايات:

من المعلوم ان مرحلة بدايات القصة التونسية كانت مع المجلات الادبية - كالعالم الادبي - وغيرها مقترنة بفترة الكتابة الفنية في الرواية والمسرح وشتى الفنون، غير ان القصة التي لها تياراتها الفكرية والمذهبية امتازت انئذ بالترجمات والاقتباسات - مثل - اهتمام محمد العربي الجلولي (١٩١٢) بنقل قصة (فيدورا) عن الكاتب الفرنسي (فيكتوريان ساردو) متعاونا مع محمد الجعايبي في نسقها الفني، وحسن سبكها عربية، الى غير ذلك من اوجه اهتمام بعض الكتاب بالقصص الروائي عبر موضوعات التضحية والامانة والعاطفة الانسانية والوفاء، وما الى ذلك.

اي مسايرة للاحداث الواقعية مع تخيل الشخوص وابراز الاحداث كاهتمام - محمد الحبيب - بالكتابة الروائية اقتباساً من «حدث تركي» تأثر به .. والاستاذ محمد مناشو - وعثمان بن الخوجة - واحمد خير الدين - كذلك (السهرة الاخيرة في غرناطة) مع الكاتب والمؤرخ الكبير حسن حسني عبد الوهاب (والهيفاء وسراج الليل) لصالح سويسي - القيرواني - ورواية

جمادى الاولى والآخرة ١٤٢٠ هـ - سبتمبر واكتوبر ١٩٩٩ م

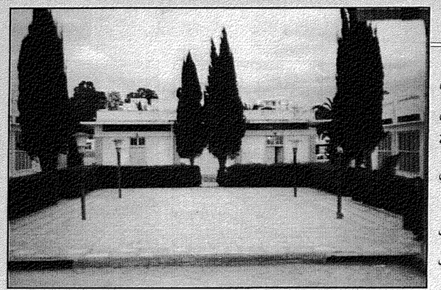
(الساحرة التونسية) للصادق الرزفي[٣] وكثيرة هي النصوص التي تتصل اولا بالكتابة الفنية القصصية والروائية. لكن مع ذلك تظل في المفهوم الادبي أول مرحلة اضاءت هذا الدرب مع المراحل اللاحقة التي طورت القصة التونسية كما سنرى ـ لذلك اقتصرنا على بعض الملامح والاشارات فقط. لأن البدايات اشمل من ان تحصر وتحدد في مقال!.

المنحى الاجتماعي: (١٩٠٥ / ١٩٣٠):

يشير الاستاذ رضوان الكوني[٤] الى دلالات مختلفة في هذا الاتجاه اذ **تأثر كتاب الادب التونسي في تلك المرحلة بالبعد الاجتماعي باسلوب يغلب عليه النمط الاخلاقي والسلوكي تجاوباً مع شتى الظواهر التي تسود العلاقات الاجتماعية في مجتمع ما.**

قصص هذا الاتجاه عديدة منها:

فظائع المقامرة ترجمة ابراهيم بن شعبان ـ عن شريط سينمائي. وقصة (آخر بني سراج) لشاتو بريان. ترجمها محمد المشيرقي. وغير ذلك من انماط الكتابة الاجتماعية التي كان جيل البدايات يختارها عن قناعة ثقافية وفق ما يقتضيه العرف، والمعرفة المحدودة انذاك بهذا الفن، كما يلاحظ الاستاذ الكوني في كتابه الى المراحل الموالية مشدداً علي أن التوجه القصصي بدأ مع مجلة (العالم الادبي) لصاحبها الاديب زين العابدين السنوسي خلال فترة الثلاثينيات، ثم ابتدأت المرحلة الفنية بداية من (١٩٦٠) وما اليها حيث توزعت الكتابة القصصية منذ الخمسينيات بصورة مسترسلة في الصحافة والمجلات التونسية ـ الفكر ـ الندوة ـ



ـ نادي القصة.

وغيرهما وعبر جائزة «علي البهوان» لبلدية تونس. ووزارة الثقافة.

الكتابة الفنية:

يمكن ان نعتبر هذه الكتابة عند الاديب محمود المسعدي من خلال نصه: (السد) أو نصه «حدث ابو هريرة» هي كتابة الانموذج ذات لغة عربية متمكنة من جزالة العبارة ودقة الاسلوب ومجانسة الحداثة.. لذلك يعتبر المسعدي رائد جيل الكتابة الفنية بلا منازع. كما ان «علي الدوعاجي» في: «سهرت منه الليالي» وغيرها يحتل نفس الموقع في نوعية كتابته الفنية وبساطة اسلوبه المتميز بالشاعرية الاجتماعية التي تغترف من معين المجتمع ونهره الذي لا ينضب.. كما نجد في نفس نسقه الكاتب ـ محمد المرزوقي ـ الذي امد الموروث الاجتماعي والتاريخي بكتابة واعية تهافتت عليها الوسائل السمعية والمقروءة وقدمتها كانموذج للكتابة الاجتماعية.. ثم يأتي الكاتب محمد العريبي في (الرماد) ضمن التيار الواقعي الذي يندرج فيه عديد الكتاب في طليعتهم الاديب الكبير محمد العروسي المطوي من خلال نصيه: حليمة ـ التوت المر ـ



- علي الدوعاجي.



- د. عز الدين المدني

وغيرهما - والبشير خريف - في (حبك درباني) و(الدقلة في عراجينها) و(برق الليل) وما الى ذلك! كما يعتبر الكاتب - عز الدين المدني - ضمن التصنيف الفني بمعية ثلة كبيرة من اجيال - نادي القصة - بتونس. كما يتبين لاحقا.

لعل من اهم خصائص الكتابة الفنية في القصة والرواية معرفة طرق ومناهج الصياغة والاسلوب المتوخى من كاتب لآخر.. مع قدرة على الاضافة والتنوع سواء في نص عادي، أو نصوص تجديدية أو تندرج ضمن الكتابة التجريبية المحتوية على اسباب التجانس والتغير في اللاقصة أو قصة القصة.. كما ان **الكتابة الفنية في نظرنا هي تنزيل الفكر الحديث منزلة جادة وفق الرؤية ونمط الفلسفة التي يختار سبيلها الكاتب عن اقتناع ذاتي ومخزون ادبي تحديثي اي معنى متغير مستبطن لشتى الطروحات والاساليب،** يحدثك النص الفني في القصة والرواية حديث العصر ولو مع الاسقاط واعادة الكتابة.

نادي القصة: مرحلة التأسيس:

نذكر لامانة البحث ان بعض المحاولات التأسيسية لبعث - فضاء ثقافي مختص - سواء بالشعراء أو بالقصاصين قد بذلت منذ الخمسينيات بصورة اخص تلك الفترة التي شهدت ميلاد عديد من الجمعيات الادبية والنوادي والمجالس الشعرية والادبية منها بصورة اوضح: مجلس شيخ الادباء محمد العربي الكبادي بتونس العاصمة - مجلس القاص البشير خريف - اضافة الى (المقاهي أو المطاعم الادبية) - مثل - نادي مقهى المغرب شارع فرنسا بالعاصمة التونسية الذي تداول على حضوره نخبة من الكتاب - منهم - عز الدين المدني - حماد السنوسي - شلفوح - الخنيسي - حنيديد - شريط - نعمان - وكاتب المقال وغيرهم.

وبعيد تأسيس (نادي القلم) ثم (رابطة القلم الجديد) واثر نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات - بذل ثلة من الكتاب - امثال: مصطفى الفارسي - البشير خريف - صالح الجابري - عز الدين المدني - السويسي - وكاتب المقال - بعض الجهود لتأسيس جمعية ثقافية تضم كتاب القصة في تونس في اعقاب احداث (نادي القصة بمصر) الشقيقة بريادة الكاتب نجيب محفوظ وصدور مجلة - القصة - هناك.. مما زاد في تفعيل السعي لاحداث النادي وفق التحرك الذي بذله الاستاذ محمد العروسي المطوي بسعي من الزميل الدكتور محمد صالح الجابري الذي تحمس للاقتراح المتضمن امكانية احتضان النادي الثقافي (ابو القاسم الشابي) بضاحية بالفي - الوردية بتونس العاصمة لنادي القصة[٥] الذي اسهم بدرجة كبيرة في التعريف بالانتاج القصصي والروائي قديمه وحديثه كما سنوضح ذلك.

التف كتاب القصة حول النادي كأعظم حدث ثقافي سجل في دفتر الحركة الادبية والفكرية التونسية تقبلته الصحافة بالترحاب حيث اقيم حفل تشريفي ضم الادباء ممن يكتب القصة أو الشعر أو المقالة بفضاء

النادي الثقافي «ابو القاسم الشابي» بالوردية[٦].
حيث ترأس نادي القصة الى يوم الناس الاستاذ محمد العروسي المطوي رفقة ثلة من اعضاء الجيل الاول: البشير خريف - رشيد الغالي - حسن نصر - محمد صالح الجابري - يحي محمد - عز الدين المدني - عبد الواحد ابراهيم - محمد منصور - احمد الهرفام - وغيرهم.. ومنذ الجلسة التأسيسية اتفق على تداول النشاط مساء كل يوم سبت بقراءة قصة أو اكثر مع نقاش حر ومسؤول.

بعد اكثر من جلسة تم التفكير في اعداد العدة لاصدار مجلة تحمل اسم (قصص) ويدأ المشوار يكبر ويكبر والاحلام تتوسع وترفل بحلول اول موعد لتحقيق اعز أمنية لكتاب هذا الفن النبيل وتشاء الصدف ان تكون - الدار التونسية للنشر[٧] أول مؤسسة للنشر باشراف وزارة الثقافة، فتحظى المجلة بدعمها ويصدر عددها الاول في سبتمبر ١٩٦٦ ويحتفل بصدوره بدار الثقافة ابن خلدون - باشراف نخبة الثقافة الوطنية واعلامها - امثال - الاستاذ الشاذلي القليبي - وزير الثقافة والاخبار انذاك والاستاذ الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور - ثم تتوالى الاعداد منتظمة الصدور، منوعة المحتوى من دراسات وترجمات وقصص قصيرة كاهتمام المجلة بكتاب مرحلة البدايات!.

لقد كانت مرحلة التأسيس مبوبة الى مزيد الاضافة والاسهام بصدق في دفع الحركة الادبية والفنية في تونس لأنها كانت المرحلة البكر خالية من محاولات القفز على الحبال، والرغبة في الطموح غير المشروع لمجرد التسلية والاطاحة بتركيبة على حساب اخرى.. في نادي القصة كان السيناريو الذي يدور في الفضاء الثقافي انبعاث الكيان وتجذير الصلة به



- احمد ممو. - رضوان الكوني.

في الداخل والخارج.. والكتابة اذ لا شيء غير الكتابة القصصية والروائية والندوات المتخصصة[٨] بهذا الاسلوب كان النادي عبارة عن مدرسة ادبية أو فضاء اكاديمي، تدون بسجلاته جلسات علمية - قصصية - نقدية - يمكن لها ان تجمع لافادة الدارسين والباحثين لا في شؤون القصة التونسية فحسب، بل العربية عامة ذلك أن هذا النادي قد استضاف الكثير من العناصر العربية اللامعة في دنيا الرواية والادب العربي والاجنبي من الشرق والغرب - وكان لا شيء يقدمه النادي لاعضائه وضيوفه - غير كأس من الشاي «المنعنع» الخفيف جداً.

نزولا عند رغبة رئيسه.. وكأس واحد لا غير! ولو احتد النقاش وسخن الحديث حول مسألة بلغ فيها التباين في الرأي ما بلغ.. غير ان «الكرم الحاتمي» تفضل واغدق على الاعضاء خلال اواخر الستينيات والسبعينيات - بصورة اخص بحفل عشاء سنوي ينضم بضاحية «حلق الوادي» اثناء الصيف يسدد من ميزانية النادي المتواضعة جداً جداً.. وهي عبارة عن محصول حقوق التأليف الجماعية بحساب (٥٠ر٠٠٠) ديناراً للعدد الواحد من مجلة (قصص) تمنحها الدار التونسية للنشر الى ان فسخ العقد معها سنة ١٩٧٤ عندها اعتمد النادي على نفسه نشراً وتيسيراً وفي هذا



- الناصر التومي



- ابو القاسم الشابي.

الخصوص سجل الكثير من الطرائف لدى الاشخاص والمؤسسات التي كان النادي يتوجه الى الجميع بغية الاشتراك باقتناء كمية محترمة من النسخ قد تصل ذات مرة الى اقل من اصابع اليد الواحدة! فيصر السيد رئيس النادي على اجابة من ذكر بالمقولة الشعبية التي تردد: «بوزيد مكسي، بوزيد عريان»!!.

مع فضاء .. الشابي:

كان النادي الثقافي «ابو القاسم الشابي» ببالغي - الوردية بتونس العاصمة أول فضاء ثقافي يشيد في الاستقلال سنة ١٩٦٢ بهمة نخبة من الوطنيين في هذه المنطقة - امثال - البشير زرق العيون - الذي تخلى عن رئاسة هذا النادي للمناضل الوطني السيد محمد بن عمارة - ثم الاديب الاستاذ الطاهر قيقة - وحاليا الاستاذ محمد العروسي المطوي الذي قبض على الرئاستين في نادي - الشابي - ونادي القصة.

وقد استقطب نادي الشابي ثلة خيرة من اهل الفكر والثقافة - مثل - الاساتذة: الجيلاني بن الحاج يحيى - الطيب العنابي المحامي - د. عبد القادر المهيري - د. محمد اليعلاوي - حمادي الساحلي - ونظم عديداً من اللقاءات الثقافية والوطنية حول قضايا وطنية وقومية - ولهندسة هذا النادي وشكله المعماري الجميل كان افضل فضاء احتضن نادى القصة عن جدارة - وادار الحوار مع مفكرين من تونس والوطن العربي - امثال - وزيرة الثقافة السورية وغيرها.

ونادي القصة استطاع ان تبلغ شهرته الآفاق!.

مجلة «قصص» ومشتقاتها:

كانت تجربة المجلة فريدة من نوعها واصلها - نادي القصة - بمفرده - بمساعدة اعضائه اولا الذين تحمسوا اولا لتأسيس شبكة من المنخرطين في المجلة ومن انصار النادي ورواده - وقد ساندت وزارة الثقافة بشراء كمية من النسخ في البداية وايضا من السلسلة التي واصلت اصدارها حتى فاقت (٢٣) كتاباً وهي عبارة عن مجموعات قصصية أو روايات - الى ان حل موعد الاحتفاء بصدور - العدد مائة - (يونيه ٩٣) وما اليه حتى سنة ٩٤ - وهي الآن تستعد للظهور بحلة اخرى لمواصلة الدور الذي اضطلعت به في الثقافة المتخصصة واعدة آفاقها بالجديد الجيد ان شاء الله.

من أسرار بقاء النادي:

انه علامة وضاءة في تاريخ الحركة الادبية والفكرية في تونس وسر بقائه يعود الى الاريحية - التسامح - المواصلة - اي لا يمكن أن توجد اسباب القطيعة والبغضاء بين الاعضاء من منطلق اعتباري وفكري.. فالمنافع فيه ادبية أولا وآخراً.. اي المادية فيه قليلة وتكاد لا توجد لأن اغلب النسخ المطبوعة تعود لأخذ مكانها بين - رفوفه الصامتة - عدا النسخ المحظوظة بالبيع أو المبادلة مع المجلات العربية والاجنبية ولدى الجامعات والكليات والموسوعات العلمية التي تشرفت بذكر النادي ومجلته ضمن «فهرسة

الاعلام» لذلك حافظ هذا النادي على هذه الكينونة مع اجيال شابة واعدة ترتقي الى الصدارة الآن. وفق نزعة التواصل لدى جيل التأسيس في مرحلته الاولى (في الستينيات) أو الثانية «في السبعينيات» وهكذا بقي للاضافة والنوعية وانارة سبيل الوافدين على النادي نخبة الفضاء - امثال: رضوان الكوني - احمد ممو - محسن بن ضياف - التابعي الاخضر - عروسية النالوتي - نافلة ذهب - وغيرهم وابتعد الكثير بحكم كثرة المشاغل أو الابتعاد عن المقر.

كما ان مختلف الهزات السياسية التي توالت على البلاد (٢٦ يناير ١٩٧٨م) - أو (٣ يناير ١٩٨٤م) أو قبلهما (٥ يونية ١٩٦٧م) لم تنل من مسيرة هذا النادي الذي يواكب مسيرة التغيير الاجتماعية والسياسية والفكرية (بعد ٧ نوفمبر ٨٧) اي أنه يواصل نشاطه الادبي سواء داخل فضاء «الشابي» أو في الندوات الثقافية المتخصصة أو في المهرجانات المختلفة واضعا اسمه في الميزان ورصيده في الآن والمستقبل الجذلان!

القصة خارج نادي القصة:

بكل امانة يمكن القول بان ساحة هذا النادي قد اسهمت في تطور القصة التونسية خارج النادي بالذات.. اي من خلال مجلته (قصص) «٦٤/٩٤» والسلسلة القصصية التي صدرت، فعملية التواصل هنا تمثل في نظرنا افضل خارطة وسعت من رقعة الاهتمام بالقراءة والنقد في الاتجاهين السلبي والايجابي وبهذه الاستمرارية برزت وجوه واعدة في النادي نفسه ومن خارجه بلا شك .. مكملة لدوره - لا متأثرة به - التأثير التقليدي الجاف - وبذلك تنوعت الصورة وتباينت المناهج والتيارات بصورة اصبح



- الشيخ محمد بن عاشور



- محمد البشير الاراهيمي



- الشاذلي القليبي.



- محمد العروسى المطوى

الانتاج القصصي والروائي عندنا لا ينحصر عند - نادي القصة - فقط بل به واليه وحوله من شتى الاضافات النوعية الجيدة - سواء - مع رضوان الكوني في (رأس الدرب) أو حسن نصر في (دار الباشا) أو مع - د. محمود بلعيد في انتاجه الغزير وغير ذلك من الاسماء - امثال - يوسف عبد العاطي - مسعودة بو بكر - جنات اسماعيل - أو مع صلاح الدين بوجاه - وميهوب - وغيرهما من خارج نادي القصة.. اي أن صورة الانتاج اليوم مطروحة للبحث والاضافة النقدية لاكثر من نص وهي علامة صحية تواصلية عامة لها اكثر من دلالة معرفية أو تزيد!

اي مع جيل الالوان الجديدة - مع محمد الجابلي - ابراهيم الدرغوثي - ابراهيم بن سلطان - من عصارة الحصة الاذاعية الشهيرة (مع ادبائنا الناشئين) بادارة

الاستاذ الجليل المنجي الشعلي - أو حصيلة المهرجان الوطني لنفس الاتجاه بريادة دار الثقافة (الطيب المهيري) بحي الزهور بالعاصمة.. وغيره من المهرجانات والملتقيات التي تراهن على الغوص في عالم القصة والرواية!.

وتصر - الكاتبات - على نوعية الاضافة في الكتابة القصصية والروائية - مع عروسية النالوتي - فاطمة سليم - حفيظة قارة بيبان - الرايس - وغيرهن وذلك من منظور لا تحديد فيه لجنس على آخر.

على ان التجربة النقدية التي اقدم عليها بعض الجامعيين - امثال - توفيق بكار - محمد صالح القرماوي - محمد صالح بن عمر - وغيرهم قد خدمت الكتابة النصية الفنية تنوعت بها واليها القراءة ككتابة ثانية اضافة الى جهود - الاستاذ رشاد الحمزاوي الروائية والنقدية كذلك الاستاذ محمد الهادي المطوي الذي خصص تأليفا عن الرؤية النقدية عند محمد العروسي المطوي [٩]، وهو كتاب يستحق الذكر.

من القصة واليها:

لابد من الاشارة الى بعض رموز مرحلة التأسيس السالفة الذكر مع الاستاذ سمير العيادي الذي تحول الى - المسرح - انتاجا وتمثيلا واخراجاً وهو الكاتب الذي واصل النشاط التأسيسي للنادي ثم تخلى عنه لماماً. مفضلا طرق ابواب الشهرة في المسلسلات التلفزيونية والسينمائية - كما فضل - محمود التونسي - الاستاذ الرسام الاتجاه نحو الفن التشكيلي لاستيعاب اطروحات الفن والحياة اكثر من استيعابه - لصحن كفتاجي بالعظمة - كما ابدع - عز الدين المدني - في الفضاء المسرحي عبر عديد الاعمال التي جلبت له بصمات الطريق الطويل في عالم - الفن الرابع - كما ان الدكتور محمود بلعيد - المختص في طب الاسنان لم تمنعه وظيفته الحساسة من الكتابة المعمقة في القصة وما اليها مستندا الى الذاكرة الاجتماعية الغزيرة بالملامح والنبضات الشعبية التي ظلت تعيش معه الى الآن! كذلك الاستاذ احمد ممو - المختص في المياه يكتب القصة والنقد الفني كتابة جيدة كما لو كانت هذه القصة قناة من قنوات المياه التى تتفجر عطاء وثروة في: مكعبات الزجاج - وغيرها!

اما الدكتور عبد القادر بن الحاج نصر - الديبلوماسي بفرع الجامعة العربية بتونس الذي نال الجائزة التقديرية من سيادة رئيس الدولة قد فضل ان يتجاوز نصوصه المنشورة من (اولاد الحفيانة) و(الزيتون لا يموت) الى غيرهما من الاعمال الجديدة الروائية والتلفزية - بعد مسلسلة (الحصاد).. اما الاستاذ احمد الهرقام - زميله في نفس المحك الديبلوماسي العربي بفرع الجامعة العربية بتونس قد انقطعت صلته بالقصة وما اليها - على ما يبدو - رغم الاعتقاد بانه لا ينقطع عن الكتابة اطلاقا.. اما الاستاذ رضوان الكوني - المباشر الآن في الحقل التعليمي باحدى دول الخليج العربي الذي يعتبره «نادي القصة» سفيره المنتدب بغرض تمثيل القصة التونسية افضل تمثيل لدى الاخوة الاشقاء ولانه كاتب لا يمكن لقلمه ان يسكت أو يرتاح من هموم القصة وكلومها!.

لقد كان «نادي القصة» مدرسة بحق للألفة والتآلف، مع رحابة الصدر، والقدرة على تقبل وهضم الافكار المتباينة. وبهذا اعطى المثال في الاستمرارية والابتعاد عن التعسف الفكري وارتجال المواقف خاصة حين تفعل السياسة فعلتها بالكلمة الادبية! هذا الفضاء بقي يطرح شتى المسائل الفنية والنقدية بعيداً عن -

الفبركة - متمسكاً باللغة العربية ونقد القصة بالقصة ولا شيء غير ذلك! اذ يمكن للدارسين الكتابة الغزيرة عنه وعن اعماله ونشاط اعضائه في ضوء المخزون الخام الموضوع تحت الطلب منذ تأسيسه الى اليوم اذ على هذا الدرب يسير وفي آفاق التطوير والتحدي!

الخلاصة:

ان نادي القصة بتونس ينظر اليه كمكسب ثقافي هام، استوعب عديد الشرائح الفكرية والاجتماعية مبرزاً القصة التونسية عبر نشأتها وروادها في العصر الحديث، بقي يحافظ على رصيده، وموقعه المميز في الخارطة الثقافية الوطنية والقومية والعالمية من خلال ذكره في الموسوعات العلمية واعتماد نصوصه في المقاربة العلمية وتمشيه الرصين بين التراث والحداثة معانقا كل الاتجاهات والمدارس الفنية من التقليدية الى التجريبية دون استثناء باعتباره - ساحة تعبير حر - كما قال الكاتب السوداني الاستاذ الطيب صالح اثناء زيارته للنادي في بداية تأسيسه!

ان الاستاذ محمد العروسي المطوي رئيس هذا النادي قد نجح في ربطه لشرايين انتاجاته المختلفة عبر مجلة (قصص) ومشتقاتها بفضل الاعضاء الذين واكبوا حضور لقاءاته الاسبوعية والاعمال الابداعية المختلفة من محمود المسعدي، فرج الشاذلي خريف - الدوعاجي - العريبي - إلى: عز الدين المدني - محمود التونسي - عبد الواحد ابراهيم - احمد الهرقام - بن جنات - ابن مراد - الكوني - ممو - قيقة - الفارسي - بن سلامة - حسن نصر - حياة بن الشيخ - عروسية الفالوتي - مسعودة بو بكر - يوسف عبد العاطي - الناصر التوي - التابعي الاخضر - وغيرهم وغيرهم.

دون تحديد أو استثناء في انتظار قراءة اخرى للقصة التونسية - مع صلاح بو جاه - فرج لحوار - حسونة المصباحي - ابراهيم الدرغوثي - ابراهيم بن سلطان - وغيرهم ايضا مواصلة مع الجيل الجديد من اجل الابداع الرحب والمعاناة والحداثة.

الهوامش:

(١) جملة المحاضرات التي القاها الشيخ محمد الفاضل بن عاشور التي جمعت في الكتاب: نشر - الدار التونسية للنشر - تونس.

(٢) نالت تونس استقلالها في ٢٠ مارس ١٩٥٦.

(٣) كتاب القصة التونسية نشأتها وروادها د. صالح الجابري، تونس ١٩٨٢. القصة والرواية في تونس د. نور الدين بن بلقاسم ، تونس ، العربية للكتاب ١٩٨٩.

(٤) كتابه: الكتابة القصصية في تونس - خلال عشرين سنة - سلسلة قصص ١٩ تونس ١٩٩٣، تأليف الاستاذ رضوان الكوني، عضو نادي القصة بتونس.

(٥) تأسس - نادي القصة بتونس - بفضاء النادي الثقافي «ابو القاسم الشابي» يوم ١٠ اكتوبر ١٩٦٤ بالوردية تونس العاصمة.

(٦) تأسس النادي الثقافي - ابو القاسم الشابي يوم ١٧ يوليه ١٩٦٢.

(٧) الدار التونسية للنشر - تأسست في الستينيات بغية دعم الكتاب الثقافي.

(٨) عبر ملتقيات نادي القصة بالمركز الثقافي الدولي بمدينة الحمامات.

(٩) كتاب: الرؤية النقدية عند محمد العروسي المطوي، نشر دار الغرب الاسلامي - بيروت - اشراف النادي المطوي للتعارف والتعاون بتونس.

من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة

هذه الدراسة القرآنية البيانية وعنوانها: «من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة» عُملت تلبية لدعوة كريمة من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة للإسهام بكتابة بحث من أجل المؤتمر الذي عقد في شهر صفر عام ١٤٠٨هـ في إسلام أباد بالباكستان عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

ولما كنت بفضل الله تعالى قد انتهيت لتوّي من دراسة سورة البقرة الكريمة دراسة بيانية متأملة بعنوان: «تأملات في سورة البقرة» وقد استغرقت الدراسة ست سنوات بالتمام والكمال وغطت من الصفحات ألفين ومائة وخمسين صفحة، ولما كانت سورة البقرة قد عُنيت، من بين ما عُنيت به، آيات الله تعالى في الكون بقصد حمل الإنسان على استعمال عقله استعمالا صحيحاً بعبادة الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الخالق الباريء المصوّر وحده جل وعلا لا شريك له، ولمّا كانت تلك الآيات الكونية قد عُرضت في أسلوب القرآن الكريم المعجز، فقد وقع الاختيار على هذا الجانب للدراسة، وقد تمثل في آية كريمة واحدة ابتداء، إضافة الى موضعين آخرين متممين تجلي في **أولهما**: حديث سورة البقرة عن بعض الآيات الكونية بقصد الكشف عن خبايا نفوس المنافقين في المدينة المنورة، وتجلى في **آخرهما**: حديث السورة عن بعض الآيات الكونية بقصد الكشف عن حقائق قلوب بني إسرائيل وكون هذه القلوب قاسية كالحجارة بل هي أشد قسوة من أقسى الحجارة وأصلب الصخور. وهذا معناه أن ثمة ثلاثة مواضع من سورة البقرة أو ثلاثة أنواع من الآيات ستتناولها الدراسة. والحقيقة أن هذا الجانب بحاجة إلى تبيين بين يدي تعيين الآيات الكريمات ميدان الدراسة.

إن المتأمل لسورة البقرة الكريمة من زاوية حديثها عن الآيات الكونية، يصح أن يتبين أن هذه الآية الكريمة الثانية والعشرين من السورة الكريمة **{الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون}** وأن الآية الكريمة التاسعة والعشرين من السورة الكريمة: **{هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثمّ استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم}** وما شاكلهما من آيات كريمات يصح الاستئناس بها في سبيل تبيين المعانى وتعيين المرامى والكشف عن وجوه إعجاز النظم لأشمل آيات سورة البقرة الكريمة حديثاً عن الآيات الكونية وهي الآية الكريمة الرابعة والستون بعد المائة. قال تعالى: **{إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون}** ولأجل هذه الأسباب اتخذت الدراسة هذه الآية الأخيرة ميداناً لدراستها.

وفيما يتصل بانتفاع سورة البقرة الكريمة من الآيات الكونية في سبيل الكشف عن خفايا نفوس المنافقين فقد كانت آيتا



بقلم : أ.د. حسن محمد باجوده
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

المثل المائي ميداناً للدّراسة، وهما الآيتان الكريمتان التاسعة عشرة والعشرون. قال تعالى: {**أو كصيّبٍ من السماء فيه ظلُمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حَذَر الموت والله محيط بالكافرين، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا. ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، إن الله على كل شيء قدير**}.

وفيما يتصل بانتفاع سورة البقرة الكريمة من الآيات الكونية في سبيل الكشف عن خبايا قلوب بني اسرائيل، فقد كانت هذه الآية الكريمة الرابعة والسبعون ميداناً للدراسة. قال تعالى: {**ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدُّ قسوة. وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار. وإنّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء. وإنّ منها لما يهبط من خشية الله. وما الله بغافل عما تعملون**}.

من مظاهر إعجاز الآية الكونية الرابعة والستين بعد المائة من سورة البقرة:

سبب النزول:

عن عطاء قال: نزل على النبي [صلى الله عليه وسلم] بالمدينة: {وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم}[١] فقال كفّار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله تعالى ذكره: {**إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**}[٢] فبهذا يعلمون أنه إله واحد وأنه إله كل شيء وخالق كل شيء[٣].

هذه الآية الكريمة الرابعة والستون بعد المائة من سورة البقرة الكريمة تكاد تكون أشمل آيات السورة الكريمة حديثا عن آيات الله تعالى في الكون ونظماً بين حبّاتها في عقد وجمعاً بين فرائدها في نسق. كل ذلك بقصد حث عباد الله تعالى الذين أنعم الله تعالى عليهم بنعمة العقل أن يستعملوا هذه النعمة استعمالا صحيحاً بالانتفاع بها في موضعها واستعمالا في ميدانها لا أن تبدد في غير طائل أو تحمل فوق ما تطيق. وبشأن فرائد هذا العقد نستطيع أن نقول بشأن نظمها المعجز ورصفها المبدع إنّ كلّ حبّة تُسلم إلى أختها في تحوّل لطيف من أكبر الآيات إلى التي تليها وانتقال ظريف من الشيء إلى إلفه المتصل به المفضي إليه، بحيث إنّ هذا التدرّج المعجب والنسق المؤنق يفضيان بكل متأمل للآية الكريمة متدبر لها، إلى أن حبات معانيها لا يمكن أن تكون إلا في النسق الذى جاءت وفقه في الآية الكريمة.

ومن البيّن أنّ اسم إنّ مؤخر: «لآيات لقوم يعقلون» وأنّ خبرها مقدّم. وإنّ الخبر وما عطف عليه هو ميدان دراستنا لإعجاز الآية الكريمة، التى تلفت النظر الى ملكوت الله تعالى والتى تنبه إلى أن الله سبحانه وتعالى له الخلق والأمر وحده لا شريك له فينبغي إفراده جلّ وعلا بالعبادة.

روي أن النبي [صلى الله عليه وسلم] قال: ويل لمن قرأ هذه الآية فمجّ بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبرها[٤]، والآية الكريمة تنص ابتداء على خلق السماوات والأرض: {**إنّ في خلق السماوات والأرض**} وإنما كان الابتداء بالسماوات والأرض لأنهما أكبر مخلوقات الله تعالى، وإنما تقدم ذكر السماوات على الأرض لأن السماء الواحدة أكبر من الأرض فكيف إذا كان ثمة سبع سماوات، وقد قال تعالى[٥]: {**لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون**}، وقال تعالى[٦]: {**والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون**} والأيد بمعنى القوّة. {**وإنّا لموسعون**} أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي[٧] وإنّ من العلماء المتأخرين من فهم من الآية الكريمة أنها تشير الى ما يعتبر حقيقة علمية من كون السماوات في اتساع وامتداد دائمين ونظرة العلماء المتأخرين لقوله تعالى: {**وإنّا لموسعون**} قائمة على آراء العلماء المتقدّمين ومبنية عليها.

ومعنى خلق الله سبحانه وتعالى السماوات والأرض والأشياء ابتداعه وإيجاده إياها بعد أن لم تكن موجودة[٨].

وبعد أن نصّت الآية الكريمة على السماوات

والأرض مقدمة الأكبر على الأصغر نصت على الليل والنهار باعتبار الظلمات والنور قادرين على ملء السماوات والأرض. قال تعالى: **{إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار}** وقيل في اختلاف الليل والنهار اختلافهما بإقبال أحدهما وإدبار الآخر. وقيل اختلافهما في الأوصاف من النور والظلمة والطول والقصر[٩] وذهب الطبري[١٠] الى أنّ معنى اختلاف الليل والنهار تعاقب الليل والنهار، بمعنى أنّ كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه، إذا ذهب الليل جاء النهار بعده، وإذا ذهب النهار جاء الليل خلفه. وقدّم الليل على النهار باعتبار الليل هو السابق وجوداً ولأن الظلام هو الأصل. والقرآن الكريم في العديد من المواضع ومنها هذا الموضع قدّر أسبقية الليل على النهار وكونه أصلا، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الفرقان[١١]: **{وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا}** وقوله تعالى في سورة يس[١٢]: **{وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعُرْجُون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تُدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلّ في فلك يسبحون}** فالليل يذكر قبل النهار في موضعين اثنين. وقوله تعالى في سورة الإسراء[١٣]: **{وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب. وكل شيء فصلناه تفصيلا}**.

ومن أكبر الأدلة على كبر السماوات والأرض على الليل والنهار أن الكرة الأرضية وهي لا تقاس بضخامة السماوات إذا كان في أحد شقيها الليل كان في آخر شقيها النهار، فليس ثمّة في الأرض ليل مطلق ولا نهار مطلق. والنهار على ظاهر اللغة مأخوذ من السّعة، فهو من وقت الإسفار إذا اتسع[١٤] وهو الوقت الذي ينتشر فيه الضوء[١٥] وفي نظرة القرطبي الشرعية الى النهار يقول[١٦]: «والصحيح أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس» ويوافق الراغبُ الأصفهاني القرطبيَّ في هذه النظرة الشرعية للنهار[١٧].

وإنّ تحوّل سياق الآية الكريمة للحديث عن السفن، واستعمال لفظ الفلك بالذات دليلا على السفن، وذلك في القول: «والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس» وذلك عقب حديث الآية الكريمة عن الليل والنهار يلفت نظرنا، في مجال تبين قرينة التحول من الليل والنهار وكل في فلك يسبح إلى الفلك التي تسبح في البحر، يلفت نظرنا إلى حديث سورة يس عن آية الزّمان وقوامها الليل والنهار والشمس والقمر وتقرير السّياق أن كلا في فلك يسبحون، واتخاذ السياق من النص على عملية السباحة قرينة من أجل تحوّل السياق من الحديث عن آية الزمان إلى الحديث عن آية حمل الإنسان فوق الماء. قال تعالى[١٨]: **{وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون. والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون. وآية لهم أنّا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون}**، واللطيف في الأمر أن لفظة الفلك هي التى تطلق على السفن وذلك على غرار آية سورة البقرة. إنّ كلا من الليل والنهار والشمس والقمر يسبح في الفضاء بإرادة الله تعالى، وإن الفلك تسبح في الماء بإرادة الله تعالى. وإنّ المعنى الذي يدور حوله الأصل اللغوي «فلك» هو الدوران. ففلك السماء الذى تدور عليه النجوم. وفلكت الجارية استدار ثديها. ومنه فلكة المغزل[١٩]، وفلكت الجارية: استدار نهدها[٢٠] وسميت السفينة فلكا لأنها تدور بالماء أسهل دور[٢١] والفلك: السفن. وإفراده وجمعه بلفظ واحد ويذكّر ويؤنّث[٢٢] والفلك المفرد مذكر. قال الله تعالى: **{في الفلك المشحون}** فجاء به مذكراً. وقال: **{والفُلْك التي تجرى في البحر}**، فأنّث. ويحتمل واحداً وجمعاً. وقال[٢٣]: **{حتى إذا كنتم في الفلك وجَرَيْنَ بهم}**، فجمع. فكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى المركب فيذكّر، وإلى السفينة فيؤنّث[٢٤].

يقول ابن فارس[٢٥]: «الفاء واللام والكاف أصل صحيح يدلّ على استدارة في شيء. ومن ذلك فَلْكة المغزل بفتح الفاء، سميت لاستدارتها، ولذلك قيل: فلّك ثدي المرأة إذا استدار.

ومن هذا القياس فلك السماء.. وأما السفينة

فتسمى فُلكاً. ويقال إن الواحد والجمع في هذا الاسم سواء. ولعلها تسمى فُلكاً لأنها تدار في الماء» ويقول الرّاغب[٢٦]: «والفلك مجرى الكواكب وتسميته بذلك لكونه كالفلك، قال: **{وكلٌ في فلك يسبحون}** وجاء في سورة الأنبياء[٢٧] قوله تعالى: **{وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كلٌ في فلك يسبحون}**.

ومن البيّن أنّ الحديث عن البحر هنا من زاوية كبرى منافعه وهي جري السفن فيه بما ينفع الناس وقد جاء في سورة الروم[٢٨] قوله تعالى: **{ومن آياته أن يرسل الرّياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون}** وجاء في سورة الجاثية[٢٩]: قوله تعالى: **{الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه. إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}** ومما هو معمق لمعنى النفع في القول: **{والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس}** لفظ فلك الذى فهمنا منه إفادته سهولة دوران السفينة في الماء ومن باب أولى ما يقل عن الدوران، وجملة تجرى التى يفهم منها جريان السفن التى تشبه الجبال ضخامة ومن باب أولى ما يقل عن الجري حركة حتى ينتهي الأمر إلى مرحلة المشي ببطء فالوقوف فوق الماء بإرادة الله تعالى ذلك الماء الذى لا يقوى على الإمساك بأصغر حجر عن الاستقرار فى قاعه! ولفظ البحر الذى يفيد كثرة الماء واتساعه فبإرادة الله تعالى مهما كان الماء عميقاً غوره واسعاً مداه فإنّ السفينة تمخر عبابه.

والحقيقة أن لفظ البحر الذى يفيد صفة السعة في المكان والجمع الكثير للماء[٣٠] يصرف الانتباه بدرجة أكبر الى الماء الملح الأجاج، خاصة وأن الماء الملح الأجاج مصدر الماء العذب الفرات بإرادة الله تعالى، وفي الوقت ذاته يتسع لفظ البحر كي يشمل الماء العذب الفرات الواسع الكثير المتمثل أساساً في الأنهار والبحيرات التى تجرى فيها السفن.

وإن عجيبة جري السفن كالأعلام الموفرة بالأثقال فوق الماء الذى يعجز عن منع أصغر حصاة من الاستقرار في قاعه تستأثر بهذه الحيثية أو الزيادة: «بما ينفع الناس» بقصد التنبيه إلى نعمة الله تعالى على الناس بتسخير السماوات والأرض وما فيهن للناس. وإنّ الحديث أساساً عن الماء الملح الأجاج الذى يحمل السفن والذى يشاركه بالتبعية في هذه المهمة الماء العذب الفرات مرشح قوي لتحوّل السياق إلى الحديث عن الماء العذب الفرات النازل من السماء إلى الأرض اللتين كانتا أولى حبات عقد هذه النعم المادية والآلاء المحسوسة. قال تعالى: **{وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كلّ دابة}**.

إنّ حديث الجزئية الكريمة عن الماء يشير إلى مصدره: **{وما أنزل الله من السماء من ماء}** إنّ الماء ينزل بإرادة الله تعالى من السماء أو السحاب بعد تكثف البخار وتحوّله ماء، وبذلك يعود الماء الملح الأجاج، المصدر الأول للبخار أو السحاب، ماء، ولكنه هذه المرة بعود ماء عذباً فراتاً يتدفق أنهارا، أو يتفجر ينابيع، أو يستقرّ آباراً وما إلى ذلك.

ومع أنّ الماء النازل من السماء يصح أن ينزل على الماء الملح الأجاج الذى يشكل أكثر أجزاء الكرة الأرضية، كما يصح أن ينزل على اليابسة، فإنّ السّياق يولي اليابسة بالحديث ويعطيها حظها بعد أن أخذ الجانب المائي من الأرض حظه. وتمشياً مع تحقيق النفع للخلائق، وتقرير التسخير يكون النص على أهمّ أثرين بارزين للماء النازل من السماء وهما إحياء الأرض الميتة ونشر الخلائق في أنحاء اليابسة، باعتبار اليابسة المكان الرئيسي لحياة الإنسان: {فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة}.

ونستطيع أن نفهم القول: «فأحيا به الأرض بعد موتها» في ضوء قوله تعالى في سورة الروم[٣١]: **{الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون. وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين. فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها. إنّ ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير}** كما أننا نستطيع أن نفهم القول: **{وبث فيها من كل دابة}** بمعنى ونشر في الأرض من كل دابة في ضوء قوله تعالى من سورة النور[٣٢]: **{والله خلق كل دابة**

من ماء. **فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع. يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير}** وبناء على ذلك يكون القول: **{وبثّ فيها من كل دابة}** شاملا لجنس الإنسان وجنس الحيوان، وقد قال تعالى[٣٣]: **{وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيٍّ أفلا يؤمنون}** وهكذا يتبين أنه من متممات الحديث عن الماء الحديث عن الدّواب على الأرض وهي قد خلقت من الماء وتحيا بالماء.

وتتحدث الآية الكريمة بعد ذلك عن آيتين ماديتين أخيرتين هما تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض. قال تعالى: **{وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض}**.

وبالنظر إلى آية تصريف الرياح يتبين أن السياق قد اقتضى من قبل أن يتم الحديث عن النوعين من الماء، الماء الملح والماء العذب، فثمة ذكر للأصل وهو الماء الملح وللفرع وهو الماء العذب.

وبالنظر الى عمل الرّياح المتعلق بآيتي السحاب والماء نستطيع أن نرتب الآيات الثلاث المادّية على النحو التالي: تثير الرياح السحاب وتزجيه بمعنى أنها تسوقه برفق وتلقحه فينزل الماء. يحدث كل ذلك بإرادة الله تعالى. وحينما تكون الآية الكريمة قد قدّمت الحديث عن نزول الماء العذب الفرات من السحاب بسبب وجود القرينة الحاملة على هذا التقديم وهو ذكر الماء الملح مصدر الماء العذب الفرات، يكون معنى ذلك أنه بقي لدينا في ضوء ترتيب هذه الآيات الثلاث آيتان هما الرّياح والسّحاب، وترتيبهما على النحو المذكور في الآية الكريمة.

وتصريف الرّياح للسحاب بمعنى إثارة الرّيح للسحاب فبسطه في السماء فجعله كسفاً أي قطعاً متفرقة فترى المطر يخرج من خلاله، وبمعنى إزجاء الريح السحاب فالتأليف بينه بضم بعضه إلى بعض فجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة، فجعله ركاماً، أي بعضه فوق بعض، فترى الودق يخرج من خلاله كذلك. والآية الكريمة في تقديمها تصريف الرّياح على السحاب تنبه إلى الترتيب لهذه الآيات الثلاث المترابطة، الرّياح، السحاب، المطر.

واللطيف في الأمر أن آية الرّياح قد صرفها جلّ وعلا عن الشر والضر إلى الخير والنفع الخالصين وذلك بذكر صيغة الجمع «الرياح» وليس صيغة المفرد «ريح» وبذلك تكون صيغة الجمع قوّة للنفع المقصود المنصوص عليه بشأن الفلك التى تجرى في البحر. وتصريف الرياح هو صرفها من حال الى حال[٣٤]، والرياح جمع ريح جمع تكسير[٣٥]، وتصريف الرياح إرسالها عقيماً وملقحة وصراً ونصراً وهلاكاً وحارّة وباردة ولينة وعاصفة.

وقيل: تصريفها إرسالها جنوباً وشمالا ودبوراً وصباً ونكباء، وهي التى تأتى بين مهبي ريحين[٣٦]، وجاءت في القرآن الكريم مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب إلا في يونس في قوله: وجرين لهم بريح طيبة. وفي الحديث: اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً. قال ابن عطية: لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد. وريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هي رياح[٣٧].

وآخر الآيات المادية في الآية الكريمة السحاب المسخر بين السماء والأرض: **{والسحاب المسخر بين السماء والأرض}** وبذلك يتم تقرير حقيقتين مهمتين في حق السحاب، هما كون السحاب مسخراً وكونه بين السماء والأرض. وبالنظر إلى لفظ السحاب بالذات بالقياس الى غيره من الألفاظ كالغمام والرّباب وما إليهما وما قيل في سبب تسميته: «إما لجرّ الريح له، أو لجرّه الماء، أو لانجراره في كل مرة»[٣٨]، وانسحابه في الهواء، بالنظر الى لفظ السحاب يفهم حركة السحاب المقدرة المضبوطة الأقرب الى البطء كي يتحقق بالسحاب نفع البلاد والعباد.

إنّ السحاب مسخر، أي مذلل[٣٩] هذه هي الصفة الأولى. إنه حينما تبدو قطعة من السحاب تركض في السماء فمن منّا الذى لا يتبين حركتها واتجاهها، إقبالها وإدبارها، تجمعها وتفرّقها، وفاءها أو إخلافها، يحدث كلّ ذلك بإرادة الله تعالى وحده لا شريك له.

ويبدو هذا التسخير أشد وضوحاً حينما نتأمل الحقيقة التالية المتعلقة بالسحاب وهي كونه بين السماء والأرض. إنّ هذا السحاب يخيل للناظر أنه لا شيء أخف منه، ولهذا يضرب المثل بمرّ السحاب في حق

الأشياء التي تمرّ سريعاً. ولكن هذا السحاب حينما يكون ثقيلا موفراً بالماء هو يحمل من كميات الماء الهائلة الحجم والثقل مالا يدرك حقيقته إلا الله تعالى، وقد قال عزّ من قائل[٤٠]: {**هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشيء السحاب الثقال**} وبهذا يتبين المعنى الحقيقي لمعنى التسخير وللقول: {**والسحاب المسخر بين السماء والأرض**}.

إنّ السحاب شأنه شأن السماوات والأرض معلق في السماء بيد القدرة الإلهية، فليس ثمة الدعامة التي تدفع ولا العلاقة التي ترفع. وإنّ هذا السحاب الثقال منه وغير الثقال، رهين تصريف الرّياح له بإرادة الله تعالى الواحد القهار الفعّال لما يريد. وإنّ السحاب الذي يستطيع بإرادة الله تعالى أن يحمل تلك الكمية الثقيلة من الماء، لا يستطيع بإرادة الله تعالى أن يحتفظ في أثنائه ويستبقي في أحشائه أصغر حجر تلقيه عليه، شأنه في ذلك شأن الماء الذي تجرى فيه الجوارى كالجبال الشامخات ويعجز عن منع أصغر حجر من الاستقرار في قاعه.

وختمت الآية الكريمة بالقول: {لآيات لقوم يعقلون} روي أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «ويل لمن قرأ هذه الآية فمجّ بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبرها[٤١]، وهذا الموضع الذي يشاد فيه بالعقل واحد من بين أكثر من أربعين موضعاً في القرآن يذكر فيها العقل مقروناً بالتبجيل والتكريم[٤٢].

للدراسة صلة

الهوامش:

(١) الآية ١٦٣ من سورة البقرة.
(٢) الآية ١٦٤ من سورة البقرة.
(٣) انظر تفسير الطبري ٣٧/٢ وتفسير القرطبي ٥٧٢ وتفسير ابن كثير ٢٠٢/١ والبحر المحيط ٤٦٤/١.
(٤) تفسير القرطبي ٥٨١.
(٥) سورة غافر / ٥٧.
(٦) سورة الذاريات/ ٤٧.
(٧) انظر تفسير ابن كثير ٢٣٧/٤.
(٨) تفسير الطبري ٣٨/٢.
(٩) انظر تفسير القرطبي ٥٧٢.
(١٠) تفسير الطبري ٣٨/٢.
(١١) الآية ٦٢.
(١٢) الآيات/ ٣٧ ـ ٤٠.
(١٣) الآية/ ١٢.
(١٤) تفسير القرطبي ٥٧٤ وانظر معجم مقاييس اللغة «نهر» ٣٦٢/٥.
(١٥) مفردات الراغب الأصفهاني ٥٠٧.
(١٦) تفسير القرطبي ٥٧٣.
(١٧) مفردات الراغب الأصفهاني ٥٠٧.
(١٨) سورة يس ٣٧ ـ ٤١.
(١٩) تفسير القرطبي ٥٧٤ والبحر المحيط ٤٥٥/١.
(٢٠) البحر المحيط ٤٥٥/١.
(٢١) تفسير القرطبي ٥٧٤.
(٢٢) تفسير القرطبي ٥٧٤.
(٢٣) سورة يونس/ ٢٢.
(٢٤) تفسير القرطبي ٥٧٤.
(٢٥) معجم مقاييس اللغة ٤٥٢/٤.
(٢٦) مفردات الراغب الأصفهاني ٣٨٥.
(٢٧) الآية/ ٣٣.
(٢٨) الآية ٤٦.
(٢٩) الآية ١٢، ١٣.
(٣٠) مفردات الراغب الأصفهاني ٣٧.
(٣١) الآيات/ ٤٨ ـ ٥٠.
(٣٢) الآية/ ٤٥.
(٣٣) سورة الأنبياء/ ٣٠.
(٣٤) مفردات الراغب الأصفهاني ٢٧٩.
(٣٥) البحر المحيط ٤٥٥/١.
(٣٦) تفسير القرطبي ٥٧٧.
(٣٧) البحر المحيط ٤٦٧/١.
(٣٨) مفردات الراغب الأصفهاني ٢٢٥.
(٣٩) تفسير القرطبي ٥٨٠.
(٤٠) سورة الرعد/ ١٢.
(٤١) تفسير القرطبي ٥٨١.
(٤٢) الله في العقيدة الإسلامية للشهيد حسن البنا ص ١٢.

مفهوم «لدن» في القرآن العظيم

لما كان القرآن العظيم هو كتاب منزل من الله عز وجل، ولما كان هذا الكتاب الكريم الذي أنزله العزيز الحكيم على عبده وخاتم النبيين سيدنا محمد {**صلى الله عليه وسلم**} هو خاتم كتبه سبحانه وتعالى، فلابد أن يكون كتابا ليس كمثله كتاب. فلقد ميزت إلهية مصدر القرآن العظيم هذا الكتاب الكريم عن كل كتاب غير الهي فجعلته كتابا عصيا عن أن يأتي بمثله أحد: {**أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**} (يونس/ ٣٨)، سواء كان هذا الاحد من الانس أو الجن أو معشر الانس والجن كل مجتمعين: {**قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**} (الاسراء/ ٨٨)، وأما حقيقة كون القرآن العظيم آخر كتبه سبحانه وتعالى فقد جعلت منه كتابا لا تنتهي معجزاته الى يوم القيامة وكانت سببا لتفرد هذا الكتاب الكريم حتى عن ما سبقه من الكتب الالهية.

من بين الصفات الاعجازية لهذا الكتاب العزيز هو أنه كتاب لكل سورة ولكل آية ولكل كلمة فيه سر ومعنى. وهذا امر يمكن استبيانه من قول الواحد الاحد في وصف كتابه الكريم: {**ألر كتابٌ أحكمت آياته ثم فُصلتْ من لدُن حكيم خبير**} (هود/١). بل وينطبق هذا الوصف على كلّ حرف في القرآن العظيم، حيث جعل الله عز وجل وراء نزول كل حرف من حروفه قصدا وحكمة. ودليل هذا هو الكتاب العزيز نفسه الذي فيه آيات كريمة تتكون كل منها من حروف فقط الله اعلم بمغزاها، وهي الآيات التي تبدأ بها بعض السور، كسورتي البقرة وآل عمران اللتين تبدأ كل منهما بالآية الكريمة: {**ألم**}، وسورة الاعراف التي بدأها عز وجل بالآية الكريمة: {**ألمص**}، وسورة مريم التي أولى آياتها قوله الحكيم: {**كهيعص**}، وغيرها من السور الكريمة.

من الواضح إذاً أن وراء نزول كل حرف من هذه الحروف التي تمثل آياتٍ من آيات الكتاب الكريم سراً الهياً مثلما هو الامر وراء نزول كل كلمة وآية وسورة. وهذه الحقيقة يجب ان تجعلنا نعي اكثر القدسية الواجب ان نتعامل من خلالها مع كتاب الله العزيز وان ندرس هذا الكتاب الكريم من خلال ايمان ووعي بأن الله عز وجل قد بث حكمته في كل مواضعه.

إن هذه المقدمة المختصرة هي تمهيد لمحاولة دراسة المعنى القرآني لكلمة «لدن» التي ورد ذكرها في العديد من آيات الكتاب العزيز.

ذكر الله عز وجل كلمة «لدُن» ثماني عشرة مرة في سبع عشرة آية كريمة من آيات القرآن العظيم. وجاءت هذه الكلمة مسبوقة في كل مرة بحرف الجر «من»، وكما في الآيات الكريمة التالية التي نوردها على سبيل المثال: {**ربَّنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**} (آل عمران/٨)، {**إنَّ الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنهُ أجراً عظيماً**} (النساء/ ٤٠)، {**وقل رب أدخلني مُدخل صدق**

بقلم: د. لؤى فتوحى
برمنغهام - المملكة المتحدة

وأخرجني مُخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً} (الاسراء/ ٨٠).

لو نظرنا الى المعجم لوجدنا بأن كلمة «عند» تعرف على انها «اسم لمكان الحضور ولزمان الحضور، ولا تقع الا ظرفا أو مجرورة بمن فقط»، بينما تعرَّف كلمة «لدُن» على انها «ظرف زماني ومكاني بمعنى عند الا انه اقرب مكانا وأخص. وهو مبني ويجوز جره بمنْ وهو كثير فيه». من الواضح أن هنالك تشابها كبيرا في المعنى بين كلمة «لدُن» وكلمة «عند»، الا ان من الواضح ايضا أن هنالك اختلافا دقيقا بينهما. إن استعمال البشر لكلمة «لدُن» ليس شائعا شيوع استعمالهم لكلمة «عند»، الا انه عند استخدام كلمة «لدُن» فإنها تستخدم بنفس معنى، وفي نفس سياق استخدام كلمة «عند»، أي ان الكاتب من البشر يركز على التشابه الكبير في المعنى بين كلمة «لدُن» وكلمة «عند» ويهمل اختلافهما الدقيق بحيث تظهر الكلمتان في كتابات البشر ككلمتين مترادفتين مستخدمتين من دون تمييز، الا ان التشابه الكبير والواضح في المعنى بين هاتين الكلمتين والاستعمال البشري لهما كمترادفتين يجب ان لا يدفعنا الى الاستنتاج خطأ بأن لهما نفس المعنى ايضا في كتاب الله العزيز، القرآن العظيم. إذ ذكرنا في البدء بأن الله عز وجل اختار كل حرف وكلمة في القرآن بحكمته وان وراء كل منها سراً إلهياً **{ألر، كتابٌ أحكمت آياتُهُ ثم فُصِّلَتْ من لدُن حكيم خبير}**. لذلك، لا يجوز لأي كان ان يغير كلمة «لدن» في آية كريمة ما بكلمة «عند» كما لا يجوز العكس كذلك. لذلك يجب الاستنتاج بأن الله يريد بكلمة «لدُن» معنى خاصا يختلف عن المعنى العام الذي يريده باستخدام كلمة «عند»، على الرغم من تشابههما الكبير.

فما هى هذه الخصوصية التي تتميز بها كلمة «لدن» عن كلمة «عند» في السياق القرآني؟.

لقد كشف لنا الله عز وجل المعنى الخاص الذي ميز به كلمة «لدُن» في القرآن العظيم في احدى الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه الكلمة والتي نذكرها هنا مع الآية الكريمة التي تسبقها لتوضيح المعنى: **{وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين * لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتَّخذناه من لدُنا إن كنا فاعلين}** (الانبياء/ ١٦ - ١٧).

إن الله عز وجل يخبرنا في الآية الكريمة الاولى بأن خلقه للسماء والارض وكل ما بينهما ليس عبثا بالباطل وانما خلقا بالحق، حيث خلق الله عز وجل كل شيء بحكمته الالهية وجعل لكل ما خلق من سماء وأرض وما بينهما هدفا لا يستطيع عنه حيودا وهو السعي الى يوم القيامة: **{أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مُسمّى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون}** (الروم/٨)، **{وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار}** (ص/٢٧) **{ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون}** (الأحقاف/٣). ففي يوم القيامة يتغير الخلق الى خلق آخر: **{يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهّار}** (ابراهيم/ ٤٨).

من الواضح أن الله سبحانه وتعالى يشير بتعبير **{السماء والأرض وما بينهما}** في الآية الكريمة الاولى من سورة الانبياء اعلاه الى «كل الخلق». أما في الآية الكريمة الثانية فإنه عز وجل يقول ما معناه بأنه لو اراد ان يتخذ لهواً، سبحانه وتعالى عن ذلك، فإنه كان سيتخذ ذلك من «لدُنه» لا من «السماء والارض وما بينهما». والآن، اذا كان تعبير «السماء والارض وما بينهما» يشير الى «كل الخلق»، فإن تعبير **{من لدُنا}** لابد وان يكون مشيرا الى «الذات الالهية» نفسها. إذ قبل خلق «السماء

والارض وما بينهما» لم يكن من موجود سوى الله الازلي والاول قبل كل شيء: {**هو الأول والآخر والظاهر والباطن**} (الحديد/٣)، ومن دون خلق «السماء والارض وما بينهما» ما كان سيكون هنالك موجود آخر سوى الله الاول الصمد. إذاً فإن الله سبحانه وتعالى يعلمنا في آيتي سورة الانبياء أعلاه بأن ظن الكفر بأنه خلق «السماء والارض وما بينهما» لهواً هو ظن ضال بدلالة ان لو كان يريد لهوا، سبحانه وتعالى عن ذلك، فإنه ما كان سيحتاج خلق شيء وانما لاتخذ اللهو «من لدُنه»، اي من ذاته الالهية.

يتبين مما تتقدم ان الله يميز كلمة «لدُن» في القرآن الكريم عن كلمة «من عند» باستخدامه الاولى للاشارة الى ما هو قريب جدا منه، بينما يستخدم الثانية بشكل اكثر عمومية. اي ان كلمة «لدُن» المنسوبة الى الله تشير الى الخاص الذي يأتي من الله مباشرة، فإذا كان الموصوف رحمة فهي رحمة من لدُن الله مباشرة وان كان علما فهو علم من لدُن الله مباشرة وهكذا. وعلى سبيل المثال فإن الله يصف القرآن العظيم بقوله الكريم: {**ألر كتابٌ أحكمت آياته ثم فُصِّلت من لدُن حكيم خبير**}، ولذلك فإن القرآن العظيم هو من علوم الله اللدنية التي ليس لمخلوق ان يتوصل اليها: {**قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**} (الإسراء/ ٨٨). ففي الثمان عشرة مرة التي وردت فيها كلمة «لدُن» في القرآن العظيم لا نجدها منسوبة الى غير الذات الالهية سوى في مرة واحدة فقط، وفي هذه المرة الوحيدة لم يكن الله عز وجل هو المستخدم المباشر لهذه الكلمة في الاشارة الى احد من خلقه وانما جاءت على لسان سيدنا موسى في خطابه للخضر عليهما السلام: {**قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدُنّي عُذرا**} (الكهف/ ٧٦).

أما كلمة «عند» الواردة في تعبير «من عند» فإن استخدامها في القرآن العظيم غير محصور في الاشارة الى ما هو «من عند الله» وكما في الآيتين الكريمتين اللتين هما خطاب مباشر من الله عز وجل وليس على لسان أحد من خلقه: {**ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير**} (البقرة/ ١٠٩)، {**أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنىَّ هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير**} (آل عمران/ ١٦٥).

إن من الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة «لدُن» والتي توضح الدلالات القرآنية الخاصة لهذه الكلمة هي دعاء زكريا عليه السلام أن يرزقه الله عز وجل بذرية. فعندما علم سيدنا زكريا بالطعام الذي كان يأتي مريم عليها السلام «من عند الله» سأل الله عز وجل بذرية كما رزق مريم طعاما، وطلب ذلك «من لدُنه»: {**فتقبلها ربُّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنَّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب * هنالك دعا زكريا ربَّه قال ربِّ هب لي من لدُنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء**} (آل عمران/ ٣٧ ـ ٣٨)، {**قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقياً * وإني خفتُ الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا**} (مريم/ ٤ ـ ٥). فاستجاب الله سبحانه وتعالى بمعجزة وأتاه يحيى عليه السلام: {**فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين**} (آل عمران/ ٣٩)، {**يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبْلُ سميا**} (مريم/ ٧).

ونجد بأن الله عز وجل يؤكد الحقيقة «اللدُنية»

لولادة يحيى عليه السلام بإشارته الى الحنان الذي آتاه يحيى «من لدنه»: **{يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً * وحناناً من لدُنا وزكاة وكان تقياً}** (مريم/ ١٢ ـ ١٣). فزكريا طلب ولدا «من لدُن» الله سبحانه وتعالى الذي استجاب لدعاء عبده واتاه يحيى «من لدُنه»، اي بتدخل مباشر اعجازي من قبله لتيسير حمل الزوجة العاقر من زوجها المُسن زكريا والذي ما كان ليقع لولا التدخل الالهي.

ومن الآيات الكريمة التي تلقي ضوءا على معنى كلمة «لدُن» القرآنية هي الآيات الكريمة التي تصف لقاء موسى والخضر عليهما السلام. فقد جاء في الحديث الشريف بأن موسى عليه السلام قام يوما خطيبا في قومه فسُئل «أي الناس أعلم؟» فأجاب «أنا» فعتب الله عز وجل عليه لأنه لم يرد العلم اليه وامره بالذهاب في رحلة لمقابلة عالم اعلم منه سيرسله الله عز وجل ليلتقيه في طريقه. وصف الله سبحانه وتعالى هذا العالم، وهو الخضر عليه السلام، بقوله: **{عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدُنا علما}** (من الكهف/ ٦٥). وهذا العلم اللدني هو من العلوم التي لا يؤتيها الله عز وجل الا لمن اصطفى من عباده. حين قابل موسى الخضر عليهما السلام طلب منه أن يرافقه قائلا له: **{هل أتبعك على أن تُعلمن مما عُلمت رُشدا}** (الكهف/ ٦٦)، الا ان الخضر عليه السلام كان يعرف مسبقا بفضل علمه اللدني بأن موسى عليه السلام ما كان ليستطيع مرافقته فقال له: **{إنك لن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبرُ على ما لم تحط به خبرا}** (الكهف/ ٦٧ ـ ٦٨). لكن موسى عليه السلام اراد مع ذلك ان يرافقه ووعده بانه لن يعترض عليه **{قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا}** (الكهف/ ٦٩).

اثناء مصاحبتهما لم يستطع موسى عليه السلام ان يمنع نفسه من الاعتراض على ثلاثة افعال قام بها الخضر عليه السلام، رغم انه كان قد وعده بأن لا يعترض. إذ خرق الخضر عليه السلام، من دون أي سبب ظاهر، سفينة كان اهلها قد قبلوا ان يركبوهما معهم من غير أجر، ثم قتل غلاماً دون سبب ظاهر، واخيرا بنى من غير ان يأخذ اجرا جدارا كان يريد ان ينقض في قرية رفض اهلها ان يضيفوهما. بعد ان اعترض موسى للمرة الثالثة قرر الخضر عليه السلام ان قد حان وقت فراقهما وفسر له ما لم يستطع ان يفهمه من افعال: **{أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً * وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا * فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحماً * وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري}** (الكهف/ ٧٩ ـ ٨٢).

تلقي هذه الآيات الكريمة الضوء على تعبير «من لدُن»، حيث نجد طبيعة العلم اللدُني الذي آتاه الله عز وجل الخضر عليه السلام، وهو علم مكن هذا العبد الصالح أن يدرك من الامور ما لم يفهمه حتى نبي من أولي العزم كان قد آتاه الله حكما وعلما، هو موسى عليه السلام.

إن تمييز الله عز وجل في كتابه العزيز بشكل دقيق بين كلمات تبدو للوهلة الاولى متشابهة في المعنى مثل «لدُن» و«عند» انما هو مظهر آخر من مظاهر إعجاز القران العظيم، وهو بعد تذكرة أخرى بالقدسية التي يجب أن نحملها لهذا الكتاب العظيم الذي جعله الله عز وجل كنزا زاخرا بالاسرار، وبالاحترام والتبجيل اللذين يجب ان نتعامل من خلالهما مع كتاب الله العزيز.

القصص النبوي | عن الجنة ونعيمها

وأحب أن أذكر القارىء الكريم بما قلته في بداية الكتابة عن القصص النبوي: (بأن القصص النبوي أوسع وأشمل من القصص الحديث، لاتساع أنماط الكتابة، وتحررها من القيود التى وضعها النقاد مجلوبة من الشرق والغرب، مما تأباه الموهبة والفطرة السليمة، بالإضافة إلى أن القصص النبوي يتوخى الحق والخير والفضيلة في المقام الأول، ولا ينشد التسلية والسمر، وقطع الوقت فيما لا يفيد، وإنما القصص النبوي لإتمام مكارم الأخلاق، وفي النهاية هو من صميم رسالته [صلى الله عليه وسلم] وهو قصص يتلاءم مع فطرة الإنسان وتقويم هذه الفطرة وإصلاحها، ويرسم المنهج السوى لما يجب أن يكون عليه بناء القصة، حيث يتسع هذا المجال، ولا يوضع في قوالب ضيقة.. مما هو ظاهر في الفروق بينه وبين فنون القصة الحديثة) وقلت: (ولا يصح أن نخضع كلام من لا ينطق عن الهوى، لمقاييس اخترعها بشر من خلال رؤيتهم وما راق لهم، وهى قابلة للتغيير والتبديل من وقت لآخر، وتختلف من إنسان لإنسان، ومن أدب لأدب، فالقصص - عموما - له تأثيره وبيانه في النفوس، ويصل إلى أغراضه دون النظر إلى تلك الوسائل التى اصطلح عليها أرباب هذا الفن، أو خيال وفكر الكاتب. ونحن نؤمن بأن السنة النبوية هي نتاج قول النبي [صلى الله عليه وسلم]: (أدبنى ربي فأحسن تأديبي).

ومسألة الخيال والمجاز والصور الأدبية في مجال هذا القصص مستبعدة لأنها في كثير من الأحيان تتحدث عن أمور غيبية وأمور من السمعيات، كالجنة والنار والملائكة وذلك مما يفسر ويبين الوحي القرآني، وما ينبغى لرسول من الرسل أن يتقول على الله تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين).

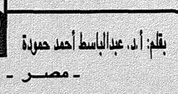
ومع ذلك البيان والتوضيح نحاول أن ندرس القصص النبوي في ضوء ما تعطيه مفاهيم اللغة وأساليبها العربية التى هي مجال الإعجاز والتفوق بين الناطقين بها.

المضمون:

يتضمن القصص النبوى عن الجنة حلقات من المعانى يسلم بعضها إلى بعض مما يجعلها تكون رواية من أكبر الروايات تنبثق أحداثها من الحياة الدنيا الفانية إلى الآخرة الأبدية الخالدة.

وتبدأ ملحمة رواية الجنة ونعيمها بالدعوة إلى الجنة بتصوير رائع، هو في الحقيقة واقعي، ولكى يصل إليها العبد، عليه باتباع الداعى وإجابته، فإذا ما أجاب الداعى دخل الدار، فإذا دخل الدار أكل من المأدبة ورضى عنه سيدها: (والله السيد، والدار الإسلام، والمأدبة الجنة، والداعى محمد [صلى الله عليه وسلم]) و(من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة) و(يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام) و(اثنتان من وقاه الله شرهما دخل الجنة: ما بين لحييه، وما بين رجليه)





بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -



و(اضمنوا لي ست خصال أضمن لكم الجنة).

ويعد هذا التشويق بالدعوة إلى الجنة تأتى حلقة تصف الجنة، ولا يمكن لوصف يحيط بها، وإنما تقرب حقيقتها الى الناس (يقول الله ـ عز وجل ـ أعددت لعبادى الصالحين: مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قُرّة أعين) و(هي ـ ورب الكعبة ـ نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة) و(لبنة من فضة ولبنة من ذهب، بلاطها المسك الأزفر... من دخلها لا ييأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم).

وفي حلقة تالية يتحدث عن أسماء الجنة وعددها وأنواعها، فمن أسمائها الجنة، ودار السلام، ودار الخلد، ودار المقامة، وجنة المأوى، وجنات عدن، ودار الحيوان، والفردوس، وجنات النعيم، إلى غير ذلك. وأعلاها الفردوس ومنها تفجر الأنهار الأربعة، ومن فوقها يكون عرش الرحمن.

وتأتى حلقة من القصص النبوي تتكلم عن أبواب الجنة وعددها، وكيفية فتحها والدخول منها، وسعة هذه الأبواب (في الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمي الريان) والأبواب مقسومة على أعمال البر، كالصلاة، والصوم، والجهاد، والصدقة وغيرها وهناك أبواب كثيرة أخرى، كباب الضحى، وباب محمد، وباب الرحمة، وباب الداخلين الجنة بغير حساب، وغير ذلك.

وفي سعة أبوابها يقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (.. إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر)، (.. لمسيرة أربعين سنة).

ولأبواب الجنة خزنة كبيرهم رضوان، وهو اسم مشتق من الرضا، ولدى الخزنة تعليمات ألا يفتحوا أبواب الجنة إلا لمن أمر الله بدخولهم الجنة، وفي مقدمتهم محمد {صلى الله عليه وسلم} (فآخذ بحلقة باب الجنة، فأقعقها، فيقال: من هذا؟ فيقال محمد، فيفتحون لي) ثم يدخل المؤمنون، وتلقاهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء.

وتوضح حلقة من القصص النبوى أن للجنة مفتاحا، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وهذا المفتاح له أسنان هي الطهور والصلاة وسائر أعمال البر، فإذا حصل المرء المؤمن على المفتاح، أعطى جوازاً بالذهاب إلى مكانه المخصص له: (لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية).

ويكشف القصص النبوى أن الجنة درجات حسب درجات ورتب الأعمال، حيث منازل الأنبياء، ومنازل الشهداء والصالحين، وقراء القرآن.. (فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، وأوسطها، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنة) و(إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم).

ويسرد القصص النبوي درجات ومنازل الجنة حتى يصل إلى أعلاها، وهى الوسيلة درجة عند الله ـ عز وجل ـ ليس فوقها درجة، لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله (وأرجو أن أكون أنا هو) أي رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

وأما أدنى أهل الجنة، وليس فيهم دنيء (لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم..) ـ ويحدثنا الصادق المصدوق عن قصور الجنة وغرفها وخيامها ومساكنها الطيبة (قصر من لؤلؤ في الجنة، في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء) و(إنه ليجاء للرجل الواحد بالقصر من اللؤلؤة الواحدة، في ذلك القصر سبعون غرفة) و(إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها) و(إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب

الدرى) وللمتحابين في الله (٠٠ لعلى عمود من ياقوتة حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة، يضيء حسنهم أهل الجنة).

وهذا وصف حقيقي، وهو وصف دقيق ومعجز لأى خيال وتصور، ولا يتأتي إلا لنبي معصوم لا ينطق عن الهوى: (إنه أسلوب منفرد في هذه اللغة، قد بان من غيره بأسباب طبيعية فيه، وأن ما أشبهه من بلاغة الناس في الكلمات القليلة والجمل المقتضبة، لا يشبهه في العبارة المبسوطة، ولا يستوى له الشبه مع ذلك في كل قليل، ولا في كل مقتضب، حتى يقع التنظير بين الأسلوبين على الكفاءة، وحتى يميل الحكم إلى الجزم بأن بعض ذلك كبعضه، بلاغة ونسقا وبيانا)[١].

والمتأمل لوصف مساكن أهل الجنة يوقن بأن ذلك المضمون والمنظوم هو من املاء الحكيم الحميد (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) من ذلك - إلى جانب ما أشرنا إليه - قوله [صلى الله عليه وسلم]: (دار المؤمن في الجنة درة مجوفة، في وسطها شجرة تنبت الحلل) و(إن دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة، فيها أربعون بيتا، في وسطها شجرة تنبت الحلل).

فهذا التصوير الحقيقي بهذا الأسلوب البلاغى لقصور الجنة ودورها وغرفها، لا تستوعبه معاجم اللغة، ولا يمكن لخيال البشر أن يقع على هذه الصور، وما سمع أحد أو قرأ للسابقين أو المقلدين من اللاحقين من أتى بهذه المضامين. ومن هنا ندرك أثر وتأثير القصص النبوي، إلى جانب القرآن الكريم، في بعث اللغة وتجديدها وارتقاء الفنون الأدبية، والهندسة المعمارية والزخرفية وغيرها لدى المسلمين عبر العصور التى أعقبت البلاغة القرآنية والنبوية.

وتأتي حلقة من القصص تبين كيف يرقى المؤمن إلى هذه الدرجات، وبأى وسيلة؟ فتكون تلك الوسيلة هى سلالم لها درج بعدد آيات القرآن الكريم: (درج الجنة على عدد آي القرآن، لكل آية درجة) وتقول عائشة - رضي الله عنها - (٠٠ فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن) و(يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد٠٠).

وهكذا تتوالى حلقات القصص النبوى في سرد وتصوير فرش أهل الجنة، وبناء الجنة وتربتها وأنهارها وسحبها وأمطارها، وجبالها وأوديتها، وطعام أهل الجنة وشرابهم وآنيتهم، وثمار الجنة وفاكهتها وزروعها. كذلك الكلام عن المطايا والخدم من الولدان والغلمان، وصفة الزوجات من نساء الدنيا والحور العين، ومهور الحور العين، ويجيب القصص النبوى عن مآل المرأة التي تزوجت في الدنيا بأكثر من واحد لمن تكون؟ وعن الجماع والولد في الجنة، والغناء والطرب وكيفيتهما، وعن الأطفال ودخولهم الجنة ممن لم يبلغوا الحلم من أبناء المؤمنين وأبناء المشركين.

وبعد التشويق بما في الجنة مما سبق عرضه يأتى القصص إلى ما يحدث قبل دخول الجنة وكيفية الدخول، وعن البطاقات أو التصاريح التي يدخلون بها، وهو كتاب مرقوم عند خروج الروح للكافر والمؤمن، غير أن كتاب الأبرار يكتب ويوقع لهم عليه بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين. ومع ذلك فدخول الجنة بفضل الله ورحمته (إنما الأشياء برحمة الله).

وفي القصص النبوي أول من يفتح باب الجنة محمد [صلى الله عليه وسلم] الذى يقول: (إلا أن امرأة تبادرني، فأقول لها: مالك ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى) ثم يتوالى الدخول بعد النبي [صلى الله عليه وسلم] من الأمم والفئات والأصناف الذين ورد ذكرهم في الروايات. وعند دخول الجنة يتجهون إلى منازلهم: (فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا).

ويفتح القصص النبوى الأمل أمام العاملين بأن

الجنة لا تضيق بأحد، فيدخل الله فيها برحمته من يشاء وبشفاعة الشافعين، ومع ذلك: (ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقا آخر مما يشاء).

وفي الجنة سوق كأسواق الدنيا، لكن في الجنة يذهبون إليه يوم الجمعة، فتهب عليهم ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم.. فيرجعون إلى أهلهم، وقد ازدادوا حسنا وجمالا أو كما قال [صلى الله عليه وسلم]: (إن في الجنة لسوقا، ما يباع فيها ولا يشترى إلا الصور، من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها)!!

وأهل الجنة يتزاورون، يزورون ربهم، ولهم مجالس عنده، ويرحب بهم ويحتفي ويأمر الله - تبارك وتعالى - داود - عليه السلام - فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، وتوضع لهم مائدة الخلد، فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون، ويقرئهم السلام ويكلمهم ويكلمونه وتحقق لهم الحسنى وزيادة برؤية الله.

ويزور أهل الجنة بعضهم بعضا (.. إن من نعيم الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والبخت..).

وأهل الجنة في نعيمهم يرون من كُوَى الجنة أهل النار، ويخاطبونهم في انكارهم للبعث والحساب.

ولا نوم في الجنة والخلود فيها أبدي، وهي تتكلم وموجودة الآن، وآخر دعوى أهلها (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن)، (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين).

نظرة إلى النقد الأدبي الحديث والمضمون:

ونحن نحاكم النقد الأدبي في ضوء القصص النبوي، وكما قلت في أكثر من موضع في هذه الدراسة لا يصح أن نحكم أو نحاكم القديم أو السابق في ضوء الجديد أو اللاحق، ولا أدب أمة بأدب أمة أخرى[٢]: (وفي الحق إن في الكتب العربية القديمة كنوزا، نستطيع إذا عدنا إليها وتناولناها بعقولنا المثقفة ثقافة أوربية حديثة أن نستخرج منها الكثير من الحقائق، التى لا تزال قائمة حتى اليوم، وإن كنا حريصين على أن لا يستفاد من دعوتنا إلى تناول التراث القديم بعقولنا الحديثة، أي إسراف باقحام ما لم يخطر بعقول أولئك المؤلفين القدماء من نظريات وآراء، كما أننا حريصون على ألا نجهل أو نتجاهل الفروق الأساسية الموجودة بين الأدب العربي وغيره من الآداب الأوربية بما يستتبعه ذلك من تفاوت كبير في مناهج النقد وموضوعاته ووسائله).

وأما النصوص المقدسة وهى القرآن والسنة فلها خاصية أشرنا إليها من قبل وهى أنها وحى قائم على الحقائق البعيدة عن الخيال وسائر الوسائل التى يلجأ إليها أصحاب الفنون الأدبية والجمالية.

وإذا تأملنا في الفنون الأدبية ومذاهب النقد الحديثة نرى تأثرها بتراث الماضى من مقدسات في سائر الأديان، ومن آثار الأمم في العصور القديمة والوسيطة حيث إن هذه الجذور تمتد الى الأجيال التالية، وإن بدت ثورة المحدثين على تراثهم القديم لأن الإنسان لا يمكن أن يعيش أو يتجاهل الواقع المشاهد من هذه الآثار القديمة أو أن يصم فكره ووعيه عن التراث الثقافي والحضارة الإنسانية، وهذا ثابت في دعائم النقد الأدبي عند الرومانتكيين في اعتمادهم على (تاريخ الأدب) و(الأدب المقارن).

ومن غير شك أن تراثنا العربي - وهو مستمد من القرآن والسنة - له تأثير في الآداب العالمية على اختلافها في الزمان والمكان، وهذا ما يقرره البحث العلمي السليم، ويتضح ذلك في قصصنا العربي في القرون الوسطى[٣]، (ولا نجد أن أدبنا القديم توافر له نوع من الأدب القصصي، وقد يكون من دواعى الغرابة، أننا في العصور السالفة، قد أثرنا بهذا الأدب القصصي في الآداب العالمية، أكثر مما أثرنا بشعرنا الغنائى، الذى كان الجنس الأدبى الأثير الغالب على أدبنا قبل العصر الحديث.. كيف

أثرت المقامات العربية في قصص الشطار الأسبانية، ثم الفرنسية التى تأثرت بدورها بهذا النوع من القصص الأسبانية، وكان لقصص الشطار - بالطابع الذى أخذته عن المقامات العربية - تأثير بالغ المدى في نشأة قصص العادات والتقاليد في الأدب الفرنسى، كقصة (جيل بلا) للكاتب الفرنسي لوساج. ثم أثرت قصص العادات والتقاليد بدورها في قصص القضايا الاجتماعية التى كانت من بواكير القصة الحديثة العالمية في معنى القصة الفني، فكان للمقامات العربية تأثير مباشر وغير مباشر في نهضة القصة العالمية).

وفي بداية هذه الدراسة، وفي ثنايا بعض موضوعاتها عرضنا التأثير المباشر وغير المباشر للقصص النبوي على القصص الأوربي في بداية النهضة الأوربية، كما وقفنا مع عروض لهذا التأثير في (الكوميديا الإلهية) لدانتى.

وبالتأمل في القصص النبوي للجنة ونعيمها، وهو قصص حق، على لسان من لا ينطق عن الهوى، ذلك الوصف والمضمون الذى تتراجع عقول البشر عن الاقتراب إلى عالمه، إضافة إلى التدقيق والتفصيل لخفاياه منذ احتضار المؤمن إلى استقراره في عالم الخلود الأبدى.

نقول بالتأمل في هذا المضمون نرى أحدث القصص في عالم الرومانسية ينزع إلى الإغراب والفرار والغموض أو الدخول في عالم الأسرار طمعا في تشويق القاريء ليجرى وراء المخاطرات ويجسم له في تصوير الحوادث في مجتمعات مختلفة وكل ذلك للهروب من الواقع، ولعله امتداد لما ورثوه من مفكري القرن الثامن عشر في فرنسا وانجلترا والمانيا، ولكن الرومانتيكيين صبغوه بصبغتهم الحالمة، وبثوا فيه شعورهم القوى التأثر[٤] (ومن القصص الرومانتيكية ما يسمى (القصص الأجنبية) وتدور حوادثها في بلاد أخرى غير الذى يقيم فيه المؤلف، ولم يخترع الرومانتيكيون هذا النوع، وإنما ورثوه من القرن الثامن عشر، ولكن في ذلك القرن كان الكتاب لا يصفون من البلد الآخر إلا بقدر ما يساعدهم على تصوير الحوادث وعرض الآراء) ولهم في هذا المجال (قصص العجائب) و(القصص التاريخية).

هكذا نرى التراث الثقافى والحضارى يؤثر في عصر بعد عصر حتى يصل إلى عالم اليوم ولكن في عالم اليوم تتغلب الأباطيل بانقلاب الموازين والمفاهيم، فالأدب العربي لا يعرف القصص، وقصص التراث ليست لها قيمة في الشكل أو المضمون وتشتد الحملات على كل أدب يتصل بالدين. وهي حملات لا تخفى دوافعها ولا غاياتها. ويصدقها ويذيعها أصحاب الثقافة الضحلة، أو النفوس المريضة والحاقدة.

ومع وضوح الزيف وتفاهة المضمون في القصص الحديث، وجريه وراء كل مدهش غريب، لا يعبر إلا عن نزوة طائشة، وغرائز وعواطف غير سوية، تتوالى وتكثر في ملايين القصص التى تغمر الأسواق، وتشغل قراء عالم اليوم، نقول مع ذلك فإن القصص الحديث لدى نقاد الشرق والغرب هو المثال الذي يُحْتَذَى وبه يقتدى. وللأسف الشديد قد تعمقت هذه المفاهيم على مدى أكثر من قرن من الزمان وليس من السهل العدول عنها، لأن الغزو الثقافي لقنه لجيل بعد جيل، ثم استقر في عقيدة جيل يملك ويتحكم بسلطان المناصب والجاه والنشر والتوجيه.

ويؤخذ على القصص الحديث - دون أن نقارن أو نوازن بينه وبين القصص النبوى - عدة أمور[٥]:

١ - اشتمال القصة الحديثة على الحوادث المدهشة الغريبة للفت النظر والتشويق لدى القراء الذين تأخذهم المدهشات، فذلك مما يقلل من خلود القصة وبقائها زمنا طويلا.

٢ - تصوير القصة بعيد عن واقع الحياة، فهى زور وبهتان، إذ المعروف أن القصة لا تتم في مجال الحياة بالصورة التى يسكبها الروائى، فتفقد قيمتها أو تحول مجراها إلى ناحية تافهة، فتفتر أو تنسى.

٣ ـ تفقد القصة الحديثة الحقائق القوية ذات الأثر البعيد في سير الحياة الإنسانية فلا تبعث عواطف عامة قوية يشترك فيها الأفراد جميعا.

٤ ـ اكثر القصص مادتها الرئيسية هي الحب، على أن انفراد الحب الباكر بتكوين مادة القصص وبواعثها لا يكسبها درجة أدبية، ولا قوة عميقة خالدة، لأن الأدب العظيم هو الذى يصور الطبيعة الإنسانية بجهودها العظيمة وطاقاتها الأصيلة، كالعواطف القوية، والإرادة الصارمة، والتجربة العميقة الشاملة.

٥ ـ يبتعد كثير من القصص الحديث عن المادة التي تمتعنا بعرض الأخلاق الكريمة، وتصوير الحياة الإنسانية في مظاهرها الهامة، والتى تختار من التجارب والشخصيات والأعمال ما يثير في نفوسنا أصدق العواطف وأسماها.

وقد تركزت الجهود وتضافرت القوى المختلفة من الشرق والغرب على ترويج وإشاعة المضمون القصصي الحديث، وجعله النموذج الرائج في غزو الحياة المادية وجنى ثمارها، والوصول إلى عالم الوجاهة والسلطة وصدارة المجتمعات، كل ذلك على حساب المضمون والقيم التراثية المشبعة بروح العربية وروح الإسلام، وبدت النظرة بروح السخرية والاستخفاف من كل أدب يميل أو ينزع بأى صورة أو ينتمى اليها[٦] (ذلك أن المستشرقين وأتباعهم من العرب والمسلمين، قد ركزوا كل جهودهم في ترجمة الآداب والاجتماع والفلسفة والتاريخ وعلم النفس، والروايات القصصية، وكتب الإلحاد والتحلل والاضطراب الفكرى التى ظهرت في أوربا.

وقد برع بعض الكتاب في هذا اللون، فترجموا لنا قصص الخلاعة والمجون والتحلل، لسارتر وسيمون دى بوفوار، وقصص شكسبير وغيرهم). وأكثر ذلك القصص من لهو الحديث، وشغل المسلمين عما يذكرهم بأصول عقيدتهم ويرسخ قيمهم الإسلامية، فيعيشون بين اللهو أو الدوران في فلك أعدائهم.

لكن القصص النبوى من أهم مضامينه التى أشرنا إليها في بداية كتابة هذه الدراسة يتوخى مقاصد الرسالات السماوية، وترسيخ الإيمان في نفس الإنسان، الإيمان بالله وصفاته والوحى الحق المنزل على الأنبياء والمرسلين، والإيمان بالبعث، والثواب والعقاب، والجنة والنار والإيمان بالقضاء والقدر، والإخلاص في السر والعلن ابتغاء مثوبته، ويجعل المؤمن بين الرجاء والخوف، والبعد عن الرياء والكبر، والرفق بالفقير والمسكين وابن السبيل، ورحمة الإنسان والحيوان، وأن الإنسان مستخلف في الأرض، وأنه قد يحرم الرزق بسبب ذنوبه وغير ذلك، وعلى كل حال فالقصص النبوي يسعى إلى صلاح الفرد والجماعة، وتطهير الحياة من الفساد والإفساد، ويقوي جانب الخير، ويضعف جانب الشر، بل ويدفع الشر بالخير حتى لا تفسد الحياة على الأرض، ويصعب العيش عليها، وتكون بمثابة الغابة التى يسود فيها القوي، ويستذل فيها الضعيف، وتتكرر قصص الجبابرة الذين قال بعضهم: (أنا ربكم الأعلى).

وهذه المقاصد واضحة جلية في سائر القصص النبوي وفي قصص الجنة ونعيمها.

ـ للحديث صلة ـ

الهوامش:

(١) الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٣٥٨.

(٢) د. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب ص ٦.

(٣) د. محمد غنيمى هلال: في النقد التطبيقى والمقارن ص ١٤.

(٤) د. محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية ص ١٨٧.

(٥) أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب (بتصرف قليل).

(٦) د. سعد الدين السيد صالح: احذر الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ص ١١٥.

هل هناك مستقبل للصحوة الإسلامية؟!

* على مدى ثلاث حلقات متتالية سابقة وتحت عنوان رئيسي «الاستشراق والظاهرة الاسلامية» عرض الأستاذ الدكتور محمد عمارة ما سبق أن نشرته مجلة (الوسط) في ملفها الخاص عن (الاصولية الاسلامية) - وقد استطلعت فيه آراء ثلاثين من المستشرقين.
وكان عرض الدكتور عمارة شيقاً، وتحليله دقيقاً للآراء الواردة في ذلك (الملف).
وهذه الحلقة الرابعة والأخيرة من هذا العرض والتحليل.. والمنهل إذ يشكر الاستاذ الدكتور محمد عمارة على هذا التواصل العلمي الرائع، فانه ينتظر بكل التقدير جديد دراساته وبحوثه.

في «ملف» (الوسط) عن «الأصولية الإسلامية».. والذى استطلعت فيه آراء ثلاثين مستشرقا، يمثلون دول وتيارات ومذاهب وأجيال الاستشراق الغربى المعاصر.. وقف هؤلاء المستشرقون، فى ظاهرة المد الاسلامى وحركاته، أمام قضايا رئيسية خمسة.. قضية مصطلح «الأصولية» ومدى تطابق معانيها الغربية السلبية مع منطلقات وغايات وسمات الحركات الاسلامية؟.. وقضية الأسباب التى أفرزت وأبرزت هذه الحركات في العقود الأخيرة على وجه الخصوص؟.. وقضية الحقيقة والوهم في الكلام الشائع الآن عن «التهديد الإسلامي للغرب»؟..

ولقد تناولنا هذه القضايا الثلاث في الحلقات الثلاث التي سبقت من دراستنا هذه لهذا «الملف».

والآن.. وفي هذه الصفحات، نقف أمام رؤية المستشرقين لقضية «الوحدة.. والتنوع» في فكر وتوجهات الحركات الإسلامية.. وقضية «المستقبل» وهل لهذه الحركات منه نصيب؟.. وإذا كان، فبأية شروط؟؟.

الوحدة.. والتنوع:

على الرغم من أن هذه القضية - قضية الوحدة والتنوع في توجهات الحركات الاسلامية - لم تكن موضوع سؤال مستقل في «ملف» (الوسط).. إلا أن جميع المستشرقين الذين التفتوا إليها في إجاباتهم قد اجتمعت آراؤهم على أن الحركات الإسلامية المعاصرة، وخاصة في العالم العربي، ليست كتلة واحدة صماء.. ومن الخطأ اختزالها في تيار «العنف الراديكالي».. فهى ظاهرة فكرية وحركية شديدة التنوع - مع اجتماعها في إطار المرجعية الاسلامية العامة والمقاصد الاسلامية العامة.. فهى تتنوع بتنوع واقع البلاد التى تعمل



بقلم المفكر الاسلامي : أ.د. محمد عمارة
- مصر -

فيها كل حركة من هذه الحركات.. وبتنوع التحديات التى تجابهها هذه الحركات.. وباختلاف المرجعيات المذهبية لهذه الحركات - من «سنية» و«شيعية».. و«تجديد» و«تقليد» - وبتنوع مناهج العمل المعتمدة في عمل كل حركة من هذه الحركات.. فهناك الحركات التى تتخصص في «الدعوة» الخالصة لإضاءة القلوب بنور الاسلام.. وحركات العمل السياسي والاقتصادي لتغيير الواقع في هذه الميادين.. وجمعيات وجماعات العمل الخيري والاجتماعي.. وهناك الحركات التى ارتضت منهاج التعددية، والعمل وفق قوانين «لعبتها».. وهناك، أخيرا، حركات العنف والراديكالية السياسية والإرهاب. فهي حركات، وإن انطلقت من المرجعية الإسلامية، إلا أن فهمها للإسلام، ومنهاج عملها له، والجوانب التى تركز عليها من منهاجه الشامل، قد أوجد فيها العديد من «ألوان الطيف الاسلامي»، وذلك فضلا عن «ألوان طيف الواقع المتنوع» الذى تعيش فيه وتعمل على تغييره هذه الحركات.

وفي تقرير هذه الحقيقة - التى يغفل عنها - أو يتغافل - كثيرون - يشير المستشرق الايطالي «كلاوديو لوياكونو» فيقول: **«إن الحركات الإسلامية متنوعة بتنوع واقع بلدانها.. ومن الضرورى التميز فيها بين أولئك الذين يعتمدون على «الدعوة» الخالصة، محاولين إبقاء نور الدين الاسلامى مضيئا في قلوب المسلمين ومن يمكن اعتبارهم «ملتزمين ومنظمين سياسيا»**، وهم الذين يولون اهتماما أكبر للقضايا والمشاكل ذات الطابع السياسي والاقتصادى. ومن بين هؤلاء مجموعات تعمل بشكل حازم ضد حكومات بلدانها، وأخرى ركزت اهتمامها على العمل في المجالات الاجتماعية. وتوجد أيضا منظمات اختارت الإرهاب أساسا لعملها السياسي، فحددت لنفسها بذلك موقعا خارج التقاليد المعتدلة التى اتسمت بها الحركات «السنية» عبر التاريخ. كما توجد حركات اخرى ارتضت «قوانين اللعبة»، دون أن يفوتها التركيز على المسائل الاجتماعية الضرورية لإحداث تغييرات في الواقع المتنوع الألوان والاتجاهات. وينبغى التذكير بأن هناك اختلافات جذرية بين الأصولية «السُنّية» والأصولية «الشيعية»..

ويهتم المستشرق الانجليزي «فيردهاليداى» بالإشارة الى «الجامع» الذى يجمع هذه الحركات، فيرى أنها لا تقف عند «الماضي والتقاليد»، وإنما تعيد تفسيرهما كي تقدم برنامجا للحاضر والمستقبل.. ولا تقف عند «التبشير الدينى»، وإنما تتغيا أهدافا سياسية واجتماعية.. وانها جميعها تسعى لامتلاك السلطة السياسية.. فهذه «جوامع» تحتها تنوع واختلاف.. **«إن هذه الحركات تختلف بعضها عن بعض، إلا أنها تشترك في أمور ثلاثة:**

أولا: لا تمثل الحركة محاولة لإدخال الناس في دينها، بل لتعبئة هذه المجتمعات الدينية بقصد بلوغ اهداف سياسية.

ثانيا: فيما تستعين الحركة بالتقاليد، فإنها تعيد تفسير الماضى والتقاليد الدينية كى تقدم برنامجا سياسيا معاصرا عن التنمية الاقتصادية والاستقلال وقضايا اجتماعية.

ثالثا: أهم ما يعنى هذه الحركات هو الوصول الى السلطة السياسية والاحتفاظ بها.

أما المستشرق الفرنسي «دومينيك شوفالييه» فيميز في هذه الحركات الاسلامية بين «المتطرفين» و«المعتدلين»، كما يميز في عالم الاسلام بين «المسلمين» وبين «الاسلاميين»، فيقول: **«إن الحركة الاسلامية ليست بالضرورة حركة متطرفة. وأعرف مثقفين إسلاميين وأصوليين متمسكين بإيمانهم وقيمهم، لكنهم قادرون على الحوار، ومستعدون للسجال مع الذين لا يوافقونهم الرأى، سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين، وهم ليسوا أبدا انفعاليين كما يظن بعضهم».**

ويرى المستشرق الروسى «آرتورسعادبيف» أن في الحركات الأصولية - مع تجانسها الأيديولوجي - المعتدلون.. والراديكاليون.. كما يختلف تركيز كل حركة باختلاف التحديات التي تمثلها الأنظمة الحاكمة

في بلادها.. «في الحركات الأصولية اتجاهات معتدلة وراديكالية.. إنها متجانسة أيديولوجيا، واختلافاتها تعود في الدرجة الأولى إلى طابع الأنظمة الحاكمة التى تعارضها.. ففي سورية هناك انتقادات للاتجاه «العلمانى» وفي مصر معارضة للعلاقة بالغرب.. وفي الجزائر معارضة العنف، بإطلاق من قبل كل الأطراف..

وعن ضرورة اعتماد التعددية الحضارية - في العلاقة بين الاسلام والغرب - وذلك لنزع فتيل نزعات الحروب الحضارية والصليبية.. **واكد بعض المستشرقين على أهمية الحركات الاسلامية في مستقبل العالم العربي والاسلامي، لأن المستقبل - برأيهم - هو للتيارات ذات الرؤى الايمانية والدينية.. والإسلام هو محور النهضة ومرجعيتها في العالم العربي والاسلامي.**

ومن الشروط التى رأوها لازمة كي يكون للحركات الاسلامية فاعلية في مستقبل أوطانها ومجتمعاتها: ضرورة العمل على كسب ثقة الجماهير.. وتحسين صورة الطرح الفكري.. والعدول عن سبل وآليات الفتن في تحقيق المقاصد.. وتأسيس العمل السياسي الاسلامي على النهضة الدينية والروحية، استثمارا لحيوية الاسلام، الذى هو أكثر الأديان حيوية، والذى يحتاج الي نهضة دينية، وليس الى مجرد «إسلام سياسي».

ومن الآليات التى أشاروا بها، لإخراج بعض الاسلاميين من العزلة «الماضوية» دفعهم الى أن يجيبوا على أسئلة العصر ومشكلات واقعه.. ففي ذلك اكتشاف وتنمية للأرض المشتركة بينهم وبين التيارات الفكرية الأخرى.

كما نصحوا الذين يريدون سحب البساط من تحت أقدام الحركات الاسلامية مستقبلا، بأن يحلوا المشكلات والأزمات التى استدعت البديل الإسلامي، بعد أن فشل العلمانيون - بل وصنعوا - هذه المشكلات والأزمات.

فعلى سبيل المثال، رأى المستشرق الأمريكى «جون إيسبوسيتو» أن الحركات الاسلامية طرف فاعل فى المجتمعات الاسلامية، تشارك في الحوار حول شئونه، ويتوقف حجم نصيبها من النجاح أو الفشل على كفاءة أدائها، وآفاق الحرية في مجتمعاتها.. ذلك **«أن الجدال سيتواصل في المجتمعات الاسلامية، في خصوص قضايا تتعلق بالدين، والهوية الوطنية، والشرعية والمشاركة السياسية أو تطبيق الديمقراطية.. وستكون الحركات الاسلامية طرفا في النقاش حيث يسمح لها ان تساهم فيه. وسيلاقى الاسلاميون النجاح أو الفشل، شأنهم شأن أى حزب سياسي».**

أما المستشرق الايطالي «كلاوديولوياكونو» فينصح بضرورة «الحوار العقلانى» بين مختلف الفرقاء، لحل كل المشكلات.. إذ «لابد من إعلاء صوت العقل والحوار.. وهى مهمة عسيرة وصعبة للغاية، تحتاج الى عمل متواصل ورغبة صادقة».

ومعه - في أهمية الحوار - تقف المستشرقة الألمانية «جودرون كرامر»، التى تقول: **«أعارض استعمال العنف ضد الحركات الأصولية.. وأرى أن الحوار المفتوح مع هذه الحركات هو الحل الوحيد القادر على ان يخفف من حدة التوتر، وان يعطى لجميع القوى السياسية - داخل النظام وخارجه - الفرصة اللازمة للتفكير والتأمل والتحليل».**

أما المستشرق الأمريكي «جون فول» فيعظم من مكانة الحركات الاسلامية في مستقبل مجتمعاتها، لأن المستقبل هو لحركات الرؤى الدينية، وخاصة بعد تراجع العلمانية، وتضاؤل فعاليات برامجها.. **فالحركات الاسلامية «تتوقف درجة نجاحها في صياغة مستقبلها ومستقبل مجتمعاتها، على قدرتها على نيل تأييد شعبي وتحقيق تحسينات، بدلا من التسبب في فتنة مدمرة. وعلى وجه العموم، سيكون للرؤى الدينية الشاملة تأثيرات مرئية في المستقبل، مع تضاؤل فعالية البرامج العلمانية الحديثة».**

ومع هذا الرأى يقف المستشرق الامريكي «ريتشارد بوليت» الذى يرى الاسلام هو المرجعية

المرشحة للمشروع النهضوي، في العالم العربى والاسلامي «**فلا مفر من أن يلجأ المجتمع العربى والاسلامي إلى اعتماد الاسلام محورا له من جديد**».

ويعلق «جاك بيرك» نجاح الحركات الاسلامية في صياغة مستقبل مجتمعاتها على إقامتها مشروعها السياسي على الإحياء الدينى والنهضة الروحية الاسلامية.. وعدم الوقوف عند البرنامج السياسي فقط.. وعنده «**ان الحركات الاسلامية محكومة بالفشل إن لم تكن مؤسسة على نهضة دينية، وما لم تؤد إلى حركة شاملة (جامعة) في المجتمع، إنها إذا انطلقت من نهضة روحية أمكنها ان تبنى، شيئا فشيئا، نهضة اخلاقية للمجتمع المسلم. وفي هذه الحالة توفر الفرصة لبناء المجتمعات الاسلامية بناء قابلا لأن يدوم. فالاسلام طاقة وحيوية تدعو إلى الاحترام، إنه دين حي جدا، وربما أكثر من الأديان الأخرى، ومن هنا حاجته الى نهضة دينية**».

أما المستشرق الألمانى «ستيفان فيلد» فإنه يدعو إلى دفع الأصوليين المتطرفين لمواجهة العصر، وذلك بتقديم أجوبة واضحة على المسائل المطروحة.. ومساعدة المثقفين العرب المستنيرين - بواسطة أوربا - على بلورة حلول للمشكلات .. والعمل على ردم الهوة بين الشرق والغرب.. «**فعلينا أن نطالب الاسلاميين المتطرفين بتقديم أجوبة واضحة على المسائل المطروحة. أى ان ندفعهم الى مواجهة العصر. وعلى أوربا أن تساعد المثقفين المستنيرين في العالم العربي على البحث عن حلول.. وأن تتيح لهم فرصة التعرف بعمق الى حضارتها وثقافتها وعلومها، حتى لا تتسع الهوة بين الشرق والغرب من جديد، وتنفتح الأبواب على مصراعيها أمام أولئك الذين يتحدثون طول الوقت عن حروب صليبية**».

وإذا كان هذا الرأى قد حبذ تحسين «الحالة العلمانية» بواسطة أوربا.. فإن المستشرقة الألمانية «أردموتة هيللر» قد وضعت شروط تحسين هذه «الحالة العلمانية» حتى تستطيع مقاومة المد الاصولى .. فلابد - برأيها - من تغيير العوامل التى صنعت أزمة النظم الحاكمة، وذلك باقامة العدل.. والقضاء على الفساد والرشوة.. وإصلاح التعليم.. وتحقيق الديمقراطية.. وإعادة الاعتبار الى المثقفين .. وإقامة مجتمع مدنى حقيقى.. «فليس هناك، لمقاومة المد الأصولي، سوى طريقة واحدة: توزيع خيرات البلاد توزيعا عادلا، والقضاء على مظاهر الفساد والرشوة.. وإصلاح مناهج التعليم.. وتحقيق الديمقراطية.. وإعادة الاعتبار الى المثقفين.. وإقامة مجتمع مدنى حقيقى ولو بصفة نسبية.

هكذا تحدث المستشرقون عن المستقبل.. وعن مكانة الحركات الاسلامية في هذا المستقبل.. وعن شروط تخفيف التوتر بينها وبين تيارات الفكر الأخرى.

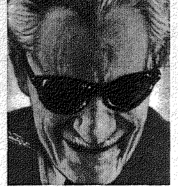
لكن المستشرق الألمانى «أودوشتاينباخ» قد انفرد بتجريد الحركات الاسلامية من أي نصيب في هذا المستقبل.. فهى حركات ضعيفة.. تعانى من فراغ نظرى.. وستنصرف عنها الجماهير عندما تكتشف أن وعودها ليست أكثر من تهويمات، فتقف وحيدة عارية على قارعة التاريخ!.. «إن هذه الحركات لا يمكنها أن تجد، لا في الماضى القريب ولا البعيد، نظاما ما إسلاميا يمكنها أن تقتدى به، وتستمد منه حلولا جذرية وحين تدرك الجماهير أن الحلول التى تلوح بها الحركات الاسلاموية، ليست سوى تهويمات.. فإنها سوف تتخلى عنها، وتتركها وحيدة وعارية على قارعة التاريخ».

على هذا النحو تناول المستشرقون الثلاثون أخطر ظواهر العصر الذى نعيش فيه.. الحركات «الأصولية» الاسلامية.. فعرضوا، من خلال الإجابة على أسئلة (الوسط)، لمختلف جوانب هذه الظاهرة.. الأمر الذى جعل من هذا «الملف» الذى نشرته (الوسط) في اعدادها السبعة (٩٦ - ١٠٢) - (٢٩ - ١١ - ١٩٩٣م - ١٠ - ١ - ١٩٩٤م) - مرآة الاستشراق الغربى لأخطر ظواهر الشرق العربى والإسلامى.

إنه جهد صحفى متميز.. حبذا لو تحول الى كتاب يضاف - في المكتبات - إلى ما فيها عن الظاهرة الاسلامية من مؤلفات.

طه حسين وانتصار النموذج الأوروبى







د. طه حسين — رفاعة رافع الطهطاوى

لم يمض على مجيء الاستعمار الى مصر سنوات، الا وولد طه حسين سنة ١٠٨٩م.

انتهت النزعة التوفيقية، التى كانت سائدة بين علماء القرن ١٩، انتهت بطبيعة الحال الى انتصار النموذج الأوربي.

فقد كان علماء القرن التاسع عشر أو معظمهم، يقولون بضرورة الجمع بين الدين والدنيا، أو بعبارة أخرى بين التراث العربى الإسلامى والحضارة الأوربية، وراحوا يلتمسون في نصوص السلف الصالح وفي مواقفهم ما يثبت أنهم لا يقفون ضد تيار التحضر والتمدين، كانوا يبغون بذلك أن يضفوا الشرعية على منجزات الحضارة الأوربية.

وأقول «بطبيعة الحال» لأن تلك التوفيقية كانت تحمل في تضاعيفها انتصارا للنموذج الأوربي وإن كان متخفيا، وبهرا بالحضارة الأوربية وإن كان متسترا، **فقد فهم علماء القرن التاسع عشر من الدنيا أنها دنيا الحضارة الأوربية**، ولم يستطيعوا حتى أن يفكروا في أنه من الممكن أن تكون لهم دنيا هى دنياهم، ومن الممكن أن تكون لهم حضارة جديدة هى حضارتهم، لو اتجه التفكير هذه الوجهة لاتخذت النزعة التوفيقية، اتجاها آخر يجعل هناك نماذج حضارية أخرى، يمكن أن تقف جنبا الى جنب مع النموذج الأوربي، بل ربما يمكن أن تقدم البديل المناسب لهذا النموذج، ومن هنا تتخذ عبارة «الجمع بين الدين والدنيا» مفهوما آخر لا يركز بالضرورة على دنيا وحضارة من صنع الغرب.

كانت نزعة التوفيقية تحمل في طياتها الانتصار للنموذج الأوربي، وتمادت الأمور، وظهر طه حسين، وما كان متخفيا أصبح ظاهرا، وما كان متسترا اصبح جهارا.

كانت نبرة الإعجاب بالنموذج الأوربى، تتخفى عند الطهطاوى وراء السطور. وكان يخالطها شيء من الأمل في أن ينبعث الماضي، فيحقق ما حققه النموذج الاوروبي، وكان أمله يحوم حول مشايخ

بقلم : د. عبد الحميد ابراهيم
- مصر -

الازهر، الذين اهتموا بما كان يسميه «العلوم الحكمية» وهو يعنى الخبرة بشئون الحياة، ومتابعة المنجزات الحديثة.

ولكن النموذج الأوربى كان قد انتصر، واستقر الاستعمار الانجليزى في مصر، وأخذ يبشر بحضارته ومنجزاته المادية والعلمية.

وجاء طه حسين يعكس ظروف تلك اللحظة التاريخية، فلم يعد في حاجة الى إخفاء إعجابه بالنموذج الأوربي، ولم ييأس على الماضي، ولم يعقد أمله على مشايخ الازهر الشريف.

وصدر كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» سنة ١٩٣٨، ليكون وثيقة إعلان انتصار النموذج الأوربي، إنه يرى أن دعوة الخديوي إسماعيل إلى أن تكون مصر قطعة من أوربا، ليست فنا من فنون التمدح، أو لونا من ألوان المفاخرة، وإنما كانت مصر دائما جزءا من أوربا، في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها وأنواعها (ص٣٥).

ويحشد هذا الكتاب بابتهاج شديد مظاهر انتصار الحضارة الأوربية على المجتمع المصرى في القرن التاسع عشر. ويرى أنها أصبحت المثل الأعلى لنا في حياتنا المادية والمعنوية، وعلى قدر حظوظنا من القدرات والاجتهادات يكون قربنا من هذا المثل الذى يظل يغرينا من بعيد ونحن نقترب منه.

ففي حياتنا المادية «نأخذ بأسباب الحياة الحديثة على نحو ما يأخذ بها الأوربيون في غير تردد ولا اضطراب، حياتنا المادية أوربية خالصة في الطبقات الراقية، وهى في الطبقات الأخرى تختلف قربا وبعدا عن الحياة الاوربية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات وحظوظهم من الثروة وسعة ذات اليد، ومعنى هذا «أن المثل الأعلى للمصرى في حياته المادية، إنما هو المثل الأعلى للأوربي في حياته المادية» (ص٤٠).

والأمر كذلك في حياتنا المعنوية «والتعليم عندنا على أى نحو قد أقمنا صروحه ووضعنا مناهجه منذ القرن الماضى، على النحو الأوربى الخالص ما في ذلك شك ولا نزاع. نحن نكون أبناءنا في مدارسنا الأولية والثانوية والعالية تكوينا أوربيا لا تشوبه شائبة» (ص٤٦).

إن النموذج الأوربى لم يعد قابلا للنقاش عند طه حسين، كما أن الظواهر الأوربية التى تغلبت على حياتنا المادية والمعنوية، لم يعد يفهمها طه حسين مرتبطة بلحظتها التاريخية، ولم يعد ينظر إليها بموضوعية من خلال تراث المنطقة، بل تحولت عنده إلى حقائق فعلية يمكن أن يبنى عليها نتائج تتخذ مظهر النظرية العلمية، إن النتيجة لكل هذا لا تقبل النقض وهى يجب أن «نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم، لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره. وما يحمد منها وما يعاب، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع» (ص٥٤).

فإذا كان **الطهطاوى** قد لخص باريس على صفحات الورق، ووضعها بين عينى القارىء يغريه بها.

وإذا كان **على مبارك** قد حول هذه الصفحات الى واقع فعلى، يعايشه المواطن المصرى صباح مساء.

فإن **طه حسين** جاء ليبارك هذا الواقع، وليضفي عليه مسحة شرعية، وليلبسه ثوب النظرية العلمية التى لا تقبل النقض.

وراح يكسو تلك النظرية المظهر العلمى الذى يعتمد على حقائق التاريخ ومسلمات الجغرافيا.

فالجغرافيا تقدم لنا مصر مرتبطة بموقعها على

الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، في مواجهة دائما مع أوربا التى تقف على الساحل الشمالي. والتاريخ يتحدث باستمرار، ومنذ عهد الفراعنة عن صلات ثقافية مستمرة بين مصر في الجنوب، والاغريق في الشمال.

أما صلة مصر بالإسلام فهى صلة طارئة، لا تتعدى في نظريته مجرد الشعور الدينى وإذا صح أن المسيحية لم تمسخ العقل الأوربى، ولم تخرجه عن يونانيته الموروثة، ولم تجرده من خصائصه التى جاءته من إقليم البحر الأبيض المتوسط، فيجب أن يصح أن الإسلام لم يغير العقل المصرى، أو لم يغير عقل الشعوب التى اعتنقته، والتى كانت متأثرة بهذا البحر الأبيض المتوسط (ص٣٢).

وإذن يجب على الأزهر في ظنه أن يبارك هذا الوضع، وأن يجعل الدين في خدمة النموذج الأوربي، وليس من الخير أن يكون الأزهر حربا على الحياة الحديثة، فإن هذه الحرب لا تجدي ولا تفيد، وإنما الخير والواجب أن يكون الأزهر ملطفا للحياة الحديثة، مخففا لأثقالها، ملائما بينها وبين ما يأمر الله به من الخير والمعروف، مباعدا بينها وبين ما ينهى الله عنه من الشر والمنكر (٤٣٦).

يخيل لي أن هناك تيارين في تاريخ الإنسانية، تيار شرقى يعظم من دور النبي ويعتمد على الدين. وتيار غربي يعظم من دور الفيلسوف ويعتمد على الفلسفة ويبدو أن بينهما صراعا لا ينتهى، وأن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا كما قال كيبلنج.

ولكن طه حسين يرى أنهما يمكن أن يلتقيا، وأن مقولة كيبلنج هذه غير صادقة (ص٣٥)، ولكن *التقاهما* يأتى في نظريته على حساب التيار الشرقى، إنه يلغيه تماما، ويخلصه من خصوصيته حتى يستطيع أن يندمج في التيار الغربي، ويصبح جزءا منه، فهو يقول «إذن فكل شيء يدل على أنه ليس هناك عقل أوربى يمتاز من هذا العقل الشرقى، الذى يعيش في مصر وما جاورها من بلاد الشرق والغرب، وإنما هو عقل واحد، تختلف عليه الظروف المتباينه المتضادة، فتؤثر فيه آثارا متباينة متضادة» (ص٣٨).

وهذه الفكرة التى تعنى في النهاية الالتقاء بين الشرق والغرب ولو على حساب الشرق، تتحول عند طه حسين إلى واجب قومى، يدافع عنه بحماسة، ويرى أن يتبناه المصلحون بعد فترة الاستقلال وظهور الديمقراطية فالواجب «أن نمحو من قلوب المصريين أفرادا وجماعات هذا الوهم الآثم الذى يصور لهم أنهم خلقوا من طينة غير طينة الأوربي، وفطروا على أمزجة غير الأمزجة الاوربية، ومنحوا عقولا غير العقول الأوربية» (ص٥٠).

كان يخيل لطه حسين، أنه يستطيع أن يخلص المصريين من الإحساس بالدونية، فيربطهم بالعقل الأوربى المتفوق، فهو لا يختلف عن العقل المصرى، والأوربى لا يتميز عن المصرى، ومن هنا لا يملك حق الافتخار، والإحساس بأنه من طينة أرقى.

وهو حل في ظنى يصدر من إحساس قوى بالتبعية فأن تمحو ذاتك لكى تصبح صورة من الشخص القوى، انما هو في حقيقته إمتهان للذات.

وكان من الطبيعي أن يؤدى هذا التفكير بطه حسين الى تلك الحقيقة النفسية، وأن ينكر هوية الشرق، وأن يجرده من خصوصيته لكى يضيع في النموذج الأوربي «وبعد، فهذا الشرق الروحي، ليس هو شرقنا القريب من غير شك، فشرقنا القريب كما رأيت هو مهد هذا العقل الذى يزدهى ويزدهر في

أوربا، وهو مصدر هذه الحضارة الأوربية التى نريد أن نأخذ بأسبابها، وما أعرف أن لهذا الشرق روحا يميزه من أوربا، ويتيح له التفوق عليها» (ص٧٨).

إن السؤال الذى طرحه طه حسين في بداية كتابه «أمصر من الشرق أم من الغرب» كان يحمل في تضاعيفه إحساسا كبيرا بالتبعية، وجاءت إجابته تعكس هذا الإحساس، فمصر ليست من الشرق الأقصى كالصين واليابان، وإنما مصر من الغرب الأوربي.

إنها إجابة تحمل قدرا كبيرا من الاستهانة بالذات، وتلغى ثقافة عريقة في تاريخ الإنسانية، وهى ثقافة الشرق الأوسط، إنها تفترض أن المواطن في تلك المنطقة الشاسعة حتم عليه أن ينحاز إلى أحد الخيارين المطروحين، الشرق الأقصى أو الغرب الأوربي أما أن يقدم ثقافة مميزة، فهذا ما لم يرد على ذهن صاحب السؤال وإلا لطرحه بصيغة أخرى، لا توقع في شرك إجابة جاهزة.

إن الإجابة عن هذا السؤال المطروح لا تعنى حتمية الإيجاب، أو الانحياز إلى أحد الطرفين، بل قد تكون سلبية، بمعنى أن مصر ليست من الشرق ولا من الغرب، ولكنها من منطقة الشرق الأوسط، من تلك الشجرة المباركة، التى هي لا شرقية ولا غربية، ولكنها وسطية، تضم الشرق والغرب معا وتتجاوزهما في أنظومته المميزة التى تقدم النموذج المتكامل، الذى يمكن أن يعيد الطرفين المتباعدين إلى التصالح والالتقاء على مفهوم جديد.

إن هذا معناه بالدرجة الأولى أن الوسطية العربية لا تعرف بأنها مع. أوضد، أي لا تعرف من خلال نموذج خارجى، ولكنها تعرف من داخلها، وليست مشكلتها مع أو ضد، فتلك هى مشكلة الآخر، إن أراد أن نكون معه أو ضده، فهو قراره، أما الوسطية فهى هي.

ليس حتما أن تقاوم التطرف بأن تقع في تطرف آخر، وليس حتما أن تقاوم التطرف في استخدام المذاهب الجديدة، بأن تخاصم كل ما هو جديد، أنت لست مع الغرب ولا ضده، وإنما أنت فوق ذلك، تجمع بين الشرق والغرب، أنت إذن وسطى، تحاور كل المذاهب من منطلق القوة، ومن منطلق اختيارك وحدك، ومن منطلق قرارك وحدك.

أراد طه حسين أن يجرد مصر من واقعها الأصيل، وأن يقترب بها الى النموذج الأوربي، هو حقا أراد أن يلحقها بمناطق القوة، حتى تشعر بالقوة، وحتى لا تحس بالدونية حين تقارن نفسها بالنموذج الأوربى، فهى أوربية أيضا، ولكنها قوة مجلوبة من خارج، يمنحها صاحبها متى ما شاء، ثم يستردها متى ما تعارضت مع مصالحه، هى قوة تجعل تاريخ مصر العريق، يبدأ من مظاهر التحضر في القرن التاسع عشر، أما ما عدا ذلك فهو تأثيرات طارئة، لا تتعدى المشاعر والعواطف الدينية.

إن الممثل «كين» في مسرحية سارتر، كان يمثل دور العظماء والملوك والقادة في مسرحيات شكسبير، ولكنه أبدا لن يكون عظيما أو ملكا أو قائدا، وحين اكتشف ذلك في نفسه، هجر أدوار العظماء وتزوج ابنة البقال، وأراد أن يكون هو.

إن طه حسين يريدنا أن نكون كالممثل «كين»، ولكن أبدا لن يكون هذا الطريق هو الطريق الصحيح لمعرفة أنفسنا، الطريق الصحيح أن نكون نحن، لا شرق ولا غرب، ولكننا فوق الشرق والغرب، ونجمع بينهما، ونضيف إليهما، في أنظومة جديدة، هى الوسطية الإسلامية.

إفساد السـ

الأحماض من الجذر الثلاثي (حمض) يقال: أحمض القوم: أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام، فهي مفاكهة ومؤانسة!
وهي لون فكاهيّ فني ساخر، يتناول مظاهر الحياة العاصرة كالمخترعات والمعاني الحديثة، ويصوغها على ألسنة أدباء العربية القدامى في عصورها الأولى الزاهرة بأسلوب حواري قصصي.

* موضوع الأحماض:
تتناول عدداً من مظاهر الثورة المعرفية والتقنية في العصر الحديث كالمخترعات والمعاني العصرية مثل: الكهرباء، والثلاجة، والتلفاز، والهاتف، والسيارة، والطائرة، والحاسوب، والمشروبات الغازية، والعولمة، والدكتوراة، والانترنت!

* أسلوب الأحماض:
يقوم على الحوار، ويفيد من أسلوب المقامات والقصة المعاصرة، ويتسم بالإيجاز والوضوح والرصانة، ويتجاوز حدود الزمان والمكان.

* أهداف الأحماض:
تهدف إلى إمتاع فؤاد المتلّقي، وإدخال السرور على نفسه، وإمداد عقله بشحنات من المعرفة الأدبية من خلال الخطوط التالية:

١ ـ تخيّل مواقف الأدباء القدامى من المخترعات الحديثة وردود أفعالهم لو كانت في زمانهم والتعريض بأدباء هذا العصر الذين لم يحتفوا كثيرا بهذه المخترعات المثيرة في أعمالهم الأدبية.
٢ ـ توجيه النقد السّاخر للمظاهر الزائفة في الحياة المعاصرة.
٣ ـ مناقشة بعض القضايا اللغوية المتعلقة بتعريب هذه المخترعات وأوزانها الصرفية، ومثناها وجموعها.
٤ ـ إثراء لغة الناشئين من المتلقين بالمفردات والتراكيب وأساليب البيان العالية.
٥ ـ تقدير الأدباء الأوائل، واستذكار أعمالهم وجهودهم في نهضة العربية والحفاظ عليها.
٦ ـ ربط الواقع المعاصر بالماضي الأصيل الزاهر للإسهام في البناء الحضاري الشامخ للأمة.

حدثنا ابن عصفور الإشبيلي[١] قال: حدثنا ابن سيدة[٢] قال: أخبرنا ابن القوطية[٣] أنه رأى أبا علي القالي[٤] لّما قدم من بغداد، ونزل الأندلس سنة ثلاثمائة وثلاثين للهجرة المباركة لعهد عبد الرحمن الناصر[٥]، وأنه رأى عجباً عجاباً!

قال ابن سيده: قلت يا أبا بكر فما كان من أمر القالي لّما نزل الأندلس؟

قال: وجد في ربوعها خيراً كثيراً، ونشر فيها علماً غزيرا، ولقي من حكامها عطاءاً وفيراً.

قلت: وما الذي دعاه إلى هجر بغداد حاضرة العلم ومنارة الأدب؟

قال: شدّة فقره، وعظمُ فاقته، وخمولُ ذكره، وهوانُهُ على الناس!

قلت: وكيف وصل إلى الأندلس، والمسافة جدّ شاسعة، والأرضُ بعيدة واسعة؟.

قال: وصلها «بالسيارة» طبعاً، وقطع المسافة في عشرة أيام قطعاً!

قلت: يا أبا بكر، أيعقل أن تقطع قافلة الإبل أو سيارة الخيل[٦] المسافة في عشرة أيام، وهي تستغرق ثلاثة أعوام؟!

قال: يرحمك الله، إنما قطعها «بالسيارة» وهي غير الإبل والخيل والدواب!

قلت: عجباً، وما السيّارة؟

قال: آلة من المعادن مصنوعة، فيها مقاعد موضوعة، كهوادج العرائس على روائع



بقلم: د. أحمد عطية السعودي
ـ الاردن ـ

اضاءة شخصية:

ـ د. احمد عطية ضيف الله السعودي ـ دكتوراة أدب ونقد.
ـ من مواليد الأردن ١٩٦٠م.
ـ له عدّة مقالات وبحوث منشورة في عدد من الصحف والمجلات المحلية والعربية منها:
* الرأي ـ الدستور ـ اللواء ـ النماء (الأردنية)
* منار الإسلام (الإمارات).
* الأدب الاسلامي (رابطة الأدب الاسلامي)

...سائقين لأذواق الراكبين

القلائص، تجري على عجلات جري الرياح العاتيات!

قلت: فما الذي يحركها، أهو ريح عاصف أم عفريت مارد، أم رعدٌ قاصف؟

قال: بل وقود يشتق من «النفط» تأكله كما نأكل الطعام!

قلت: ما أحسن هذه الرحلة! ونعم الرحالة على نعم السيارة[٧]، وكيف تلقاه الناس يا أبا بكر؟

قال: أستقبل بحفاوة بالغة، واصطف الناس في مواكب يتقدمهم الخليفة الناصر، وولي عهده الحكم[٨]، وقد أصابهم ذهول شديد، واستولى عليهم العجب، وأخذتهم الرهبة لما رأوا السيارة!

قال ابن القوطية: كان سائقها الأخفش[٩]، وكان الخليفة في بغداد قد أهدى السيارة إلى الخليفة الناصر الأندلسي، وحمل فيها مجموعة من المصنفات والقصائد المطولات، وساعة من الخليفة الراحل هارون الرشيد[١٠] الى ملك الفرنج «شارلمان»[١١] وشيئا من فواكه بغداد!

قلت: لله در أهل المشرق، لقد سبقونا في العلم والأدب والصناعة والعجائب!

قال: حقا، لقد تفوقوا في الصناعة أيما تفوق، وصنفوا في السيارات مجلدات، ولم يبقوا لنا شيئا غير الموشحات[١٢].

قلت: من صنف فيها من علماء المشرق يا أبا بكر؟

قال: أبو هلال العسكري[١٣] في كتابه «سر الصناعتين» وهما صناعة السفن والسيارات! والثعالبي[١٤] في «فقه اللغة وسرّ العربية» فقد ذكر في الفصل الثامن عشر في ترتيب السوابق أكثر من ثلاثين نوعاً للسيارات ذكر منها:

الداتسون، والهوندا، والفوكس، والشبح، وأنها عربية خالصة الأسماء!.

وقام عدد من رجال السير العرب بتصنيف كتب في إشارات المرور أشهرهم: ابن هشام[١٥] الشرطي الأنصاري فى كتابه «أوضح المسالك»!

قلت: فما كان حال أدباء الأندلس لمّا اجتمعوا بأبي علي القالي، وعرفوا السيارة العجيبة ذات المقام السامي؟

قال: طلبوا منه كتاباً عن رحلته وسيارته فأملى عليهم «الأمالي» ثم انبروا يصنفون في فضائل السيارة وفوائدها ما عنَّ لهم من خواطر وأشعار وحكايات، فصنف تلميذه الزبيدي[١٦]: «الواضح»، وصنف ابن عبدربه[١٧] «العقد الفريد» وصنف المقري[١٨] «نفح الطيب»!

قلت: هلا متعتنا برائق من الشعر الذي قيل فيها، فليس يحلو سمر إلا بشعر!

قال: زعم ابن عبد ربه في عقده الفريد أن «معروف الرصافي»[١٩] قال في وصف السيارة وبيان حالها وسرعتها، ونعت سروره وغبطته بها:

وفدفد قاتم الأعماق متسع
طويتُ أجوازه طيَّ المكاتيب!

بتومبيل جرى في الأرض منسرحاً
كما جرى الماء من سفح الأهاضيب

ينسابُ مثل انسياب الأيم تحمله
عوامل عجلات من دواليب

كأنها وهي بالمطاط منعلة
تمشي بأخفاف أنواق مطاريب

يمرّ كالريح لم تسمع لأرجله
سوى حفيف كنفخ بالأنابيب!

تظلُّه قبة فيه منجدة
فزانه حسن تنجيد وتقبيب

يخال من حلَّ فيه نفسه ملكا
يزهى بتاج على الفودين معصوب
فكنتُ أبصر حولي الأرض جارية
كمثل تيار بحر وهو يجري بي!
يلوح فضلُ الربى وصلا فأحسبها
من سرعة المرّ قد صفت بترتيب
تلك المطية لا ما كان يذكرها
أديب ذبيان من عيرانة النيب
ولم يهم لو رأى ابن العبد منظرها
من وصف عوجائة في كلّ أسلوب
ولا أطال ابن حجر وصف منجرد
عالى السَّراة كميت اللون يعبوب
لو امتطاها لبيدُ الشعر تاه بها
على الحواضر قدماً والأعاريب!

قلت: الله الله، ما أحلى هذا الوصف ، وأمتن الرصف، لا فض فوك يا أبا بكر، ولكن قل لي: كيف كانت صحبة الأخفش لأبي علي القالي؟

قال: كان الأخفش يسوق السيارة بمزاج حاد، وسرعة عالية، ويزعج القالي بالأغاني الماجنة حتى خشي الأستاذ على ذوقه من الفساد، وعلى ذهنه من الكدر، فلما وصل إلى قرطبة رمى به الحاكم في سجنها.

قال ابن سيدة قلت: يا أبا بكر، قد حدثتني طويلا عن رحلة القالي، وفي كنانتي اسئلة أودّ أن أنثرها بين يديك.

قال: هاتها وأوجز.

قلتُ: من الذى اخترع السيارة؟

قال: قُطرب[٢٠]! قلت: من قطرب؟ قال: هو أبو علي محمد بن المستنير تلميذ سيبويه صاحب «المثلثات» في اختراع السيارات.

قلت: ومن صنع حديدها؟ قال: ابن أبي الحديد[٢١] صاحب «الفلك الدائر على المثل السائر!

قلتُ: ومن صهره وركّبه؟ قال ظافر الحدّاد[٢٢]!.

قلت: ومن ركب أبوابها؟ قال: ابن البواب[٢٣] الخطاط المشهور!

قلت: ومن جهزها بالعجلات؟ قال: أحمد بن يوسف العجلي[٢٤] صاحب عبد الحميد الكاتب، وقد عيّنه المأمون وزيراً بوزارة المواصلات!

قلت: ومنْ دهّانها؟ قال: ابن الدّهان[٢٥] يرحمه الله هل في ذلك شك؟

قلت: ومن نسج فراء مقاعدها الوثيرة؟ قال: الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد[٢٦] وهو من أعلم النساجين، وله المنقوص والممدود، في الفراء الناعم والمشدود!

قلت: ومن خرط زجاجها وسوّاه؟ قال: هو الزجاج[٢٧]، وكان مصنعه قرب مدرسة البصرة النحوية، وله كتاب «الاشتقاق» يسترشد به عُمّال المصنع!

قلت: ومن الذي تمم البقية؟ قال: ابن البقية أبو الطيب ناصر الدولة[٢٨]!

قلت: يا ابا بكر، قد فرغتُ. قال: مازالت في صدرك أسئلة تختلج!

قلت: نعم الحُرُّ يعرفُ بالإشارة. قال: هاتها.

قلت: ما بال الأخفش يزعج عالمنا وشيخنا القالي بالأغاني، ألا يعرف قدر الرجل؟

قال: إنَّ الأخفش - هداه الله - قد فسد ذوقه لمّا قرأ كتاب «الأغاني» للموسيقار الشهير أبي الفرج الأصفهاني[٢٩]، فصار مبتذلا يجالس الدهماء عند «خزانة» الحموي[٣٠]، ويأكل الشطائر من «كشكول» العاملي[٣١]، ويتصفح الجرائد ليطلع على «عيون الأخبار»[٣٢]!

قلتُ: وكم لبث في سجن قرطبة؟

قال: بضع ليال، تم نفاه الخليفة الى المشرق، وفي طريقه اكتشف بحراً كبيراً لولا أنْ تداركه بعض الغواصين لكان من المغرقين، فسماه «المتدارك» فعبره، ونجا من أمواجه المتلاطمة!

قلت: فما كان من أمر السيارة؟

قال: نعم بها الخليفة زماناً، ثم سرقها لصوص مملكة «قشتالة»[٣٤] فانتقلت الى الغرب فظنوها دابة



فقدموا لها التبن والشعير!

قال ابن عصفور راوية هذه الحكاية العجيبة: ثم إنَّ ابن سيده صنف معجماً قصره على السيّارة ومعانيها سمّاه «المخصص» في سبعة عشر مجلداً، وجعل تاج معجمه رسالة القالي في كتابه الأمالي: «إفساد السائقين لأذواق الراكبين»!!

هوامش:

(١) ابن عصفور: أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي الاشبيلي، له في النحو والتصريف: المُقرَّب، والممتع في التصريف، ومختصر المحتسب لابن جني، ت (٦٩٣هـ).

(٢) ابن سيده: علي بن اسماعيل، لغوي أندلسي كبير، له «المخصص»، والمحكم والمحيط الأعظم» في اللغة، وكان ضريراً ت(٤٥٨هـ). كان أعلم زمانه.

(٣) ابن القوطية: أبو بكر، تلميذ أبي علي القالي، له كتاب الأفعال وتصاريفها، ت (٣٦٧هـ).

(٤) أبو علي القالي: اسماعيل بن القاسم، تتلمذ على ابن دريد وأبي بكر بن الأنباري، رحل الى الأندلس ونزلها سنة ٣٣٠هـ، وقاد فيها نهضة لغوية ونحوية خصبة، وكان موضع إجلال بين العلماء وعامة الناس، وقد عاش فيها نحو ثلاثين سنة وتوفي فيها سنة (٣٥٦هـ) وأملى فيها «الأمالي» وله كتاب «البارع».

(٥) عبد الرحمن الناصر: خليفة أندلسي حكم خمسين سنة (٣٠٠هـ - ٣٥٠هـ) وهو أعظم خلفاء الأندلس بنى قصر الزهراء، بلغت البلاد في زمانه أوج مجدها علماً وقوة وديناً ومالاً.

(٦) السيارة: هي القافلة، قال تعالى: {وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم}.

(٧) إشارة الى مثال يسوقه الفّراء وجماعة من الكوفيين على اسمية «نعم وبئس» بدخول حرف الجرّ عليهما في قول محبّ سار الى محبوبته على حمار بطيء السير: نعم السَّير على بئس العير!.

(٨) الحكم: ابن عبد الرحمن الناصر، ولي الخلافة بعد أبيه، وكان حازماً محباً للعلم. ت (٣٦٦هـ).

(٩) الأخفش: سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، إمام في النحو، وتلميذ سيبويه، له البحر «المتدارك».

(١٠) هارون الرشيد، خليفة عباسي، كان يغزو عاماً ويحج عاماً، ت (١٩٣هـ).

(١١) شارلمان: ملك فرنجي، حكم (٧٦٨م - ٨١٤) كانت بينه وبين الرشيد علاقات ودية.

(١٢) الموشحات: كلام منظوم على وزن مخصوص، لها أقفال وأبيات، وهي مشبهة بوشاح المرأة.

(١٣) أبو هلال العسكري: عالم في النقد والبلاغة، له «سر الصناعتين» ت (٣٩٥هـ).

(١٤) الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد، أديب متمكن في اللغة، له «يتيمة الدهر» و«فقه اللغة» ت (٤٢٩هـ).

(١٥) ابن هشام: صاحب قطر الندى، وأوضح المسالك، نحوي مصري ت (٧٦١هـ).

(١٦) الزبيدي: أندلسي ت (٣٧٩هـ).

(١٧) ابن عبد ربه: أديب أندلسي ت (٣٢٧هـ).

(١٨) المقري: أحمد بن محمد، رجل صالح صاحب «النفح» ت (١٠٤١هـ).

(١٩) معروف الرصافي: شاعر عراقي كبير ت (١٩٤٥م).

(٢٠) قطرب: عالم بصري ت (٢٠٦هـ).

(٢١) ابن أبي الحديد، عالم بالأدب، له شرح نهج البلاغة ت (١٢٥٧)م.

(٢٢) ظافر الحداد: شاعر.

(٢٣) ابن البواب: خطاط مشهور ت (١٠٢٢م).

(٢٤) العجلي: كاتب، وزير للمأمون ت (٨٢٨م).

(٢٥) ابن الدهان: صاحب الفصول في العربية ت (٥٦٩هـ).

(٢٦) الفراء: زعيم الكوفيين بعد الكسائي، ت (٢٠٧هـ).

(٢٧) الزجاج: من أكابر أهل العربية ت (٣١١هـ) عمل في صناعة الزجاج، له «معاني القرآن».

(٢٨) ابن بقية: وزير مشهور مات تحت أقدام الفيلة ت (٩٧٨م).

(٢٩) الأصفهاني: ناقد بليغ ت (٣٥٦هـ).

(٣٠) الحموي: عبد القادر بن عمر البغدادي ت (١٠٩٣هـ).

(٣١) العاملي: بهاء الدين صاحب الكشكول والمخلاة ت (١٠٣١هـ).

(٣٢) عيون الأخبار: كتاب أدب لابن قتيبة (٢٧٦هـ).

(٣٣) البحر المتدارك: بحر عروضي استدركه الأخفش على الخليل وزنه الشائع: فَعِلن فَعِلن فعلن فَعِلن فعلن فَعِلن فَعِلن فَعِلن.

(٣٤) قشتالة: مملكة قديمة في إسبانيا حاربت المسلمين في الأندلس وبخاصة بعد زواج إيزبيلا من فرديناند الثاني.

الضرائر الشعرية والنثرية في النحو العربي

لقد عُني العلماء - قديماً - بحفظ اللغة العربية، وخدمتها، وروايتها وضبطها، وحرصوا على نقائها.

ودافعهم في ذلك أنها لغة «القرآن الكريم»، قال تعالى: **{إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون}** (الحجر/ ٩)، وقال سبحانه: **{نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين}** (الشعراء/ ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥).

وقد جمعوا «الشعر العربي» لأنه ديوان مآثرهم، وسجل مفاخرهم وترجمان أفكارهم، وعنوان تراثهم، ورافع ألوية عظمتهم. وهو الذى حفظ على «العرب» تاريخ مجدهم الأدبي، الذي تاهوا ولا يزالون يتيهون به بين الشعوب والأمم، ويرفعون به الرأس عالياً، وأنه لتتجلى به قدرتهم على البيان وسحره.

ولما اتسعت رقعة البلاد، وكثرت الفتوحات الإسلامية، واختلط أبناء المسلمين العرب بالأعاجم تسرَّب اللحنُ إلى الألسنة.

قال «المبرد»[١] في «الفاضل» (ص٤):

(كان الصدر الأول من أصحاب رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يعربون طبعاً حتى خالطهم العجم، ففسدت ألسنتهم، وتغيرت لغاتهم).

فقام الغيورون من علماء العربية باستقراء كلام العرب - منثوره ومنظومه - بغرض وضع القواعد، وتثبيتها، لحماية الألسنة والأقلام من الخطأ.

قال «المبرِّد» في «الفاضل» (ص٥):

(ذكر أن السبب الذي بُني له أبواب النحو، وعليه أصلت أصوله أن ابنة «أبي الأسود الدؤلي[٢]» قالت: يا أبت ما أشدُّ الحرِّ! قال: الحصباء بالرمضاء.

قالت: إنَّما تعجبتُ من شدَّته. قال: أو قد لحن الناس؟ فأخبر عليا - رحمة الله عليه - فأعطاه أصولا بنى منها، وعمل بعده عليها، فأخذه عن «أبي الأسود» عنبسة بن معدان المهري الذي يقال له: «عنبسة الفيل»[٣].

تصدى علماء النحو العربي لظاهرة اللحن، وكان من أبرز مصادرهم بعد «القرآن الكريم»: «الشعرُ العربيُّ»، و«النثرُ العربي»، فقد استمدوا منهما أصول النحو وقواعده.

وقد عثروا في مسيرتهم هذه على ألفاظ وتراكيب تشذُّ عن الأصول التي استنبطوها، والقواعد التي قعَّدوها. وليس كلُّ شاذ أو نادر مرفوضاً، كما أنه ليس كلُّ مطَّرد مقبولا. وأبسطُ القول في ذلك: فقد قسم «ابنُ جني» في «الخصائص» (١ : ٩٧) الكلام إلى أربعة أضرب:

بقلم: د. محمود فجَّال
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
أبها - السعودية -

الأول: مطرد في القياس والاستعمال جميعاً، وهذا هو الغاية المطلوبة، والمثابة المنوية، وذلك نحو: «قام زيد»، و«ضربت عمراً» و«مررت بسعيد».

الثاني: مطرد في القياس، شاذ في الاستعمال، وذلك نحو الماضي من «يذر» و«يدع» وكذلك قولهم: «مكان مبقل» هذا هو القياس، والأكثر في السماع: «باقل» ، والأول مسموع أيضاً.

الثالث: مطرد في الاستعمال، شاذ في القياس، وذلك نحو: «استصوبت الأمر»، يقال «استصوبت» ولا يقال: «استصبت» ومنه «استحوذ»، و«أغْيَلَتْ[٤] المرأة».

الرابع: شاذ في القياس والاستعمال جميعاً، وهو كتتميم «مفعول» فيما عينه «واو» وذلك نحو: «ثوب مصوون»، «مسك مدووف»[٥].

ولا يحسن استعماله فيما استعملته العرب فيه إلا على وجه الحكاية.

واعلم أن الشيء إذا اطرد في الاستعمال، وشذ عن القياس، فلابد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلا يقاس عليه غيره، ألا ترى أنك إذا سمعت: «استحوذ» و«استصوب» أديتهما بحالهما، ولم تتجاوز ما ورد به السمع فيهما الى غيرهما. ألا تراك لا تقول في «استقام»: «استقوم»، ولا في استساغ «استسوغ»، ولا في «استباع»: «استبيع»، ولا في «أعاد»: «أعود»، لو لم تسمع شيئا من ذلك قياساً على قولهم: «أخوص الرِّمْثُ»[٦].

فإن كان الشيء شاذاً في السّماع مطرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك، وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله. من ذلك امتناعهم من: وذر، وودع؛ لأنهم لم يقولوهما..).

وقد وجد علماء العربية في تتبعهم واستقرائهم مفردات وأساليب خرجت عن قواعدهم، وشذت عن أصولهم التى أصلوها من كلام العرب الخُلّص، ولا يباح لهم أن يرفضوا هذا الشذوذ، أو الخروج عن القواعد، لأنه مطرد في الاستعمال.

فما كان من علماء النحو العربي إلا أن يصنفوا هذه المفردات، والأساليب تحت عنوان «الشذوذ» أو «الضرورة».

وقد اختلف «النحاة» في حدِّ «الضرورة»: ففي «الضرائر» لـ «الألوسي» (ص ٦ ـ ٨) بتصرف:

ـ ذهب الجمهور: إلى أن «الضرورة» ما وقع في «الشعر» مما لا يقع في النثر سواء أوجد للشاعر عنه مندوحة[٧] أم لم يوجد.

ـ ومنهم من قال: إنها ما ليس للشاعر عنه مندوحة. وبه قال «ابن مالك»[٨]، فإن «الضرورة» مشتقة من الضرر، وهو النازل مما لا مدفع له.

وقد بسط الردَّ على القول الثاني «أبو إسحاق، الشاطبي»[٩] في «المقاصد الشافية فى شرح الخلاصة الكافية». وتوسع في بيان هذه المسألة في (باب الضرائر) من كتابه: «أصول العربية» وحاصل ما ذكره في «شرح الألفية» أن هذا القول باطل من وجوه:

أحدها: إجماع النحاة على عدم اعتبار هذا المنزع وعلى إهماله في النظر القياسي جملة، ولو كان معتبراً لنبهوا عليه.

الثاني: أن «الضرورة» عند «النحاة» ليس معناها أنه لا يمكن في الموضع غير ما ذكر، إذ ما من ضرورة إلا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره. ولا ينكر هذا إلا جاحد لضرورة العقل. هذه «الراء» في كلام العرب من الشياع في الاستعمال بمكان لا يجهل، ولا تكاد تنطق بجملتين تعريان عنها، وقد هجرها «واصل بن عطاء»[١٠] ، لمكان لثغته فيها، حتى كان يناظر الخصوم، ويخطب على المنبر، فلا يسمع في نطقه «راء»[١١].. فكان إحدى الأعاجيب حتى صار مثلا.

ولا مرية في أن اجتناب «الضرورة الشعرية» أسهل من هذا بكثير. وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد أدى الى أن لا ضرورة في شعر عربي، وذلك خلاف الإجماع.

وإنما معنى «الضرورة» أن الشاعر قد لا يخطر بباله إلا لفظة ما تضمنته ضرورة النطق به في ذلك الموضع إلى زيادة أو نقص، أو غير ذلك بحيث قد يتنبه غيره إلى أن يحتال في شيء يزيل تلك الضرورة.

الثالث: أنه قد يكون للمعنى عبارتان، أو أكثر، واحدة يلزم فيها ضرورة إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال، ولا شك أنهم في هذه الحال يرجعون إلى الضرورة؛ لأن اعتناءهم بالمعاني أشدُّ من اعتنائهم بالألفاظ، وإذا ظهر لنا في موضع أن مالا ضرورة فيه يصلح هنالك فمن أين يعلم أنه مطابق لمقتضى الحال؟

الرابع: أن «العرب» قد تأبى الكلام القياسي لعارض زحاف، فتستطيب المزاحف دون غيرها، أو بالعكس، فتركب «الضرورة» لذلك.

وقد تعقَّب «أبو حيان»[١٢] ابن مالك في (مسألة الضرورة)، قال في «شرحه للتسهيل»: لم يفهم «ابن مالك» معنى قول النحويين في «ضرورة الشعر»، فقال في غير موضع: ليس هذا البيت بضرورة، لأن قائله متمكن من أن يقول: كذا، ففهم أن «الضرورة» في اصطلاحهم هي الإلجاء الى الشيء.. فعلى زعمه لا توجد «ضرورة» أصلا، لأنه ما من ضرورة إلا ويمكن إزالتها، ونظم تركيب آخر غير ذلك التركيب. وإنما يعنون بـ «الضرورة» أن ذلك من تراكيبهم الواقعة في الشعر، المختصة به.

ولا يقع في كلامهم «النثر»، وإنما يستعملون ذلك في الشعر خاصة دون الكلام).

وقد اختلف «النحاة» أيضا في محل «الضرورة» فمنهم من خصها بـ «الشعر» وحده، دون «النثر»، باعتبار أن «الشعر» فن له قافية ووزن، ومنعها في النثر.

والحق جوازها في «النثر المسجوع» أيضا، لأن السجع هو النطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن.

والحكم بامتناع «الضرورة» في «النثر» دعوى بلا دليل، وتقييد جوازه بـ «الشعر» تخصيص بلا مخصص.

وفي «همع الهوامع» (٢:١٥٨) بتصرف:

(المختار وفاقا لـ «الأخفش»، وخلافا لـ «أبي حيان» وغيره جواز ما جاء في الضرورة في «النثر»، للتناسب والسجع، نحو قوله [صلى الله عليه وسلم] فيما رواه الحاكم[١٣] وغيره: «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، وربَّ الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن» وكان القياس «أضلوا» فأتى بضمير مؤنث لمناسبة «أضللن»، و«أقللن».

وقوله فيما رواه «البزَّار»[١٤] في «مسنده» وغيره: «أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا»[١٥].

نوَّن المنادى المعرفة، ونصبه لمناسبة «إقلالا».

وقوله فيما رواه «البخاري»[١٦]: «أعيذُكما بكلمات الله التامَّة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامَّة».

«شيطان هامَّة» أي: حنش مخوف، و«عين لامَّة» أي: تصيبُ بسوء.

قال: «لامَّة» ليزاوج ويؤاخي لفظ «هامَّة»، لكونه أخفَّ على اللسان. والقياس: «مُلمَّة» من «ألممتُ بالشيء»).

والشواهد على «الضرورة النثرية» كثيرة في «الحديث النبوي»، والكلام الفصيح.

الهوامش:

(١) هو «أبو العباس، محمد بنُ يزيد» المتوفى سنة ٢٨٥هـ.

(٢) مختلف في اسمه، قيل: «عمرو بن سفيان»، وقيل: «ظالم بن عمرو بن سفيان» من كبار التابعين، مخضرم متوفى سنة ٦٩هـ.

(٣) انظر «مراتب النحويين» (ص ٢٣ ـ ٣٠).

(٤) يقال: أغيلت المرأة ولدها إذا أرضعته، وهي حامل.

(٥) أي: مخلوط أو مبلول ـ قال: (والمسكُ في عنبره مدووف) «لسان العرب» (دوف ٩ : ١٠٨).

(٦) الرِّمث: شجر ترعاه الإبل، وإخواصه أن يبدو فيه ورق ناعم كأنه خوصة.

(٧) المندوحة: المخلِص. والمتسع.

(٨) هو «محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، جمال الدين، أبو عبد الله، الطائي الجيانيّ» المتوفى سنة ٦٧٢هـ.

(٩) هو «إبراهيم بن موسى اللخميّ، الغرناطي» المتوفى سنة ٧٩٠هـ.

(١٠) أبو حذيفة، المعتزلي. طرده «الحسنُ البصري» عن مجلسه فاعتزل عنه، توفي سنة ١٨١هـ.

(١١) انظر «البيان والتبيين» (١ : ١٤).

(١٢) هو «محمد بنُ يوسف بن علي، أثير الدين، الأندلسي الغرناطي» المتوفي سنة ٧٤٥هـ.

(١٣) «المستدرك» في (كتاب المناسك) (١ : ٤٤٦) من حديث «صهيب». وأخرجه «ابن حيان» في صحيحه في (ذكر ما يقول المسافر إذا رأى قرية يريد دخولها) (٤ : ١٧٠). والديلمي في الفردوس (١ : ٤٤٧).

(١٤) هو «أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، أبو بكر، العتكي المتوفى سنة ٢٩٢هـ بـ «الرملة» صاحب المسند الكبير، المسمى «البحر الزاخر»، حافظ صدوق.

(١٥) أخرجه «الديلميُّ» في الفردوس (١:٤٣٢) من حديث عمر وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢:٢٨٠) من حديث أبي هريرة. وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠:٢٤١)، وعزاه لـ الطبراني والبزار، وأورده العجلوني في كشف الخفاء (١:٢١٠)

أقول: روايات الحديث التي عثرت عليها «بلالُ» بضم اللام وتعرب: منادى مبنى على الضم إما بـ «يا» منكورة، كما، في بعض الروايات وإما بـ «يا» مقدرة، كما هو في غالبها.

وظاهر كلام «السيوطي» في كتابيه «همع الهوامع» و«الأشباه والنظائر» (١:٣١) أن الرواية بالنصب، وكلامه لا يفيد حصر الرواية بالنصب. ونفيُ «السخاوي» في المقاصد الحسنة (ص ١٠٣) الوقوف على رواية النصب لا ينفي الورود، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ فهما روايتان فلا منافاة.

والسيوطي : هو جلال الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، الخضيري، السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ. الحافظ، المسند، المحقق، المدقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، التي قاربت الألف مصنف. انظر «شذرات الذهب» (٨:٥٠).

(١٦) أخرجه البخاري في (كتاب الأنبياء) (٤ : ١١٩)، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ برواية: «أعوذ بكلمات الله التامة» وانظر «فتح الباري» (٦ : ٤١٠). و«ابن ماجة» في «سننه» في (كتاب الطب ـ باب رقية الحية والعقرب) (٢ : ١١٦٥) مثله. وأخرجه «أبو داود» في (كتاب السنة ـ باب في القرآن). انظر «مختصر سنن أبي داود» (٧ : ١٢٧) برواية: «أعيذُكما».

كلكم معيون إلا من بورك فيه

العين حق

العين ذلك العضو الصغير في حجمه؛ وتلك الجارحة العظيمة في خطرها، تعد من اكبر نعم الله على عباده، وهي وسيلة الى خيرات كثيرة، ومعينة على مكارم جمة.. فهي معينة على القراءة، ونور في السفر والحضر، ودليل الى الجمال والمتعة البريئة.. ولكن ذلك العضو يمكن أن يكون وسيلة ضرر كما هو وسيلة نفع[١]، وهو يضر صاحبه ويضر الناس؛ وكما سنرى في هذا المقال، فإن العين سهمٌ مسمومٌ يورد المهالك ويزين لصاحبه فعل محاذير كثيرة.. وها هي الآيات الكريمة تقصُّ علينا واحداً من آثار العين، قال الله تبارك وتعالى:

{وقال يابنيَّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكمُ إلا لله عليه توكلتُ وعليه فليتوكل المتوكلون} (يوسف/ ٦٧).

يرى أكثر المفسرين أنَّ في هذه الآية دليلا على ثبوت أثر العين وضررها، وقدم معرفة ذلك في التاريخ وعند الأمم جميعها.. ومن أجل بسط الحديث في هذا الموضوع.. ولمعرفة أثر العين، وما وجَّه إليه الإسلام كلا من العائن والمعين للوقاية من ذلك الأثر.. لكل ذلك سنبدأ الموضوع بهذه السطور من تفسير القرطبي - رحمه الله - من حديثه في معنى الآية السابقة.

قال - رحمه الله - «لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين؛ فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد؛ وكانت مصر لها أربعة أبواب؛ وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلا لرجل واحد؛ وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة؛ قال ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم.

وإذا كان هذا معنى الآية فيكون فيها دليل على التحرز من العين، والعين حق؛ وقد قال رسول الله **{صلى الله عليه وسلم}** **«إن العين لتُدْخل الرجل القبر والجمل القدر»**[٢]. وفي تعوذه عليه السلام: «أعوذ بكلمات الله التامَّة من كل شيطان وهامَّة ومن كل عين لامة»[٣] ما يدل على ذلك.

روى مالك عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه سمع أباه يقول: اغتسل أبو سهل بن حنيف بالخرَّار فنزع جبَّة كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر، قال: وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد قال: فقال له عامر بن ربيعة: **ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء!** فوُعك سهل مكانه واشتد وعكه، فأتي رسول الله **{صلى الله عليه وسلم}** فأخبر أن سهلا وعك، وأنه غير رائح معك يارسول الله؛ فأتاه رسول الله **{صلى الله عليه وسلم}** فأخبره سهل بالذي كان من شأن عامر، فقال رسول الله **{صلى الله عليه وسلم}**: **«علام يقتل أحدكم أخاه، ألا بركت، إنَّ العين حق، توضأ له» فتوضأ عامر، فراح سهل مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليس به بأس؛** في رواية (اغتسل) فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخل إزاره في قدح ثم صُبَّ عليه؛ فراح سهل مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ليس به بأس[٤].

وركب سعد بن أبي وقاص يوماً فنظرت إليه امرأة فقالت: إن أميركم هذا ليعلم أنه أهضم الكشحين: فرجع إلى منزله فسقط، فبلغه ما قالت المرأة، فأرسل إليها فغسلت له؛ ففي هذين الحديثين دليل على أنَّ العين حقٌّ، وأنها تقتل كما قال النبي **{صلى الله عليه وسلم}**، وهذا قول علماء الأمة، ومذهب أهل السنة؛ وقد أنكرته طوائف من المبتدعة، وهم محجوجون بالسنة وإجماع علماء هذه الأمة، وبما يشاهد من ذلك في الوجود؛ فكم من رجل أدخلته العينُ القبر، وكم من جمل ظهير أدخلته القدر، لكن ذلك بمشيئة الله تعالى كما قال: **{وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله}**. قال الأصمعي: رأيت رجلا عيُوناً سمع بقرة تُحلب فأعجبه شخبها فقال: أيتهنَّ هذه؟ فقالوا: الفلانية لبقرة أخرى يورون عنها، فهلكتا جميعاً، المورَّى بها والمورَّى عنها. قال الأصمعي. وسمعته يقول: **إذا رأيتُ الشيء يعجبني وجدتُ حرارة تخرج من عيني»**[٥].

وما الذي تدفع به العين؟ يرى العلماء أنَّ العين تدفع من طريقين؛ الأول هو صرفها عن المعين وهو ذو النعمة المحسود. وذلك يكون بدعاء علَّمه رسول الله **{صلى الله عليه وسلم}** أصحابه وهو: «أعوذ بكلمات الله التَّامَّة من كل

بقلم: عبد العزيز بن صالح العسكر
- السعودية -

شيطان وهامة ومن كل عين لامَّة»[٦] فيدعو المسلم بهذا الدعاء: وهو بإذن الله تعالى حرز من العين وغيرها»[٧].

أما العائن فقد وجه الى ما فيه دفع ضرره عن الناس. يقول القرطبي: «واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يُبرِّك؛ فإنه إذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة؛ ألا ترى قوله عليه السلام لعامر: (ألا بركت) فدل على أن العين لا تضر ولا تعدو إذا برَّك العائن، وأنها إنما تعدو إذا لم يبرك والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين! اللهم بارك فيه»[٨] ومما يسن للعائن قوله مع عامة الناس (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) فقد روى أنس رضي الله عنه أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت»[٩].

ثم إنه إذا وقع المحذور، وأصيب أحد بالعين فإنَّ لذلك علاجاً نافعاً بإذن الله تعالى دلَّ عليه العلماء يقول القرطبي: العائن إذا أصاب بعينه ولم يبرك فإنه يؤمر بالاغتسال، ويجبر على ذلك إن أباه؛ لأن الأمر على الوجوب، لا سيما هذا؛ فإنه قد يخاف على المعين الهلاك، ولا ينبغي لأحد أن يمنع أخاه ما ينتفع به أخوه ولا يضره هو، ولا سيما إذا كان بسببه وكان الجاني عليه.

ومن عرف بالإصابة بالعين مُنع من مداخلة الناس دفعاً لضرره وقد قال بعض العلماء: يأمره الإمام بلزوم بيته؛ وإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به، ويكف أذاه عن الناس، وقد قيل: إنه ينفى، وحديث مالك الذى ذكرناه يرد هذه الأقوال؛ فإنه عليه السلام لم يأمر في عامر بحبس ولا بنفي، بل قد يكون الرجل الصالح عائناً، وأنه لا يقدح فيه ولا يفسق به، ومن قال: يحبس ويؤمر بلزومه بيته. فذلك احتياط ودفع ضرر، والله أعلم.

ويضيف القرطبي:

وقد روى مالك عن حميد بن قيس المكي أنه قال: دُخل على رسول الله {**صلى الله عليه وسلم**} بابني جعفر بن أبي طالب فقال لحاضنتهما: (مالي أراهما ضارعين) فقالت حاضنتهما: يارسول الله! إنه تسرع إليهما العين، ولم يمنعنا أن نسترقي لهما إلا أنَّا لا ندري ما يوافقك من ذلك؟ فقال رسول الله {**صلى الله عليه وسلم**} «**استرقوا لهما فإنَّه لو سبق شيء القدر سبقته العين**»[١٠]. وهذا الحديث منقطع، ولكنه محفوظ لأسماء بنت عميس الخثعمية عن النبي {**صلى الله عليه وسلم**} من وجوه ثابتة متصلة صحاح؛ وفيه أن الرقى مما يستدفع به البلاء، وأن العين تؤثر في الإنسان وتضرعه، أي تضعفه وتنحله؛ وذلك بقضاء الله تعالى وقدره. ويقال: إن العين أسرع إلى الصغار منها إلى الكبار، والله أعلم.

وقد أورد الإمام ابن القيم - رحمه الله - أن من علاج العين والوقاية منها ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه، كما ذكر البغوي في كتاب «شرح السنة» أنَّ عثمان رضي الله عنه رأى صبياً مليحاً، فقال: وسِّموا نونته، لئلا تصيبه العين، ثم قال البغوي في تفسيره: ومعنى وسموا نونته، أي سودوا نونته، والنونة: النقرة التي تكون في ذقن الصبي الصغير.

ومما تقدَّم نجد أن النَّبي {**صلى الله عليه وسلم**} أمر في حديث أبي أمامة العائن بالاغتسال للمعين، وأمر بالاسترقاء؛ قال العلماء: إنما يُسترقى من العين إذا لم يعرف العائن؛ وأما إذا عرف الذي أصابه بعينه فإنه يؤمر بالوضوء على حديث أبي أمامة، والله أعلم[١١].

نسأل الله بمنِّه وكرمه أن يدفع عنَّا وعن إخواننا المسلمين هذا البلاء، ونعوذ بكلماته التامَّة من شر ما خلق والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) وقد ورد أن العين تزني، وزناها النظر إلى ما حرم الله. ولذلك فإن البصر مما سيسأل عنه العبد أمام ربه سبحانه وتعالى فيم استعمله؟ أفي حلال أم حرام.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية وحسَّنه الألباني. وضعفه الذهبي.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مالك في الموطأ. ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان.

(٥) الجامع لأحكام القرآن جـ ٩/ ١٤٨، وانظر تفسير أبي السعود جـ٣/ ١٦٧ - ١٦٨. وتفسير ابن كثير جـ٢/ ٤٨٤.

(٦) رواه البخاري.

(٧) انظر تفسير أبي السعود جـ ٣/ ١٦٧ - ١٦٨. وزاد المعاد لابن قيم الجوزية جـ٤ ص ١٦٢ فصل في هديه {صلى الله عليه وسلم} في علاج المصاب بالعين.

(٨) الجامع لأحكام القرآن جـ ٩ /١٤٩.

(٩) أخرجه الحافظ أبو يعلى في مسنده. وانظر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٨٤.

(١٠) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وسنده جيد. وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين».

(١١) انظر الجامع لأحكام القرآن جـ ٩ ص ١٤٩. وزاد المعاد جـ ٤ ص ١٦٨ وما بعدها.

ذكرياتي مع «جبران»

أجمل ما في حياة الانسان ذكرياته.. بجمالها وروعتها.. بأفراحها وأتراحها.. برقتها وقساوتها.. والمهم في الذكرى، أن تكون من الصنف الذى يترك في النفس بصمات خصوصية، ليس من السهل نسيانها أو تجاهلها.

والأديب الفنان باعتباره كتلة نارية من الأحاسيس وشحنة ملتهبة من المشاعر، تشكل الذكرى في حياته جزءا مهما وقويا من الصعب جدا أن يتحرر من آثارها عليه وعلى أدبه وفنه معا.. وسواء كانت الذكرى عنوانها «امرأة» في حياة الأديب، أو صدمة، أو «فكرة» تسكن وجدانه وتؤرق مضجعه، فللذكرى طعم خاص ووقع مثير في النفس.. فاذا كانت تلك الذكريات عن أديب عبقرى وفنان فذ من مستوى «جبران خليل جبران» فذلك ما يزيد من شهية القراءة وحب الاطلاع، خاصة اذا كانت الذكريات من تأليف فنان آخر عاش فترة معينة تحت ظلال «جبران خليل جبران» في «باريس» يتدارسان معا الفن، في صفاء ووداعة وانسجام..

وأما هذا الفنان الذى دون ذكرياته الرائعة فهو الفنان اللبناني «يوسف الحويك» الذى درس الفن وتخصص في فن النحت بتوجيه من «جبران» ذاته كما ورد في كتاب «ذكرياتي مع جبران» والذي ضمنه صاحبه ذكرياته مع «جبران خليل جبران» في الفترة ما بين سنتي (١٩٠٩ - ١٩١٠)، حيث اجتمع وعاش الفنان «يوسف الحويك» أجمل ذكرياته مع مؤلف «النبي» في عاصمة الجن.

وفي هذه الفترة بالذات كان جبران يعيش الارهاصات الأولى لميلاد أديب وفنان سوف يفيض على الكون بعبقرية أفكاره وفنه وآرائه فيما بعد.

- الآنسة أولغا -

في بداية الكتاب يتحدث «الحويك» عن لقائه الأول بـ «جبران خليل جبران» فيقول:

«في ربيع ١٩٠٩ كنت حديث العهد في باريس ما أزال منصرفا الى ترتيب شؤوني وتنظيم معيشتي، أجلس بين الحين والحين الى جبران، الذى كان قد سبقني الى هذه المدينة أسأله عن هذا الأمر وذاك لعلي أستفيد من اختباراته وتوجيهاته، وفيما نحن يوما نتناول طعام الغداء في مطعم صغير قرب حديقة: «اللوكسمبورج» انتبهت أن جبران شارد الذهن ملتهيا عني، ولما سألته أين هو، قال: ما لنا ولمشاغل الحياة الآن يا يوسف، التفت الى يسارك الى تلك الحسناء الجالسة وحدها تأكل على مهل وتطالع في كتاب أمامها.. واستطرد جبران ليقول:

كنت أراقبها ولاحظت أنها تختلس النظرة اليك.. ألم تشعر بسهام عينيها العسليتين؟..

تقديم : عمر بو شموخة
- الجزائر -



قوس النصر في باريس

جبران خليل جبران

والتفت حيث أشار جبران ورأيت العينين العسليتين تحدقان بي لترتدا بسرعة الى الصحن.. والى الكتاب تأملتها مليا، كانت مكشوفة الرأس عن شعر مائل الى الشقرة، وعن وجه مشرق النقاوة، ويدين بضتين، وكان على كتفيها «شال» رمادى مقصب الحواشي.

قلت لجبران بعد تفكير:

- ليست هذه فتاة باريسية على ما أرى .. من أي بلد هي يا ترى؟..

قال جبران:

يبدو لي أنها ليست فتاة عادية.. عليها سمة الأشراف.. لعلها طالبة اسكندنافية.. رفعت الفتاة رأسها مرة ثانية صوبنا، فلحظت أننا مشغولون بها، فعادت للحال تركز اهتمامها في الكتاب.

- توق الى التحليق -

يلقي «يوسف الحويك» الضوء على حياة «جبران» ابان هذه الفترة التاريخية من حياته، ومن ذلك حديثه عن عدم رضا جبران خليل جبران الالتحاق بأكاديمية «جوليان» بسبب الجو الغوغائي الذي لا يلائم مزاجه، الأمر الذى جعله يفكر جديا بالشغل ضمن محترفه الفني الحر، بعيدا عن التقيد بأكاديمية خاصة.

وفي الحديث بين الفنانين: «الحويك» و«جبران» كثيرا ما تستوقفنا أفكار جبران وآراؤه التي تنفلت من لسانه، وكأنها حكمة الفلاسفة حين يتحدث الى صديقه «الحويك»:

«أرض الشرق بور قاحلة.. والجو ثقيل جامد ان لم نقل فاسد.. أنا يا يوسف عازم على أن أهز

أعصاب الأمريكان، وأنفخ في أوساطهم بوقي.. بلادهم خصبة والدولارات بحر، رغم أن أغنياءهم ـ ككل الأغنياء ـ عميان أنانيون.. لعن الله المال كيف يقف بالمرصاد بين المرء وأمانيه».

ويقول «الحويك» معلقا على هذه العبارة التى نطق بها «جبران»:

«بهذه العبارة الأخيرة طالما أنهى جبران كلامه معي، متذمرا من ظروفه وضيق أفقه، تواقا الى التحليق والانطلاق والبوح بما يصطرع في صدره وعقله، وليس في جناحيه بعد، الا الزغب الطري الذى لا يقوى على حمل الجسد الضخم الى الأعالي».

▪ مقهى الدوم ▪

في الحي اللاتيني الشهير حيث يوجد أهم مقهى يقصده الرواد «مقهى الدوم» يطلعنا المؤلف عن تأفف جبران خليل جبران من الجلوس في المقهى، حيث يرى أن ذلك مضيعة للوقت، وكان يحب السير على ضفاف «السين» أو في شوارع باريس القديمة، شأنه في ذلك شأن «بلزاك» كما يضيف «الحويك» أن جبران لم يكن يكثر من السهر، لا في علب الليل ولا في سواها، كان ضعيف البنية يؤثر الذهاب الى الفراش باكرا والانصراف الى التفكير والكتابة.

▪ في متحف اللوفر ▪

وفي متحف «اللوفر» كثيرا ما يختلف اليه جبران مع صديقه مؤلف الكتاب.. وكثيرا ما كان يعلق على اللوحات والتماثيل الفنية الثمينة التي يزخر بها المتحف، فيكشف لنا الكتاب عن رؤية جبران للفن وعن تصوره الفني للوحات والتماثيل فيقول:

«أنا بدأت أؤمن أن النوع ـ اللوحة أو التمثال أو أى أثر فني آخر ـ الذى تفهمه العين وتألف خطوطه وألوانه ومعانيه، غالبا ما يكون مبتذلا باردا، يجلب النعاس الى الجفون، حتى أن الناظر اليه يكاد يتثاءب، بخلاف النوع الذى يعصى على العين فهمه بسهولة، فانه يهيج المخيلة، وفي التهيج والفهم بعد التعب نشوة عظمى.. ألا ترى معي يا يوسف كيف أن هذا النوع محاولة للتعمق والتفكير.. هو الابداع؟.. وفي الابداع لذة تفوق كل اللغات.

▪ نزهة ليلية ▪

دخل جبران قاعة الرسم في المعهد الفني حاملا تحت ابطه محفظة أوراقه وأقلامه وألقى نظرة تأمل على «الموديل» وهي صبية مستلقية على المنصة تظهر عليها امارات السأم والاعياء، فبدت منه اشارة عدم رضا، وبحث بعينيه عني (يقول الحويك)، ثم اقترب مني وهمس في أذني:

ـ هذه المسكينة توحي إليّ بالشفقة، لا رغبة لي بالرسم، نفسي يضيق حتى الاختناق في هذا الجو الواجم الكئيب.. أفضل النزهة على ضفاف النهر لمشاهدة هول الفيضان.. وفي أثناء النزهة الليلية على رصيف «فولتير» يبدأ جبران حديثه مع صديقه «الحويك» بعد أن كان غارقا في التأمل:

«لقد زارتني الأنسة «أولغا» بعد الظهر، وأخبرتني أن الرطوبة من ارتفاع النهر ابتدأت تتسرب الى المحل حيث تتمرن على البيانو.. وطلبت مني السماح لها بنقله الى محلي، وهي كما تعلم لطيفة مهذبة وذات أخلاق سامية، وقد زاد من اعجابي بها ثقافتها العميقة، إنها تتكلم الانجليزية

والألمانية عدا الفرنسية والروسية.. آه يا يوسف ما أكبر الفرق بين امرأة وامرأة.. كأن النساء لسن جميعا من فصيلة واحدة.

■ الآنسة «مارتين» ■

تتواصل ذكريات «الحويك» مع «جبران» وها هو يضعنا أمام صورة أخرى له داخل مطعم «مدام بوده»، فيقول المؤلف مسترجعا صورة صاحب «الأرواح المتمردة» في مخيلته قائلا:

«أغمض عيني الآن وما أسرع ما تمتثل صورة جبران في خاطرى بابتسامته الحنونة ورنة صوته الدافيء وحركة يده المعبرة، وأصابعه المتسائلة أبدا، كأنني وإياه سائران في طريقنا الى حديقة اللوكسمبورغ نعرج الى الشمال ونجلس على السطح المشرف على القصر وعلى قسم من الحديقة، كأنني الآن أسمع صدى صوت جبران في أذني:

- نحن في باريس يا يوسف، في هذه الحديقة الغناء، أمامنا على هذه الطريق مرت أقدام الكثيرين من العلماء العظام والفنانين الكبار.. أحس أنفاس «بوفي دى شافان» و«كاريار» وبلزاك» و«ألفريد دى موسيه» و«فيكتورهيجو» و«باستور».. يخيل إلي أنني أتبين آثار أقدامهم على هذه الطريق.

وبعد صمت طويل يسألني «جبران»:

- ما رأيك في زيارة «الست جنقياق» ما دمنا على مقربة منها، من زمان وأنا مشتاق الى طلتها.

وفي موقع آخر من الكتاب يأخذنا الكاتب في جولة بعيدا عن صحبة «جبران» قائلا: «لا أريد أن يتبادر الى الذهن بأنني كنت دائما برفقة جبران أو هو برفقتي، فكم من أسبوع أو أكثر نقضي دون أن يشاهد واحدنا الآخر، حتى اذا التقينا بادرني جبران الى السؤال:

- أين كنت محتجبا كل هذا الوقت؟ كيف حال بنات الأبرشية؟.

وأجيبه على الفور: بألف خير .. يسألن خاطرك..

■ مرض جبران ■

في جزء آخر من كتاب «ذكرياتي مع جبران» يحيطنا «يوسف الحويك» بذكرى عن مرض «جبران خليل جبران» حينما جاءه الخبر أثناء الليل، فيستعيد ذلك المشهد ليقول: «أسرعت لعند جبران فاذا هو ملقى بكامل ثيابه على الديوان، مغمض العينين من شدة الألم، فقمت للحال أضيء قنديل الغاز، وأحس جبران بحركة ففتح عينيه بجهد، ولما رآني تمتم بصوت مخنوق:

- جئت يا يوسف .. دخيلك .. لا تتركني وحدى..

وبأنين أشبه بالبكاء أردف:

- يا أمي يا أمي..

وخفَّت الخادم على صوت الأنين حاملة صحن حساء ساخن وقالت لي بلهفة:

- جبران لم يأكل شيئا طوال النهار.

وعبثا حاولت اقناع جبران بضرورة الأكل ولو بضع ملاعق حساء ساخن ولكنه أصر على الاشاحة بوجهه واطباق فمه مرسلا أنينا متواصلا ومغمغما هذيانا مبهما انقبضت له نفسي، وطفرت الدموع من عيني، وحرت في أمرى لا عارفا ماذا أفعل، وشعرت بوحشة الغربة.

وبعد قليل تحدث جبران الى صديقه الحويك:

- أنا ولا ريب سأموت قبلك يا يوسف، وأرجو من الآن أن تضع على قبرى أسدا ناهضا يزمجر.

- وأنا أرجوك يا جبران أن تسكت الآن بلا موت ولا قبر ولا أحد.

في شطر آخر من الكتاب، نقف على مفهوم «جبران» لفلسفة الحب من خلال ما يرويه الفنان «الحويك» قائلا: «كان جبران يستمع إليّ أسرد له أخبارى عن «أولغا» و«سوسان» وعن راهبات المحبة، ويحلل ويسمو في التحليل، ثم لا يلبث أن يهبط.. ثم يبتعد.. ليعود يسألني بكل بساطة وسذاجة:

- هل تحب أنت الأنسة أولغا؟..

- هذا تطفل منك يا جبران في صميم خصوصياتي، هل سألتك أنا هذا السؤال يوما؟.. بالحقيقة أنا لا أعرف اذا كان هذا الذى أشعر به نحوها هو الحب الذى تعني.

- الحب هو الحب يا يوسف.. سكر يجرى مع الدم في العروق، وأنواعه متعددة لا تحصى حتى أنه يكاد أن يكون لكل انسان نوع خاص، تعينه الصدف والحظ، وربما طول القامة ولون العينين.. ان الانسان لم يعد يعيش في المغاور والغابات، حياته تطورت مع الزمن.. وهكذا تفكيره.. كان للعامل الديني أثره الفعال.. من الكهان شرائع الحب تكرهها نفسي، لأنها مستوحاة من الجهل والكبرياء والظلم والعبودية، فالمرأة المسكينة مضطرة للخضوع، فهم لم يشاوروها غداة وضعوا الشرائع والقوانين في أمر يهمها أكثر مما يهمهم، ثم راحوا ينسبون شرائعهم للخالق والخالق براء منها، لأنها متى حلت وجدت بعيدة عن روح العدالة الالهية.

▪ سفر جبران ▪

ويختتم «يوسف الحويك» ذكرياته الأثيرية عن صديقه «جبران» بالحديث عن سفر هذا الأخير الى أمريكا بعد صداقة وحياة في باريس.. وبعد استقرار جبران على أرض أمريكا، يبعث بالرسالة التالية الى «يوسف الحويك» مؤرخة يوم: ١٩ كانون الثاني ١٩١١/ بوسطن:

أخي يوسف:

سعدا لمن له مرقد عنزة في باريس وهنيئا لمن يسير على ضفاف نهر السين متأملا بصناديق الكتب العتيقة والرسوم القديمة.. أنا في هذه المدينة المملوءة بالأصدقاء والمعارف كمنفى الى أقاصى العالم، حيث الحياة باردة كالثلج وقاتمة كالرماد وصامته كأبي الهول.. شقيقتي بقربي والمحبون حولي في كل مكان، والناس يأتون الى منزلي صباحا مساءا، ولكنني غير مسرور من حياتى يا يوسف.. أشغالي كثيرة وسائرة نحو قمة الجبل، وأفكاري هادئة، وجسدى يتمتع بكل ما في الصحة من لذة الوجدان، لكنني لست مغبوطا يا يوسف، ونفسى جائعة ظامئة الى مأكل ومشرب لا أدرى أين هما.. النفس زهرة علوية لا تعيش في الظل.. اما الأشواك فتعيش في كل مكان.

«الريحاني» في مكان قريب من نيويورك وهو يعيش حياته.. كلانا يشكو الى الآخر ما في قلبه ويتوق الى لبنان ويتشبب بمحاسنه.. تلك حياة أبناء الشرق المصابين بداء الفن.. سلام الى الأرواح المتطايرة حول رأسك.. سلام اليك من أخيك ومحبك: جبران.



التلوث بالمواد العضوية
وحياة البحر المتوسط



تلوث المياه
خطر كبير يهدد الإنسان

البيئة النظيفة في الاس

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان منّا منذ بدء الخليقة ببيئة نظيفة نقية ومتوازنة في كل مكوناتها حتى يحيا فيها الإنسان حياة طيبة آمنة تليق به، ولما جاء الإسلام حرص كل الحرص على عمارة الكون وتنظيم مكونات البيئة وتجميلها للمؤمن لتكون خالية من الشرور والأمراض، وإذا تدبرنا آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وجدناها زاخرة بكل ما يدعو إلى الحفاظ على مكونات البيئة المختلفة من نبات وحيوان وأنهار وبحار وغيرها حتى يبقى للكون نقاؤه وطهارته، وبما أن الله تعالى قد استخلف الانسان في الأرض وذلك عبر جميع العصور السابقة وحتى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وخصه وميّزه بنعمة العقل التى حرم منها بقية المخلوقات فإنه يجب على الانسان أن يشكر لله هذه النعم بالحفاظ عليها وعدم المساس بها قال تعالى: {**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**} (الاسراء/٧٠).

ولقد ارتبطت خلافة الإنسان في الأرض بتسخير الله تعالى الأرض له وتمهيدها وتسخير ما في السموات، الشمس والقمر والنجوم وجميعها مسخرات بأمره، أما تسخير ما في الأرض فيقصد به كل ما هو ظاهر على سطح الأرض من نبات وحيوان وبحار وأنهار وكذلك تسخير ما في باطن الأرض من ثروات معدنية، يقول الله تعالى {**ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض**} (الحج/ ٦٥)

ويؤكد الله تعالى على أن كل ما في الأرض ملك للإنسان وذلك في قوله تعالى جل شأنه {**هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعاً**} (البقرة/ ٢٩).

كما أن الله تعالى قد سخّر الأرض وما فيها للإنسان ومهدها له ليتمتع بالحلال من الطيبات يقول تعالى: {**الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا**} (طه/ ٥٣). ويقول تعالى في موضع آخر {**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**} (الملك/١٥).

تسخير البحار والأنهار:

البحار والأنهار هي جزء مما سخره الله تعالى للإنسان في الأرض فهي تزخر بثروات هائلة من الأسماك والمعادن كما أن مياه الأنهار تستغل في الرى والعمليات الزراعية الأخرى كذلك تسير في البحار والأنهار السفن والمراكب التى يجنى الإنسان منها الفوائد الجمة، يقول تعالى في سورة الجاثية آية/١٢ {**الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**}، ويقول الله تعالى في موضع آخر في كتابه الكريم {**وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى**

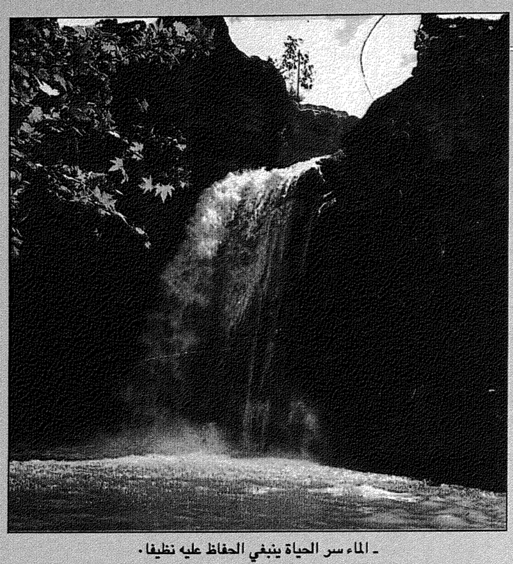
بقلم: فيصل صالح اسعد
- جـــدة -

...سلام

الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون} (النحل/ ١٤).

تسخير الأنعام وغيرها من المخلوقات:

الأنعام من نعم الله على عباده التي لا تعد ولا تحصى واسمها مشتق من النعمة ويؤكد الله تعالى تسخير الأنعام للإنسان في قوله تعالى: **{أو لم يروا أنّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون}** (يس/ ٧١). وقد ذكر الله تعالى الفوائد المتعددة التي يجنيها الإنسان من تسخير الأنعام له فيأكل لحومها ويشرب ألبانها ويتخذها وسيلة من وسائل الاتصال بالركوب عليها ويتخذ من أصوافها وأشعارها وأوبارها وجلودها الأثاث ويبين الله تعالى هذه المنافع في الآيات التالية: **{أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون، ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون}** (يس/ ٧١، ٧٢، ٧٣). ويقول الله تعالى في موضع آخر: **{والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمالٌ حين تريحون وحين تَسْرَحُون، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون}** (النحل/ ٥، ٦، ٧، ٨).



ـ الماء سر الحياة ينبغي الحفاظ عليه نظيفا.

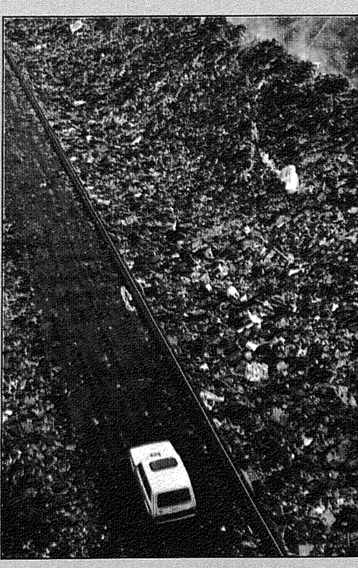
تسخير الرياح:

كذلك سخر الله تعالى الرياح لفائدة الإنسان وقد ذكر الله تعالى أن الرياح هي سبب في نزول الأمطار ولم يرد ذكر الرياح في القرآن الكريم إلا وهي مقترنة بالسحاب أو الودق أو المطر ووصف الله سبحانه وتعالى الرياح بأنها بشرى للإنسان لأنها تتسبب في هطول الأمطار التي يستبشر بها الإنسان لما فيها من نعم وفيرة له ولأنعامه إذ

تخضر الأرض وتخرج خيراتها، يقول تعالى في محكم تنزيله {**الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون**} (سورة الروم/٤٨). ويذكر الله تعالى فائدة أخرى لتسخير الرياح وهى أنها وسيلة للتلقيح مساعدة بذلك في انتشارها، ويقول تعالى في ذلك {**وأرسلنا الرياح لَوَاقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين**} (الحجر/٢٢).

وجعلنا من الماء كل شيء حي:

لا أحد ينكر أهمية الماء وأنه عصب الحياة لكل المخلوقات الحية لذا ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بينها للإنسان لأهميته حتى يحافظ عليه نظيفا نقيا كما أنزله الله تعالى وأن يتصرف فيه بحذر وأن يتجنب تلويثه لأن هناك مخلوقات تستمد حياتها منه كالأسماك والحيتان يقول الله تعالى {**وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون**} (الأنبياء/٣٠) ومعظم المواضيع التى ورد فيها ذكر الماء في القرآن الكريم يكون مرتبطا بالأرض وهى إما ميتة أو خاشعة أو هامدة فينزل الماء فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج، فكأن الماء هنا بمثابة الروح للجسد فيحيا عندما تنفخ فيه الروح ويموت عند مفارقتها له، والله تعالى يريد أن يلفت نظر الانسان إلى هذا المصدر الحيوى المهم وهو الماء كى يحافظ عليه، يقول الله تعالى {**وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**} (الحج/٥) ويقول تعالى في موضع آخر: {**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه**} (الزمر/٢١).



- النفايات - هكذا - تلويث للبيئة.

تسخير الأشجار والجنان:

كذلك سخر الله تعالى خيرات الأرض للإنسان فأنزل الماء من السماء فأخرجت الأرض نعمها من نخيل وأعناب وزيتون ورمان وسائر الفواكه الأخرى، يشكر الإنسان هذه النعم بالحفاظ عليها وعدم إتلافها بقطعها أو

حرقها لغير منفعة، ولابد أن نتذكر هنا وصية أبى بكر الصديق رضي الله عنه لجيوش الفتح المتوجهة الى الشام **(لا تقتلوا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تحرقوا زرعا ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله)**.

يتضح من تلك الوصية أن الإسلام حتى في حالة الحرب ينهى عن قطع الشجر أو حرق المزروعات أو ذبح الحيوان انتقاما من الخصم وحرصا منه على مفردات البيئة الحية إلى جانب عدم المساس بمصالح المدنيين العزل من السلاح وفي هذا الشأن يقول الله تعالى **{وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون}** (يس/ ٣٣، ٣٤، ٣٥).

حفظ النوع والسلالة وأثرهما في التوازن البيئي:

اهتم الإسلام بحفظ النوع والسلالة في الإنسان والحيوان والنبات وجميع المخلوقات الحية لأن هذه المخلوقات تؤثر في التوازن البيئى وتتأثر بأي خلل يحدث فيه وإبقاء النوع والسلالات هو أكبر ضمان لإبقاء هذا التوازن المطلوب، لأن طغيان عنصر على آخر يحدث خللا في مفردات منظومة البيئة الحية قد يؤدى إلى دمار بقية المخلوقات هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الله تعالى قد خلق كل مخلوق ليؤدى دوراً معينا في الحياة، وبقاؤه واستمراره أمر غاية في الضرورة ولهذا وذلك اهتم القرآن الكريم بأمر النوع والسلالة في قصة الطوفان التى حدثت قبل عدة قرون خلت في عصر سيدنا نوح عليه السلام حيث أمره الله تعالى بأن يصنع الفلك وأن يحمل معه فيها من كل زوجين اثنين حفظا للنوع والسلالة، يقول المولى عز وجل في كتابه الكريم: **{حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول}** (هود/ ٤٠) ويذكر الله تعالى في مواضع عدة في القرآن الكريم أنه خلق من كل زوجين ذكراً وأنثى لضمان عملية التناسل وبقاء وحفظ النوع، يقول تعالى في محكم تنزيله: **{ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تَذَكَّرون}** (الذاريات/ ٤٩).

الضوابط الإلهية للحفاظ على مكونات البيئة:

الإستخلاف في الأرض يعنى الانتفاع بها دون إتلافها بوجه غير مشروع، وبما أن الإنسان مستخلف في إدارة الأرض واستثمارها فهو أمين عليها ويجب أن يتصرف فيها تصرف المؤتمن على أمانته فهو يتصرف في حدود الأمانة مراعيا بذلك قول الله تعالى: **{إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا}** (الأحزاب/٧٢).

وسطية الإسلام في التعامل مع مفردات البيئة:

الاسلام دين الوسطية والاعتدال.. فلا إفراط ولا تفريط ولا ضرر ولا ضرار، وهكذا يكون أمر المسلم دائما وسطا، فإذا تعامل مع البيئة من حوله

فــلا يجــور ولا يستنزف، يقـول الله تعــالى: {**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يَقْتُروا وكان بين ذلك قـوامـا**} (الفـرقـان/ ٦٧). ويقـــول في مــوضع آخــر: {**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**} (الإسراء/ ٢٩). ويقول الرسول الكريم [صلى الله عليـه وسلم] «**كلوا واشـربوا والبسوا وتصدَّقوا في غير إسراف ولا مخيلة**» رواه النسائي وابن ماجه، وقد نهى الرسول [صلى الله عليه وسلم] عن الاسراف في استهلاك المياه حتى ولو كان الغرض من ذلك هو الوضوء أو الغسل «فقد أخرج ابن مـاجـه من حديث ابن عـمـر أن النبي [صلى الله عليه وسلم] مرَّ بسـعـد بن أبي وقـاص وهو يتوضأ فقال له: «**ما هذا السرف**» ـ فرد عليه سـعـد ـ أفي الوضـوء إسـراف؟ قـال النبي الكريم [صلى الله عليه وسلم]: «**نعم .. وإن كنت على نهر جار**». وقـال أيضا [صلى الله عليه وسلم]: «**ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ـ حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لابد فاعلا فثُلُثٌ لطعامه وثُلُثٌ لشرابه وثُلُثٌ لنفسه**» رواه الترمذي. إذن التوسط هو مـسلك المسلم في المأكل والمشـرب والملبس والصلاة والإنفاق والاستـهلاك وفي كل شيء يمكننا أن نعـتـبـر أن مـبـدأ الوسطيـة والاعـتـدال هو أوّل ضـوابط خـلافـة الإنسان في الأرض.



ـ المفاعلات والصناعات الثقيلة تحولت الى كارثة على البيئة.

تحريم صيد الحيوانات البرية في موسم الحج:

ويمكن اعـتـبـاره الضـابط الثـانـي لاستـخـلاف الإنسان في الأرض، فقد حرم الله تعالى الصيد على الحجاج في الأراضي المقدسة ما داموا محرمين بحج أو بعمرة. يقول الله تعـالى في مـحكم تنزيله: {**يا أيهـا الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حُرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثلُ ما قَتَلَ من النَّعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صيـامـا ليذوق وبال أمـره عفـا الله عمـا سلف ومن عـاد فـينتـقـم الله منه والله عـزيز ذو انتـقـام**} (المائدة/ ٩٥). وفي الآية السـابقـة وضع الله سبحانه وتعالى كفارة لمن يقتل صيدا وهو مُحرم، وهذه الكفارة أن يذبح من الأنعام ما يوازي ما قتله من الصـيـد أو أن يشـتـرى بقيمـة الصيد المقتـول طعـامـا يوزعـه على المسـاكين، وهذا بالنسـبـة لمن يرتكب هذا الخطأ لأول مرة، أمـا من يعـود للمـرة الثانية فسوف ينتقم الله منه يوم القيامة وقد روى النسـائي وابن حـبـان أن النبي [صلى الله عليـه وسلم] قال: «من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيـامـة يقـول يارب فـلان قتلنى عبـثـا ولم يقتلنى

لمنفعة» ومعنى عج أى رفع صوته بالشكوى لله تعالى يوم القيامة، كل هذا في سبيل حماية الصيد والحفاظ على البيئة نقية طيبة.

النهي عن الفساد في الأرض:

ويمكن اعتباره الضابط الثالث من ضوابط استخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض، فمما لا شك فيه أن إتلاف مكونات البيئة من قتل الأنعام وتلويث المياه وتلويث الهواء وقطع الأشجار والزروع وغير ذلك لغير مصلحة عامة يؤدى إلى فساد الحياة والله لا يحب الفساد ولا المفسدين، يقول تعالى: **{يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين}** (العنكبوت/ ٣٦). ويقول الله تعالى في موضع آخر من كتابه الكريم **{كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين}** (البقرة/ ٦٠). ويقول الله تعالى أيضا: **{وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد}** (البقرة/ ٢٠٥).

ويقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «إذا قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر» رواه أحمد.

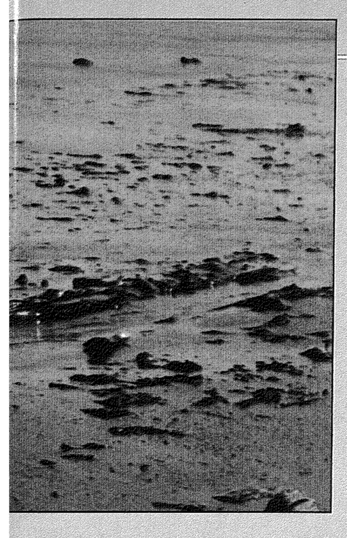
وفي هذا الحديث نجد إلى جانب ما فيه من معنى إيجابي في الحض على المضى في العمل المنتج والاقبال عليه حتى قيام الساعة فيه أيضا الأمر من رسولنا الكريم {صلى الله عليه وسلم} بتوسيع المساحة الخضراء كمنظومة حيوية أساسية لتجميل الحياة على الأرض، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول {صلى الله عليه وسلم}: **«لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون»** متفق عليه.

والحقيقة العلمية في هذا الحديث تكمن في منع تلوث الهواء من استمرار عملية الاحتراق لسببين:

أولهما: أن المنتج الرئيسي للغازين أول وثانى أوكسيد الكربون ترتفع نسبته في هواء الغلاف الجوى للأرض.

ثانيهما: تبقى عملية الاحتراق مستهلكا شرساً ومباشرا لنسبة معلومة من الأوكسجين الحيوى عن طريق تعطيل فاعليته وتثبيته في مركبات سامة مثل الكربون وغيره كما حرص الإسلام على حماية البيئة من التلوث بالنهى في السنة المطهرة عن التغوط أو التبول على الطريق وفي الظل والمياه الراكدة، ومن الأحاديث النبوية الشريفة التى وردت في هذا الشأن - عن جابر عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه نهى عن البول في الماء العذب.. رواه الإمام مسلم في صحيحه - وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: **«اتقوا الملاعن الثلاث - قالوا يارسول الله وما هي؟ قال {صلى الله عليه وسلم}: «البراز في الموارد وعلى قارعة الطريق وفي أماكن الظل»** (أخرجه أبو داود في سننه).

وأخيرا.. كانت هذه هي الضوابط الثلاثة التى وضعها الله سبحانه وتعالى كموجهات عامة يهتدى بها الانسان الذى استخلفه الله تعالى في الأرض. ولا شك في أن الإنسان منا لو سار مستضيئا بنهج هذه الضوابط فسوف يحفظ للبيئة اتزانها وجمالها وطهارتها السماوية وبالتالى نضمن السلامة لنا ولأبنائنا ولأجيالنا المقبلة بإذن الله تعالى.



تلوث المياه .. خطر كبير يهدد الإنسان

** الماء من أكبر نعم الله تعالى على الإنسان وباقي الأحياء، وهو كل شيء بل هو الحياة يقول تعالى: «وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون» سورة الأنبياء آية/ ٣٠.

فالماء سر الحياة ولا يعرف قدره إلا عند فقده، وبدون الماء يموت الإنسان وينفق الحيوان ويهلك النبات، لذا يجب علينا الاهتمام بالوسط المحيط بنا والمحافظة عليه لمنع تلوث الماء والهواء والتربة، إن تلوث الماء يعتبر من المواضيع البيئية الهامة ويشكل خطراً كبيراً يهدد الإنسان أينما كان، وبصورة عامة فإن كل عمل يدخل في الوسط الطبيعي عناصر غريبة عنه يشكل سبباً من أسباب التلوث، وما يحدثه الإنسان من فساد للطبيعة هو خطر يهدد البشرية في عصرنا الحاضر والمستقبل. يقول تعالى: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون} (الروم/٤١).

تلوث الماء Water Pollution:

الماء سر الحياة لجميع الكائنات الحية من الإنسان والحيوان والنبات، والماء بالنسبة للنبات أساسي في حياته فهو ضروري لقيام الأحياء بوظائفها ففي الوسط المائي تتم جميع العمليات الفيزيولوجية من تحليل وتركيب وتنفس وتعرق وحركة الماء وغيرها، ويدخل الماء في كثير من التفاعلات الكيميائية الحيوية في النبات، وإذا انخفضت نسبة الماء إلى حد معين يذبل النبات ويموت، ويلعب الماء دورا هاما في الصناعة والزراعة وحياة البشر وتوزعهم السكاني.

تتوزع المياه على الكرة الأرضية على الشكل التالى (٩٧٫٢٪) مياه البحار والمحيطات و(٢٪) بشكل جليد دائم في القطبين الشمالي والجنوبي وفي قمم الجبال العالية.

أما المياه العذبة فلا تشكل سوى (٠٫٨٪) من المجموع الكلي للمياه وهذه العذبة في تجدد

بقلم : أ. د. محمد غسان سلوم
جامعة دمشق - سوريا



- تلوث مياه البحار بالنفط يضر بالحيوانات البحرية وبالانسان.

دوري، تتبخر بتأثير الحرارة فتشكل الغيوم ثم تتكاثف بتأثير البرودة فتهطل الأمطار على الأرض فتشكل انهارا وسيولا، وهذا ما يسمى دورة الماء في الطبيعة.

إن المياه العذبة ليست موزعة بشكل متساو في الأرض فهناك مناطق محرومة كليا من الماء مثل الصحارى وبعضها يعاني من الشح، وفي تحقيق لمنظمة الصحة العالمية هناك (١٣٠) مليون إنسان في (٧٥) بلدا يعانون من نقص المياه أو يستعملون مياهاً ملوثة.

ملوثات الماء Water Pollutants:

مصادر تلوث الماء عديدة منها طبيعي في الجو والتربة ومنها عن طريق الإنسان وخاصة الملوثات الكيميائية والفضلات الصناعية الحاوية على مركبات سامة بنسب مختلفة كالمبيدات السامة والمواد المشعة وغيرها.

يمكن تصنيف الملوثات المائية إلي:

١ - ملوثات بيولوجية: فيروسات، جراثيم، طفيليات ممرضة.

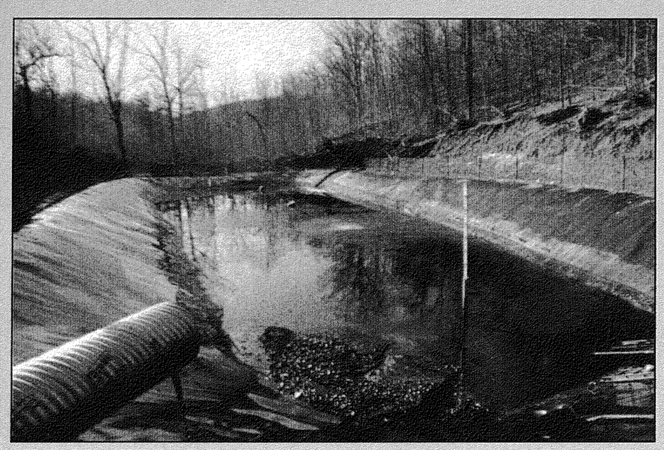
٢ - ملوثات كيميائية: غازات، مبيدات، معادن ثقيلة، فحوم هيدروجينية.

٣ - ملوثات فيزيائية: ملوثات حرارية، ملوثات بالمواد المشعة.

وفيما يلي نذكر أهم تلك الملوثات:

١ - تلوث جرثومي ناتج عن مجاري مياه الفضلات والأوساخ الناتجة عن استعمالات الإنسان التي تشكل مياهاً ملوثة مملوءة بالجراثيم وتصبح وسيلة للعدوى وانتشار الأمراض.

٢ - الغازات والفضلات الناتجة عن الإحتراقات بمختلف أشكالها التي تغطي الشوارع وتسوقها مياه الأمطار إلى الأنهار والبحار والبحيرات، بالاضافة للغبار العالق بالهواء.



- مجاري الصرف تصب في الماء وتضر بالبيئة.

٣ - المياه الناتجة عن المصانع وتشكل ٦٠٪ من المياه الملوثة وهذه المياه مضرة بالحياة المائية لأنها تقضي على كثير من الحيوانات والنباتات الموجودة في الأنهار والبحيرات.

والمياه الملوثة الناتجة عن المصانع تصدر عن الدباغات ومصانع الرصاص والزئبق والنحاس والنيكل والتوتياء ومصانع تعقيم الألبان والمسالخ ومصانع تكرير السكر وغيرها وهذه الملوثات تتراكم في أجسام الكائنات الحية الى درجة تؤدي الى تسمم الإنسان عبر السلسلة الغذائية Food chain .

٤ - الترسبات: وهي عبارة عن حبيبات التربة والحبيبات الرملية والمعدنية المنجرفة من اليابسة إلى الماء، وهي تملأ الخزانات والموانيء، ومن العوامل المساعدة على تشكل هذه الترسبات استخدام التربة الرشيدة المسببة للتعرية.

٥ - المخلفات الطبيعية لأجسام الكائنات الحية والمواد العضوية الميتة، حيث تأخذ طريقها إلى الماء عن طريق مياه الأمطار كما تنقل مياه الأمطار المبيدات الكيميائية وغيرها من التربة الي الأنهار والبحيرات وتصبح المسطحات المائية عكرة تؤدي إلى خلل في النظام البيئي، مما يقلل من نسبة الأشعة الشمسية الداخلة إلى الماء وبالتالى من عملية التركيب الضوئي والإنتاج النباتي.

٦ - التلوث الناتج عن الفحوم الهيدروجينية من مصافي البترول وعن السفن التي تجري في البحار والأنهار والبحيرات فتلقي فيها الزيوت والفضلات المحترقة وتشكل هذه الزيوت طبقة رقيقة عازلة على سطح الماء تنتشر على مساحات كبيرة وتمنع من تجدد الأكسجين في المياه وبالتالي تقضي على الحياة المائية.

٧ ـ استهلاك مواد التنظيف الكيميائية الناتجة عن الاستعمالات المنزلية والصناعية وهذه المركبات الكيميائية لا تتفكك بيولوجيا وتسبب تلوثا مائيا، وهذا التلوث ناتج عن التكنولوجيا الحديثة للبشرية في الصناعات الكيميائية، مما يسبب ضررا بالأحياء المائية.

٨ ـ مبيدات وأسمدة كيميائية (نتيجة الزراعة الحديثة) فالسيول تجرف كمية كبيرة من المبيدات والأسمدة الكيميائية التي تحتوي على نتريت ونترات الأمونياك وأملاح الفوسفور ومركبات الكلور العضوية مثال مركب D.D.T وغيرها.

تنتقل المبيدات الكيميائية وتصل إلى المسطحات المائية وتلوث المياه مما يسبب انخفاضاً في احتياطي الأحياء البحرية كالأسماك والطحالب الخضراء Algae التي تصنع المادة العضوية وتطلق الأكسجين. تتراكم المواد الكيميائية السامة وتنتقل عبر السلسلة الغذائية الى الإنسان.

٩ ـ المواد البترولية: وهي من أخطر ملوثات مياه البحار نظرا للحاجة الماسة للبترول الذي يشكل المصدر الاقتصادي الرئيسي للطاقة، كما أنه يستخرج حوالي (٢٠٪) من بترول العالم من أعماق البحار وقد تحدث بعض الحوادث أو الإهمال أثناء حفر الآبار فتسبب في تسرب البترول إلى مياه البحر بكميات كبيرة.

وتساهم ناقلات البترول العملاقة بالقسط الأكبر من التلوث حيث تصل هذه الكمية الى مليوني طن في السنة ناتجة عن غسيل خزانات الناقلات بالمياه الساخنة ثم تلقي هذه المياه المشبعة ببقايا البترول في البحر وعندما تفرغ الناقلات حمولتها تملأ خزاناتها الواسعة بمياه البحر لأنها لا تستطيع السير فارغة لئلا يختل توازنها نتيجة تعرضها لأمواج البحر العاتية، ثم تفرغ هذه المياه المشبعة بالبترول في البحر لتضيف كميات جديدة من المواد الملوثة هذا بالإضافة إلى كميات البترول التي تفرغها الناقلات في البحر نتيجة تعرضها لحوادث مختلفة. تقدر كمية البترول التى ترمى في البحار بمليوني طن سنويا موزعة بالشكل التالي:

(١٠٪) تنتج عن غرق البواخر والناقلات.

(٣٥٪) من تنظيف خزانات الناقلات.

(٥ر٢٪) من قذف الزيوت المحروقة في البحار.

(٤٥٪) من مصافي البترول والصناعات البتروكيميائية والبواخر المختلفة.

تدوم المواد البترولية طويلا في مياه البحار وتشكل طبقة عازلة رقيقة تمنع دخول الأكسجين وثاني أكسيد الكربون والضوء إلى المياه وبالتالي توقف عملية التركيب الضوئى التي تعتبر المصدر الأساسي للأكسجين والتنقية الذاتية للماء، ومن نواتج البترول مركب البنزوبيرين وهو من المركبات العضوية المسرطنة التي تسمم حيوانات بحرية وبالتالي تنتقل الى الإنسان عبر السلسلة الغذائية.

١٠ ـ التلوث بالمواد المشعة (التلوث الإشعاعي):

إن النظائر المشعة الناتجة عن التجارب الذرية وغيرها تشكل خطرا واضحا على الإنسان لقد دلت الدراسات الحديثة على أن السنتروسيوم ٩٠ يثبت في العظام ويمكن أن يكون له تأثير مسرطن عند الأطفال وكذلك في الأسنان عند الإنسان.

أهم منابع التلوث الإشعاعي:

- الانفجارات التجريبية في المحيطات.
- سقوط المياه المشعة في المياه وعلى الأرض.
- المواد الناتجة عن المحطات النووية الكهربائية.
- المواد الناتجة عن اليورانيوم ذات الفعالية الإشعاعية.
- حوادث تصيب مولدات ذرية تستعمل في الملاحة (مثال غواصات وبواخر ذرية).

هذا التلوث الإشعاعي الذي ينتشر في البحار لا يخلو من الخطر حيث أن هذا التلوث الإشعاعي يمتص

من قبل البلانكتون النباتي والحيواني ويركز في جسمها ويصبح البلانكتون بذلك مدخرا للعناصر المشعة ومن هنا ينتج خطر دخول المواد المشعة في البيئة الطبيعية (البحرية والأرضية).

١١ ـ التلوث بالمعادن الثقيلة (الكادميوم والزئبق والرصاص):

وهذه المواد الكيميائية اكثر خطرا وأكثر سمية من الفحوم الهيدروجينية إن تركيز هذه المواد قليل في الوسط البحري ولكن مع ذلك فإنها شديدة الخطر على الإنسان ويعود خطرها على تركيزها في البلانكتون النباتي والحيواني (كائنات دقيقة، عوالق أو طافيات). تنتقل هذه المواد عبر السلسلة الغذائية (نبات ـ حيوان ـ إنسان) وبعض المواد السامة جدا مثل الزئبق والكادميوم تشكل أكبر خطر على الحياة الإنسانية.

الرصاص: كثير الانتشار في أجواء المدن، وهو ناتج عن عوادم السيارات ينتقل الرصاص بوساطة الأمطار الى المسطحات وهو عنصر سام بالنسبة للأحياء المائية وينتقل بدوره الى الإنسان عبر الغذاء من اللحوم البحرية الملوثة.

الزئبق: ينتقل الى المياه عن طريق الإنتاج الصناعي ورمي النفايات في المياه، وتقدر نسب الحد الأعلى المسموح به في المياه ٥ر٠ جزء من المليون (PPM) وعنصر الزئبق له خواص تراكمية خلال انتقاله عبر السلسلة الغذائية، لقد وجد أن تركيزه في أنسجة بعض الأسماك التي تعيش في المياه الملوثة يسبب التسمم والخلل الوراثي.

الكادميوم والنحاس والتوتياء وغيرها:

تنتقل هذه العناصر إلى مياه البحار والبحيرات والأنهار عن طريق مياه المصانع، وهي من أخطر الملوثات المائية وخاصة الكادميوم المستخدم في صناعة التوتياء وصناعة أصبغه المواد البلاستيكية والدهانات، ويتصف الكادميوم بخواصه التراكمية في أجسام الكائنات الحيوانية والنباتية، وينتقل إلى الإنسان عبر الغذاء، ومن أهم أعراضه التسممية اضطراب في العظام وتغير في تركيب الدم.

١٢ ـ التلوث بالمواد الصلبة: مثال النايلون الذي يتفكك حيويا ويتجمع في البيئة البحرية وكذلك مخلفات صناعة الورق والسيللوز التي تعتبر مصدرا لتلوث المسطحات المائية بالألياف الخشبية وقشور الأشجار والتي يستهلك تفككها كميات كبيرة من الأكسجين، ويتغير لون الماء وتزيد كثيرا من عدد الكائنات الدقيقة في الماء مما يسبب زيادة في تلوث الماء.

١٣ ـ التلوث الحراري: مثال المحطات الكهربائية النووية التي ترمي في البحار والأنهار، مياه ساخنة يمكن أن يكون لها تأثيرات سيئة على النباتات، والحيوانات المائية مما يؤدي إلى تغيرات مختلفة في النظام البيئي.

ومن المعروف ان كمية الأكسجين المنحل تقل في المياه الدافئة عن المياه الباردة (لاحظ الجدول)، مما يزيد من احتمال انخفاض كمية الأكسجين المنحل دون المستوى المطلوب لبقاء الأحياء البحرية على قيد الحياة، وبصورة عامة كلما انخفض محتوى الماء من الأكسجين الضروري للتنفس كلما قلت الكائنات الحية في الماء.

درجة الحرارة	كمية الأكسجين المنحل (جزء في المليون) P.PM
صفر	١٤.٦
١٠	١١.٣
٢٠	٩.٤
٢٥	٨.٤
٣٠	٧.٦
٣٥	٧.١

جدول يوضح كمية الأكسجين المنحل في الماء

العذب (جزء بالمليون PPM) مع درجات حرارة الماء.

وقاية الماء من التلوث:

الماء ضروري لكل كائن حي بالإضافة لأهميته في الزراعة والصناعة وقد يكون الماء الملوث سببا لأمراض عديدة تنتقل بواسطته، بعد تلوث الماء بواسطة الصرف الصحى هو السبب الرئيسي لنقل الأمراض للإنسان بسبب وجود الفيروسات والجراثيم والطفيليات المرضة المسببة لانتشار المرض، يمكن السيطرة على انتشار الأمراض المعدية والوقاية منها عن طريق تنقية موارد مياه الشرب المختلفة، وان زيادة بعض المواد الكيميائية في ماء الشرب أو نقصانها قد يسبب أمراضا مختلفة أيضا مثال: (زيادة الكلور الناتج عن زيادة مركبات املاح كربونات وكلوريدات وكبريتات الكالسيوم، كذلك زيادة تركيز الفلور في الماء أو نقصانه عن حد معين. ونقصان نسبة اليود تسبب تورم الغدة الدرقية، لذلك لابد من تأمين الماء النقي للشرب دون شوائب جرثومية أو كيميائية ضارة).

تعتبر المياه الجوفية النقية والينابيع من أهم موارد مياه الشرب التى تزود التجمعات السكنية بالمياه اللازمة، ويمكن استعمال المياه السطحية كالأنهار والبحيرات كمصدر للمياه العذبة بعد تنقيتها وتحسين الصفات الطبيعية بإزالة العوالق والترسبات منها وكذلك اللون والطعم والرائحة وإزالة الجراثيم المرضة منها وجعلها صالحة للاستعمال والشرب.

طرق معالجة المياه من التلوث:

هذه الطرق تهدف إلى جعل الماء في حالة كيمائية وفيزيائية وبيولوجية بحيث لا تسبب ضررا للإنسان والحيوان والنبات ومن أهم هذه الإجراءات:

- إنشاء محطات تنقية الماء بالترشيح البطيء والترشيح السريع بحيث تصبح خالية من أي رواسب ضارة أو مواد طافية ذات رائحة أو لون أو أي مواد سامة تضر بالأحياء.

- مراقبة المسطحات المائية المغلقة كالبحيرات من تراكم المواد العضوية المختلفة مما يحدث خللا في التوازن البيئي، وذلك عن طريق إزالة انجراف التربة ومن أفضل الوسائل لتحقيق هذا الهدف تشجير المناطق المحيطة بالمسطحات المائية.

- مراقبة المياه الجوفية المستخدمة للشرب بعدم التلوث بترشيد والحد من البناء السكني أو المنشآت الصناعية المجاورة أو شق الطرق العامة كما وينصح بزراعة الأشجار المناسبة.

- وضع اجراءات بالمواصفات الضرورية وإصدار قوانين لتحديد صفات المياه الكيميائية والبيولوجية منها: الأكسجين الحيوي المستهلك، والرقم الهيدروجيني pH ودرجة الحرارة والمواد العالقة واللون والتلوث الجرثومي والمواد الكيميائية السامة وغيرها.

- الاهتمام بالبيئة المحيطة بالمياه ورصد تلوثها ووضع كافة الإجراءات لحمايتها من التلوث الكيميائي وخاصة المبيدات الكيميائية والعناصر المعدنية السامة التي تتراكم في أنسجة الكائنات الحية.

- مراقبة المياه مخبريا بالتحاليل الكيميائية والحيوية الخاصة وإجراء تحاليل دورية لمراقبة تلوث الماء.

- معالجة المياه المستعملة سواء للاستعمال المنزلي أو الصناعي للحد من زيادة تلوث المياه الجوفية أو المسطحات المائية ومشاكل نقل الأمراض بالإضافة لتأثيرات المياه المستعملة سلبيا على الأحياء التي تعيش في المياه.

وتشتمل معالجة المياه المستعملة على عمليات بيولوجية وكيميائية خاصة تهدف إلى تحسين خواص المياه.

- إصدار قوانين وتشريعات خاصة بالمحافظة على حماية المياه من التلوث الجرثومي والكيميائي والحد من وصول الملوثات إلى مصادر المياه.

التلوث بالمواد العضوية وحياة البحر المتوسط

إن المواد العضوية التي تسبب تلوث المياه يمكن أن تكون منحلة أو معلقة. ويحدث ذلك عندما يتم طرح كميات كبيرة وبشكل منتظم في مجال محدد. يوجد في الطبيعة أمثلة مدهشة للتنظيم الذاتي. هكذا، مثلا يأخذ الإنسان من الوسط البحري مواد عضوية (بشكل نباتات وحيوانات)، ولكنه يعوض جزئيا الخسارة في المواد العضوية، لذلك نجد أنه حتى زمن غير بعيد لم يحدث خلل في دورة المواد. عندئذ نجد أن الكمية الكلية للفضلات العضوية التي تصل إلى الوسط المائي لا يجب أن تزيد عن الكمية التي يستخلصها الإنسان من المياه. بيد أن، في وقتنا الحاضر وفي غالبية مناطق كوكبنا هذا ما يحدث بالضبط، هو أن الإنسان يأخذ أكثر من (٩٠٪) من المواد اللازمة لوجوده من اليابسة، أكثر من نصف الفضلات كلها تطرح في مياه البحيرات، الأنهار، البحار والمحيطات، أي في الوسط المائي.

إن طرح المواد العضوية يؤدي إلى ما يسمى اضطراد النمو البيولوجي أو الإغناء الغذائي (Eu-trophication) كما يسميه البعض والذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى نتائج لا تحمد عواقبها. مثلا، إن طرح الفضلات العضوية التي لم تخضع لعملية التنقية (التطهير) الجزئية أو الكلية مباشرة في الأنهار، كما يحدث هذا كثيراً في معامل الألبان والمسالخ، يؤدي إلى عمليات تحلل (تفكك) نشيطة لهذه الفضلات في الماء، وهذا بدوره ما يترافق مع انخفاض كمية الأوكسجين المنحل في الماء. ونتيجة ذلك يتضرر البلانكتون (العوالق) وتموت الأسماك. ومن هنا نرى أنه يمكن تحديد مستوى التلوث بالمواد العضوية من خلال ما يسمى بالأكسجين الحيوي الممتص (الاستهلاك البيوكيميائي للأوكسجين)، أو كما يسمونه أيضاً المتطلب الحيوي من الأوكسجين أو الطلب البيولوجي على الأوكسجين (BOD) الذي يحدد كمية الأوكسجين المنحل اللازمة للجراثيم (البكتريات) المحللة الهوائية من أجل أكسدة (معدنة) المواد العضوية الموجودة في ليتر واحد من المياه الملوثة.

من أجل المقارنة نذكر أنه في المياه الطبيعية (النظيفة نسبياً) يشكل هذا المقدار تقريباً (١) ملغ O2/ل (ملغ - ميليغرام، ل - ليتر، O2 - الأوكسجين)، أما في المياه الجارية الصناعية والمنزلية فهو يزداد حتى (٣٠٠ - ٥٠٠) ملغ O2/ل.

في الوقت الحاضر ومن أجل حساب الحمولة العضوية (كمية المواد العضوية الموجودة في المياه) وتقييم تركيز الفوسفور، غالباً ما يستخدم وعلى نطاق واسع المؤشر (BOD5)، أي الأوكسجين الحيوي الممتص خلال خمسة أيام.

من أجل إظهار تأثير الكثافة السكانية على شواطيء البحر المتوسط، يمكن أن نذكر مثلا، أن الفضلات الناتجة عن النشاط الحياتي لكل إنسان بالغ تساوي (٢٠) كيلو غرام من المواد العضوية و(٩ر٠) كيلو غرام فوسفور في السنة. ومن الجدير بالذكر أنه على جزء الشاطيء المتوسطي الذي يبلغ طوله (١٠٧٠) كيلومتر، والواقع بين الأيبرو (إسبانيا) والأرنو (ايطاليا) يعيش تقريباً (٩) ملايين إنسان (في الكيلو

بقلم : د. جمال الحنون
جامعة تشرين - سوريا

جمادى الأولى والآخرة ١٤٢٠ هـ - سبتمبر وأكتوبر ١٩٩٩م



- مكب نفايات على مسافة ليست ببعيدة من الشاطىء.

متر المربع الواحد ٢٥٠ إنسان في الجزء الغربي من الشاطىء و٣٠٠ - ٣٤٠ في إيطاليا) لكن في فصل الصيف تزداد كثافة السكان في هذه المنطقة بـ (٥ - ١٠) مرات. وبالتالي تزداد كمية المواد العضوية أيضاً في مياه الصرف الصحي.

تقدر كمية المواد العضوية في المياه الجارية المنزلية (مياه الصرف الصحي) وسطياً بـ (٢٣٦) طناً من الأوكسجين في السنة في كل كيلومتر واحد من الشاطىء (حسب معلومات اللجنة العامة للصيد في البحر المتوسط CGPM ، ١٩٧٢)، أما بالنسبة للفوسفور فإن الرقم الموافق يقدر بـ (١٥) طناً من الأوكسجين في السنة.

تقييم التلوث العضوي في الألب يجري منذ مائة عام: قدر الـ BOD بـ ٥ ملغ O_2/ل في عام ١٨٨٠، ١٢ - في عام ١٩١٠، ٤٢ - في عام ١٩٤٠، ٧٠ - في عام ١٩٥٠، ٨٠ - في عام ١٩٦٠، والخ...

١ - التلوث العضوي بمياه مجاري الصرف الصحي وبمياه بعض الأنهار الكبرى التي تصب في البحر المتوسط:

يمكن تقسيم مصادر التلوث بالمواد العضوية إلى مجموعتين رئيسيتين:

١ - مياه الصرف الصحي للمدن الناتجة عن النشاطات المنزلية والقمامات (الفضلات) المعيشية.

٢ - البقايا الناجمة عن الصناعات التي تعالج مواد عضوية مثل الصناعات الغذائية (المسالخ، معامل السكر والألبان) وصناعة الورق، والدباغة، وصناعة الأنسجة الطبيعية، الخ..

على الساحل الشمالي لأفريقيا، ينقل مصب نهر النيل إلى البحر المتوسط المياه الجارية المنزلية والصناعية لمنطقة القاهرة. وقد قدر العدد الإجمالي لسكان حوض النهر بـ (٩ر٦) مليون نسمة، وتصل الحمولة العضوية لنهر النيل، على الأقل إلى (١٤) ألف طن سنوياً (BOD5)، في حين أن حمولة نهري

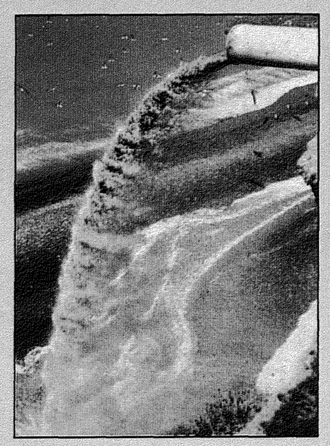
الكاتب في سطور

- دكتوراه (بيولوجيا البحار).

- أستاذ مساعد جامعة تشرين/ اللاذقية/ سوريا.

- شارك في العديد من الندوات والمحاضرات في عدد من الدول العربية.

- له العديد من الدراسات في المجلات العلمية.


- أنبوب صرف صحفي يصب مباشرة في الشاطىء.

الرون والبو هي على التوالي (٩٨) ألف طن و(٤٧٫٦) ألف طن سنوياً.

وتضاف إلى هذه الحمولات العضوية التي تعود فقط إلى مياه الصرف الصحي التي يصرفها القاطنون في محاذاة الأنهار، الحمولات الناجمة عن المناطق الصناعية والتي تبلغ (١٤٢) ألف طن و(١٠٣٫٦) ألف طن سنوياً بالنسبة لمنطقتي الرون (فرنسا) والبو (إيطاليا). ومما يزيد الأمر تعقيداً، هو أن مدناً عديدة وخاصة على الشواطيء المتوسطية العربية مازالت تطرح مياهها الملوثة بالمواد العضوية مباشرة في البحر دون أية معالجة. وغالباً ما تكون طول المصارف في هذه المدن أقل من (١٠٠) متر، كما أنها ذات فعالية محدودة، أو تصب مجاري الصرف الصحي حمولتها مباشرة عند الشاطىء. ولا يجري التطهير البيولوجي الحقيقي إلا بنسبة (٥ ـ ١٠٪) من المياه الملوثة في القسم الشمالي من الحوض الغربي (حسب معلومات اللجنة العليا للصيد في المتوسط/ منظمة الأغذية والزراعة (CGPM/FAO)، ١٩٧٢). ولكن الوضع قد تحسن بشكل ملموس منذ عام (١٩٧٢). هكذا، مثلا على الشاطيء اللازوردي، حيث عولجت جزئياً على الأقل نسبة (٣٠٪) من المياه عام (١٩٧٥)، على الرغم من المشكلات الكبيرة التي مازالت تطرحها منطقة مرسيليا. ومع ذلك تبقى هذه النسبة غير كافية. ونجد على هذا الشاطيء أطول المصارف المائية على البحر المتوسط، مثل مصرف مياه «كان» الذي يصل إلى (١٢٠٠) متر ويطرح مياه الصرف الصحي على عمق (١٠٠) متر.

يضم الساحل الإيطالي (٢٠٪) من سكان البلاد، أي حوالي (١٠) ملايين نسمة و(٥٥٦) مركزاً مدينياً، بينها (٤٠) مركزاً فقط (أي ٧٫٢٪) يهتمون فيها بمعالجة مياه المعامل الملوثة.

وفي الحوض الشرقي الأقل تصنيعاً وكثافة بالسكان، ينحصر التلوث العضوي على شواطيء المدن المرفئية الكبرى.

وعلى الساحل الشرقي، مثلا تضم التجمعات السكانية اللبنانية الكبرى (١٫٢) مليون نسمة، ولا وجود لأية محطة تطهير، في حين أن سُبُعَ شبكات المجاري لمدينة بيروت تصب مباشرة على الشاطيء (جيلدا زخيا، ١٩٨٢).

٢ ـ التلوث العضوي ذو المصدر الصناعي:

بالاضافة إلى المياه الملوثة المطروحة من المدن والفنادق والمطاعم المنتشرة على طول الشاطىء، هناك الفضلات السائلة المطروحة من المصانع والتي تسهم على الأقل بنصف التلوث العضوي الإجمالي، فمثلا، بالنسبة للحوض الشمالي الغربي، تقدر الحمولة العضوية للفضلات المنزلية السائلة بـ (٣٣٥) ألف (BOD5) طن سنوياً، وحمولة الفضلات الصناعية السائلة تقدر بـ (٣١٠) آلاف (BOD5)طن سنوياً.

لقد رسم تقرير اللجنة العامة للصيد في المتوسط (منظمة الأغذية والزراعة الدولية) لعام ١٩٧٢، خريطة للحوض المتوسطي تشير بصورة تقريبية إلى الحمولة العضوية المطابقة للنفايات المنزلية، وقد قدرت هذه

المسبب	BOD 5 / طن / سنة	BOD 5 / طن / سنة/ كم (كم – طن بعد كم واحد عن الشاطئ)	P / طن / سنة / كم من الشريط الساحلي (P – فوسفور)
I – الحمولة العضوية للفضلات المنزلية السائلة التي تصب مباشرة في البحر			
إسبانيا	١٣٠٠٠٠	٦٠	٢,٧
الحوض الشمالي الغربي	٣٥٥٠٠٠	٣٣٠	١٥,٠
إيطاليا	٣٢٠٠٠٠٠	٤٩	٢,٢
يوغوسلافيا	١٧٠٠٠	٢٧	١,٢
مالطا	٨٠٠٠	٦٧	٢,٧
اليونان	١٠٠٠٠٠	٣٧	١,٧
تونس	١٢٨٠٠٠	–	–
مصر	١٢٦٠٠٠	١٢٦	٥,٧
ليبيا	٧٨٠٠	٧,٨	٠,٣
تركيا	١٠٠٠٠٠	٣٦	١,٦
قبرص	٩٦٠٠	١٥	٠,٧
سوريا	٦٥٠٠	٣٦	١,٤
لبنان	٣١٢٥٠	١٤٩	٦,٠

II – الحمولة العضوية للفضلات الصناعية السائلة التي تصب مباشرة في البحر	
المنطقة البحرية	BOD 5/طن/سنة
الحوض الجنوبي الغربي	٧٠٠٠٠
الحوض الشمالي الغربي ، البحر الليغوري	٣١٠٠٠٠
خليج تورانتو	١٧٠٠٠٠
البحر الأدرياتيكي	٢١٠٠٠٠

III – الحمولة العضوية المقدر وصولها (دخولها) من خلال الأنهار الرئيسية				
النهر	الغزارة كم^3 /سنة	BOD 5/طن/سنة	الحمولة العضوية الصناعية BOD 5/طن/سنة	الحمولة العضوية الإجمالية BOD 5/طن/سنة
الرون	٥٥	٩٨٠٠٠	١٤٢٠٠٠	٢٤٠٠٠٠
البو ، الأدرياتيكي	٥٤	٤٧٦٠٠	١٠٣٠٠٠	١٥١٠٠٠
أديج ، الأدرياتيكي	٦,٩	–	–	–
إيبر	٨,٤	٣٥٢٠٠	٥٤٦٠٠	١٠٧٨٠٠
[illegible]	٤٨	١٤٠٠٠	[illegible]	١٤٠٠٠

ـ جدول يوضح الحمولة العضوية لبعض انواع الفضلات التي تصب في البحر والانهار

الحمولة انطلاقا من الطلب البيولوجي على الأوكسجين (BOD5)مقداره (٢٠) كيلو غراماً للفرد الواحد سنوياً ومن عدد سكان كل منطقة ساحلية. ثم قدرت هذه الحمولة على بعد كيلومتر واحد من الشاطيء، مما يتيح بصورة أساسية مقارنة حمولات مختلف المناطق فيما بينها.

إن الوضع خطير، بوجه خاص، على الشواطيء الإسبانية والفرنسية والإيطالية بين «الأيبرو» و«الأرنو» وفي شمال الادرياتيك، وأخيراً على الشاطيء اللبناني.

٢ـ آثار التلوث بالمواد العضوية:

(أ) آثار التلوث بالمواد العضوية على الكائنات الحية البحرية:

إن وصول المواد العضوية مع المياه الجارية من منزلية وصناعية إلى المياه الشاطئية يؤدي إلي تغيير الفلورا (النباتات) والفاونا (الحيوانات). هكذا، في بانولاس في منطقة طرح المياه الجارية، فإن الطحالب الخضراء من الأجناس كوديوم، أولفا، أينتير ومورفا (Codium, Ulva, Enteromorpha) ازاحت المجموعات النباتية الغنية من الطحالب الحمراء.

في مارسيليا اختفى نهائياً الطحلب الأسمر (البني) سيستوزيرا (Cystoseira crypta) بالمقابل ازدادت كمية كورالينا (Corallina officinalis)، أولفا Ulva lactuca ـ خس البحر لاكتوك) وميتيلوس البحر المتوسط (Mytilus galloprovincialis (Bcllan - Sanlini, 1964) ومن خلال تصنيف كل التغيرات في تكوين النباتات والحيوانات الخاصة بمنطقة ما، يمكن من حيث المبدأ تحديد طبيعة تلوث المياه البحرية وتحديد شدته (التدليل البيولوجي للتلوث).

إذا استمر التلوث بالمواد العضوية لفترات طويلة، فإن النباتات والحيوانات تزول بالتدريج، وتتحول البحيرات والأنهار إلى صحار مائية بهذا الصدد يمكن ذكر مثال واضح ومعبر وهو بحيرة انتاريو، في عام ١٩٢٥ تم صيد (٥٠٠) طن من الأسماك، في عام ١٩٤٠ ـ (٤٠٠) طن، في عام ١٩٥٥ ـ (٥ر٠) طن، وفي عام ١٩٧٠ لم يتم صيد شيء منها، ولم يسلم من هذا المصير البحر أيضاً.

(ب) الآثار على الصحة:

يختلف العلماء المتخصصون حول آثار مياه البحر الملوثة على الصحة البشرية، ولقد أثبتت قدرة البحر على التنقية الذاتية عدة مرات منذ مطلع القرن الحالي. فالوسط البحري هو عموماً معاد للبكتريات، وتتدخل كائناته بعدة أشكال عن طريق امتصاص البكتريات أو إعاقة نموها.

ولمعرفة نوعية المياه تستخدم مؤشرات التلوث البكتيري (الجرثومي)، وعادة «الكوليفورم» و«ايتشيرشياكولي» أو «الستربتوكوك»، و«الكوليفورم» خلافاً للبكتريات الأخرى ليست بذاتها ممرضة، غير أنه يعتقد بأن وجودها في المياه يشير إلى احتمال احتواء هذه الأخيرة على عناصر ضارة أخرى.

وحسب السيد كيكس، منسق «برنامج الأمم المتحدة» (منظمة الصحة العالمية) لمراقبة نوعية المياه


ـ البحث في تأثير أنواع مختلفة من الملوحات على الكائنات الحية البحرية والآثار الناجمة عن ذلك.

الإقليمية، ليس من المؤكد حقاً أن «الكوليفورم» البرازية هي أفضل المؤشرات في مياه المتوسط الساخنة.

وإذا لم يكن هناك أفضل من هذه الطريقة، فإننا سنرجع إلى معايير منظمة الصحة العالمية التي توصي باعتماد مقدار (٥٠٠٠) جرثومة من الكوليفورم باللیتر الواحد كمستوى مقبول بالنسبة لمياه الاستحمام، مع العلم أن عدة شواطىء في الولايات المتحدة وأوروبا تتجاوز بكثير ضعف هذا المقدار، وكذلك في البحر المتوسط وبالنسبة للإنسان، ينبغي التوقف عند ناحيتين بارزتين هما: أخطار الاستحمام واستهلاك أصداف البحر.

ـ الاستحمام في البحر المتوسط: من الأفضل التحدث عن «الخطر» الذي يزداد في البحر المتوسط، حيث يسترخي السياح على الشواطىء وفي المياه مدة أطول بكثير من المدة التي يقضونها مثلا على أحد شواطىء الادرياتيك الشمالية.

بالإضافة لذلك، يضاعف توافد السياح خطر تبادل الجراثيم المسببة للأمراض، لا سيما وأننا نلاحظ غياباً أو نقصاناً عاماً في المنشآت الصحية على الشواطىء.

من جهة أخرى، وإذا ما سلمنا بأن الاستحمام يصبح خطيراً حقاً عندما تزيد نسبة الكوليباسيل (Colibacills) على (٢٠) ألف/ الليتر الواحد من المياه، وإذا جمعنا نتائج مختلف المصادر، يتضح لنا عدم جواز الاستحمام في عدد لا يستهان به من الشواطىء المتوسطية.

وعلى الصعيد الاجمالي الصرف، نضيف بأن قيمة الاستحمام الترفيهية على شواطىء المتوسط قد انخفضت انخفاضاً كبيراً في ضواحي كافة التجمعات السكانية مع وجود القطران والنفايات الصلبة، والمياه العكرة الناتجة عن اضطراد النمو البيولوجي (Eutrophication) الجاري.

ـ استهلاك أصداف البحر: تصفي الأصداف كميات كبيرة من المياه، وهي قادرة على تجميع الجراثيم المرضة الموجودة في مياه البحر، فبلح البحر (Moules) المنتشر في البحر المتوسط، يشكل مثالا جيداً على الأصداف الملوثة في كل مكان تقريباً، ويشكل غذاء واسع الانتشار في منطقة نابولي الإيطالية، وإذا تم تطبيق معيار معقول ـ أقل من (٧٠٠) كوليفورم/ ليتر واحد مثلا، لإجازة تربية بلح البحر، فقد لا نعثر في البحر الأدرياتيكي على أي مكان يتوفر فيه هذا المعيار ويكون قريباً من المراكز السكنية إلى حد يكفل تأمين وصول السلع طازجة إلى الأسواق.

٤ ـ آثار إغناء المياه بالمواد العضوية على الوسط البحري:

في مصبات الأنهار والأماكن المسورة والخلجان شبه المغلقة الطبيعية وغير الطبيعية (الاصطناعية)، يمكن أن يؤدي قرب المجاري إلى نشوء ظاهرة الإغناء

الغذائي أو اضطراد النمو البيولوجي -Eutroph-ication) المذكورة سابقاً وزيادة تركيز المواد الغذائية (الأملاح المعدنية) إلى حد يتجاوز طاقة الوسط البحري على استهلاكها وتدويرها. ونشهد أن بداية «اضطراد النمو البيولوجي» تتجلى بانتظام في انخفاض عدد النباتات القاعية وحلول بعض النباتات البلانكتونية (العوالق النباتية) محلها. وتستطيع هذه الأخيرة تحمل المياه الفقيرة بالأوكسجين، وغالباً يعض الأنواع التابعة لبعض أجناس السوطيات (Dinoflagells) التي تلوث المياه بخضابها (موادها الصباغية) الذي يتراوح بين البني المخضر والأحمر البرتقالي. هذه هي بداية مصدر ظواهر «مد الطحالب الحمراء»، التي يكون لها آثار سلبية على الحيوانات التي تهاجر أو تموت، وعلى المستحمين.

لقد لوحظت ظواهر «المد الأحمر» - «المرض البيئي» هذه في عدة مرافيء وأحواض متوسطية، وكذلك أمكن اكتشاف عدة أجناس بلانكتونية نباتية يمكن اعتبارها كمؤشرات للمياه الملوثة.

كما تطرأ أيضاً على أنواع البلانكتونات الحيوانية وحيوانات الأماكن المغلقة تغيرات ملموسة، فمن بين مجدافيات الأرجل (Copepods) تم التعرف على أنواع خاصة بمياه الخلجان، يمكن اعتبارها كدلائل (مؤشرات) حيوية (Bioindicators) على التلوث.

ومن خلال الدراسات والأبحاث التي قمنا بها في الجزء الشمالي الغربي من البحر الأسود (الحنون ١٩٨٢)، الذي يتصل بدوره مع البحر المتوسط توصلنا إلى عدة نتائج نذكر بعضها، وهي ما تتعلق بالتدليل البيولوجي للتلوث العضوي:

١ - وجود النوع Synchaeta baltica (من الدوارات Rotatoria) الذي يعتبر كدليل على التلوث العضوي الشديد، خلال العام كله، وليس نادراً بكميات كبيرة في المناطق المدروسة، وخاصة في خليج أوديسا، يشهد على تلوثها الكبير بالمواد العضوية.

٢ - يمكن استخدام النوعين Plcopis Poly-phemoides. S. baltica (من متفرعات القرون Cladocera)، وبدرجة أقل S.grimpei (من الدوارات) كدلائل على مستوى تلوث مياه الجزء الشمالي الغربي من البحر الأسود بشكل عام، وخليج أوديسا والمناطق المجاورة له خاصة بالمواد العضوية.

ومن خلال الدراسات والأبحاث التي أجريناها في النصف الأول من التسعينيات (الحنون ١٩٩٢، ١٩٩٣، ١٩٩٤) حول تأثير التلوث العضوي (التلوث بمجاري الصرف الصحي) على العوالق الحيوانية في عدة مواقع من الساحل السوري في منطقة شرق المتوسط، قد توصلنا الى كثير من النتائج، نذكر منها ما يتعلق بتأثير التلوث (العضوي) على العوالق الحيوانية:

١ - توجد أنواع (من مجدافيات الأرجل) مميزة للمنطقة الملوثة متمثلة بأنواع فصلية Acartiidae، وبعض الأنواع الأخرى التي كانت أقل غزارة ووجوداً، وبلغ العدد الإجمالي لهذه الأنواع (٩) فقط.

٢ - كان عدد الأنواع التي ظهرت في المنطقة النظيفة أكثر نسبياً من عدد الأنواع التي ظهرت في المنطقة الملوثة، حيث بلغ عددها (٢٥) نوعاً.

٣ - ظهرت أنواع ذات درجة وجود أعلى في المناطق المعرضة لمصبات مجاري الصرف الصحي، بالمقارنة مع المنطقة النظيفة نسبياً، تنتمي هذه الأنواع بشكل خاص إلى فصيلة Acartiidae، ومن بينها النوع Acartia grani بالدرجة الأولى.

٤ - ظهرت أنواع ذات درجة وجود أعلى في المنطقة الأقل تعرضاً للتلوث بالمقارنة مع المناطق الأخرى المعرضة لمصبات مجاري الصرف الصحي، من هذه الأنواع نذكر مثلا Temora stylifera Co-rycella rostrata.

وهكذا، لحظنا ما للتلوث بالمواد العضوية من تأثير على البيئة البحرية وكائناتها الحية من نباتية وحيوانية، ومن الناحيتين النوعية والكمية. وكذلك على الخواص الحيوية الأخرى للمياه ونوعيتها (جودتها)، وعلى الخواص الصحية أيضا لمياه البحر المتوسط، وخاصة المناطق الشاطئية، وما لذلك من انعكاسات على السياحة بشكل عام، وصحة الإنسان بشكل خاص.

لعنة الرصاص
من العهد الروماني إلى القرن العشرين

اثيرت في السنوات الأخيرة قضية الرصاص عربياً وعالمياً وازدادت الأهمية بهذا العنصر الملوث، في حين كشفت الدراسات أن هذا العنصر معروف منذ القديم فقد استخدم الرومانيون هذا المعدن حيث ساهم في زوال مملكتهم، وموت أباطرتها ومفكريها، لقد صنعوا منه أواني الطهي وكؤوس الشراب وصنعوا منه الواحاً تسقف بها مبانيهم وأنابيب لنقل المياه إلى قصور وبيوت الطبقة الحاكمة وسلط الله عليهم لعنة الرصاص من خلال النبيذ الذي كانوا يخزنونه في أوعية فخارية مبطنة بالرصاص وبمرور الزمن يتاكسد النبيذ تاكسداً جزئياً وينتج عنه بعض الأحماض فتذيب هذه النواتج الحمضية الرصاص ويختلط مع النبيذ وبذلك يجد طريقاً سهلا إلى أجسام الشاربين.

ويربط اصحاب هذا الرأي بين افتراضهم العلمي هذا وبما سجله التاريخ من كثرة ما كان يولد ميتا من أطفال «الطبقة العليا والحاكمة» كذلك بانتشار حالات الجنون والصرع في أفراد الاسرة الذين يبلغون سن الرشد ويربطون ذلك ايضاً بوفاتهم المبكرة حيث تدل الدراسات على ان متوسط عمر افراد هذه الطبقة كان لا يتعدى ٢٥ سنة ويؤكد العالم الكندي «جيروم فيرياجو» مدير معهد بحوث الماء في اونتاريو تلك الحقيقة وذلك بالدراسة التي نشرها عام ١٩٨٧ ويشير الى نهاية كل من «كلوديوس» الذي كان يعاني من ارق دائم واضطراب في معدته، و«كاليجولا» الذي وصفت تصرفاته بالشذوذ واتسمت قراراته بالعبثية الى «نيرون» الذي اصيب باضطراب عقلي. فكان وباء الرصاص بمثابة سوسة وئيدة الخطى نخرت بنيانهم وهدته تدريجيا وعجلت في زوال امبراطورتهم.

الرصاص في بيئتنا:

هذا ما جاء عن الاقدمين وقصصهم ولكن الرصاص الذي يستخدم اليوم في صناعات مختلفة يفوق رصاص الدولة الرومانية اضعافاً مضاعفة فقد تجاوز الانتاج العالمي للرصاص ٥ر٥ مليون طن وهو يوجد بشكل طبيعي في التربة والمياه والنبات والحيوان رغم أنه لا يعتبر عنصراً غذائياً، ويدخل الرصاص في العديد من الصناعات الحديثة وأنابيب المياه التي تستخدم لجر المياه الى المنازل وبعض المزارع وفي العديد من الصباغات التي تطلى بها جدران المنازل والمباني، كذلك يدخل في صناعة البطاريات والمبيدات الفطرية والحشرية والمعجون الذي تثبت به الالواح الزجاجية في الأطر، والمادة التي تستخدم في اللحام الجانبي لعلبات الأغذية وتحتوي حروف الطباعة على رصاص وحتى صناعة الذخيرة يدخل فيها الرصاص وهو كذلك في القوارير واطباق المائدة ويعرفه صناع الخزف كما أن لصناع الكريستال خبرة فيما يفعله اكسيد الرصاص في منتجاتهم فيما يحلل الضوء إلى أطيافه الزاهية البراقة، ويدخل الرصاص في كثير من

بقلم : د. عواد جاسم الجدي
ـ الكويت ـ



ـ الحدائق رئة المدينة وتقاوم التلوث بالرصاص.

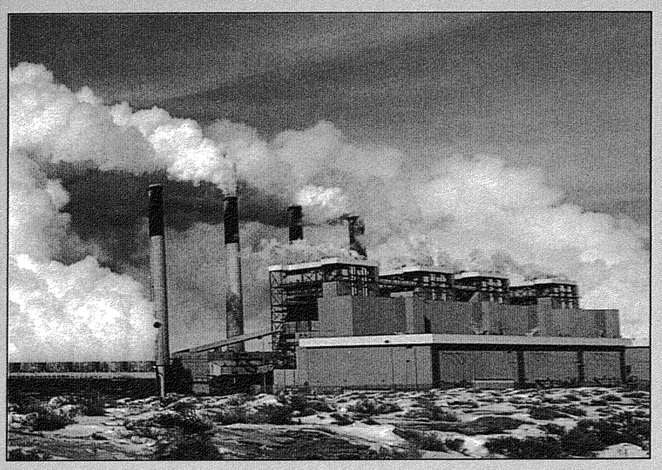
ـ زحام السيارات وعوادمها مسئولة عن التلوث.

مستحضرات التجميل كأصباغ الشعر والكريمات والكحل والعديد من المنتجات الأخرى التي تدخل في صميم حياتنا اليومية.

وللدلالة على ازدياد استخدام الرصاص نشير الى أن انتاج العالم منه قد ازداد عام ١٩٩٠م الى ستة اضعاف عما كان عليه عام ١٩٦٠م.

عوادم السيارات السبب الرئيسي:

قدرت الدراسات البيئية المختلفة ان عوادم السيارات التي تنفث الدخان هي المسؤولة عن ٨٠٪ من إجمالي الرصاص الموجود في الهواء ويعود ذلك الى مركبات مثل رباعي ايثيل الرصاص Lead tetra-ethyl ورباعي ميثيل الرصاص Lead tetra-methyl التي تعمل على زيادة فاعلية الاحتراق في المحرك والحد من عمليتى الخبط والفرقعة التي تحدث داخل محركات السيارات نتيجة لتبادل اشواط الاحتراق في المحرك الواحد وبعد اكتشاف هذه المركبات اضيفت الى وقود السيارات (بنزين) إما مركب لمفرده أو الاثنان معاً، ولكن نجاح الفكرة لم يدم طويلا إذ سرعان ما عرف الخبراء ان الوقود المرخص الذي اضيف اليه أحد المركبين السابقين أو كليهما، يحترق في آلات الاحتراق الداخلي وتتأكسد مكوناته



- الصناعات الحديثة مسئولة عن تلوث الهواء بالرصاص.

وينتج اكسيد الرصاص ضمن ما ينتج من عوادم السيارات، كذلك عرفوا امكانية ترسبها داخل جدران المحرك فأضافوا مادة «بروميد الاثيلين» الى البنزين لمنع الترسب حيث تتفاعل هذه المادة مع رصاص الوقود المرصص لتتحول إلى مادة جديدة هي «بروميد الرصاص» وهي مادة متطايرة تخرج مع غازات المحرك الساخنة وتترسب بعد ذلك مزودة البيئة باضافات جديدة من الرصاص.

لقد حددت منظمة الصحة العالمية وهيئات حماية البيئة اعلى حد لاضافة مركبات الرصاص الى البنزين وهو ٨٤,٠ غرام لكل ليتر من البنزين ولكن دولا عديدة خطت خطوات عملية لتخفيض هذا الرقم كثيرا أملاً بالوصول الى إزالة هذا العنصر نهائياً من البنزين من خلال تحسينات تدخل على المحرك للمحافظة على أدائه وقوته وسرعة اندفاع السيارة، وفي مارس عام ١٩٨٥ اعلنت منظمة حماية البيئة العالمية تخفيض نسب الرصاص المضاف الى البنزين على النحو التالي:

- لغاية يوليو ١٩٨٥ تخفض الكمية الى ١٣ر٠ غرام/ليتر.
- لغاية يناير ١٩٨٦ تخفض الكمية الى ٣ر٠ غرام/ليتر.
- لغاية يناير ١٩٨٨ تخفض الكمية الى ٠١ر٠ غرام/ليتر

واتخذ المسؤولون في دول متقدمة كاليابان والسويد وبريطانيا وفرنسا واليابان اجراءات مماثلة وذلك للحد نهائيا من اضافة الرصاص الى البنزين.

والجدول (١) يبين كمية الرصاص المضافة الى البنزين في بعض الدول الأوربية وذلك عام ١٩٨٣ والخطة للتخلص منها حتى عام ١٩٩٠.

ويبين الجدول (٢) مواصفات البنزين في دول الخليج.

الدولة	كمية الرصاص(غم/لتر)	ملاحظات
بلجيكا	٤ر.	سيخفض الى ١٥ر. في ١٩٨٧/١/١
هولندا	٤ر.	سيخفض الى ١٥ر. في ١٩٨٧/١/١م
ألمانيا	١٥ر.	ادخال البنزين الخالي من الرصاص في ١٩٨٦م.
النمسا	١٥ر.	
بريطانيا	٤ر.	سيخفض الى ١٥ر. في ١٩٨٦م
سويسرا	١٥ر.	ادخال البنزين الخالي من الرصاص في ١٩٨٦م

جدول (١) كميات الرصاص في البنزين في بعض الدول الأوربية في نهاية عام ١٩٨٣.

المصدر: د. ابراهيم صالح المعتاز مرجع للبحث.

الدولة	النوع	الرقم الاوكتيني RON	محتوى الرصاص غم/لتر
السعودية	ممتاز	٩٥	٠,٨٤
	عادى	٨٣٠	٠,٨٤
البحرين	سوبر	٩٨	٠,٨٤
	عادى	٩٠	٠,٨٤
الكويت	ممتاز	٩٨	٠,٨٤_٠,٥٣
	عادى	٩٠	٠,٨٤_٠,٥٣
قطـــر	ممتاز	٩٧	١,٠٦
	عادى	٩٠	٠,٨٥
الامارات	ممتاز	٩٧	٠,٨٤
	عادي	٩٠	٠,٨٤
عمـان	ممتاز	٩٧	٠,٦٢
	عادي	٩٠	٠,٦٢

جدول (٢) مواصفات البنزين في دول الخليج العربي المصدر السابق نفسه.

إن عملية الاستغناء عن إضافة مركبات الرصاص في مصافي البترول ومصانعه لانتاج البنزين عالي الكفاءة وإن كانت مكلفة وتتطلب جهوداً إضافية إلا إنها مفيدة بيئيا وتستحق التطبيق والسعي في تنفيذها لحفظ وحماية البيئة من هذا الملوث الخطيـــر ووسيلته للحد من انبعاث الملوثات الغازية الأخرى

** نيـرون مـات متـأثرا بتلوث الرصـاص

** يـدخـل فـي صناعـات عـديدة وأدوات نستخدمها يومـيـاً

** الدول المتقدمة والخليجية تسعى لوقف إضافة الرصاص إلى بنزين السيارات

** زيادة الرصاص في الهواء تؤدي إلى تراجع ذكاء الأطفـال

** بعض الأشجار والنباتات تقاوم تلوث الرصـاص



ـ الثمار الملساء لا تتأثر بالتلوث بالرصاص .

لأن معظم الوسائل المستخدمة عالمياً للحد من انبعاث ملوثات السيارة تتعطل بوجود ملوثات الرصاص وتُجري الآن في دول عديدة من العالم ابحاث لايجاد وقود بديل للبنزين كما تمت إضافة بعض المواد الأخرى التي لا تحتوي على الرصاص لرفع كفاءة البنزين في المحرك مثل مادة «مثيل ثلاثي بيوتيل الأثير MIBE.

وتعود خطورة الرصاص إلى بقاء دقائقه معلقة زمناً طويلا في هواء الشوارع والمنازل والمكاتب خاصة في المدن الكبيرة المزدحمة بالسيارات حيث وجد أن المتر المكعب الواحد يحتوي من ١٠ ـ ١٥ ميكروجراماً رصاصاً. وهذه الكمية هامة جداً رغم انها تبدو للبعض ضئيلة فالرصاص مركب عالي السمية وله قدرة هائلة على التراكم في الأجسام وتتعرض لتأثيره كل يوم خاصة إذا ما علمنا ان الليتر الواحد من البنزين المحترق يعطي، ميلي جرام، واحد من الرصاص.

وتنتقل هذه الملوثات الى مسافات بعيده فعند دراسة الجليد للقارة القطبية الشمالية والجنوبية البعيدتين كل البعد عن المصانع والشوارع المزدحمة بالسيارات اشارت هذه الدراسات إلى وجود كميات ازدادت باستمرار حتى عام ١٩٨٠ من الرصاص في جليد القارة الشمالية ثم بدأت نسبة الرصاص في الجليد تتناقص عما كانت عليه من قبل ويشار إلى ان اقدام الولايات المتحدة الاميريكية على تخفيض نسبة الرصاص المضاف الى البنزين هو السبب في خفض نسبة الرصاص في جليد القارة القطبية.

إن أول طريق يسلكه الرصاص الى أجسامنا هو التنفس فعن طريق الهواء الذي نتنفسه تتسرب نسبة ٩٠٪ من كمية الرصاص وكذلك الطعام الذي نتناوله ويصل الرصاص الى الأغذية التي نتناولها عن طريق ترسب دقائق الرصاص المعلقة في الهواء على اجزاء النباتات والخضروات المختلفة وأثبتت الدراسات أن ثمار الطماطم والجزر تكون دائماً أقل في محتواها من الرصاص مقارنة بأنواع الخضر الورقيه التي تؤكل طازجة أو مسلوقة كالخس والجرجير والسبانخ والملوخية حتى لو زرعت هذه الخضر في تربة واحدة. وبنفس الطريقة ولنفس السبب يقل المحتوى الرصاصي في ثمار الفاكهة الملساء السطح كالتفاح والعرمط موازنة بثمار الفاكهة التي تغطي سطحها شعيرات كالمشمس والخوخ وأمثالها.

وبتحليل عينات من الخضار والفواكه التي تباع في المدن الكبيرة المزدحمة بالسيارات ومقارنتها مع عينات من نفس الخضار والفواكه التي تباع في القرى البعيدة عن الزحام فإن تلك التي تباع في القرى تحتوي على كميات أقل من الرصاص وذلك طبيعي ومنطقي.

وهناك سبيل آخر لوصول الرصاص إلى اجسامنا وهو علبة الأغذية المصنوعة من الصفيح (خاصة تلك غير المطلية بشكل جيد من الداخل) حيث تسرب الى الطعام المحفوظ داخلها مزيداً من الرصاص، كذلك

الأمر بالنسبة لسبيكة اللحام الجانبي للعلبة إذ تتألف من القصدير والرصاص ويزداد هذا التأثير الضار كلما طالت مدة التخزين وكان الغذاء حامضياً.

ولا يقتصر وصول الرصاص الى اجسامنا على الهواء والطعام فالمياه الملوثة ايضاً تحتوي على كميات معينة من الرصاص حيث تترسب دقائق الرصاص الملوثة للهواء بفعل الأمطار فيسقط بعضها على اليابسة وبعضها الآخر يصل الى الأنهار وجداول المياه التي يشرب منها بعض السكان.

مخاطر الرصاص:

لعل اخطر ما يقال عن الرصاص هو أنه متى دخل الى جسم الانسان تركز فيه ومكث ولا يستطيع جسم الانسان ان يفرز من الرصاص الواصل إليه سوى ١٠٪ فقط اما نسبة ٩٠٪ المتبقية في جسم الانسان فتستقر في العظام غالباً ومن العظام يتسلل الرصاص الى تيار الدم ومنه الى خلايا الجسم حيث يتسبب في ابطاء عمل الأنزيمات ولهذه تتوقف العديد من التفاعلات الحيوية كبناء هيموجلوبين الدم الذي يتأثر بشوارد الرصاص مما يسبب فقر دم واضح على الأشخاص المصابين بتلوث الرصاص ومن أكثر المتأثرين بالتسمم بالرصاص هم الأطفال حيث يمرون باكثر مراحل العمر قابلية للنمو مما يزيد قدرة أجسامهم على امتصاص هذا العنصر، وأول ما يظهر على الأطفال من اعراض تسمم بالرصاص عند الأطفال ما يعرف بداء مغص الرصاص (Lead Cloic) وهو مغص مصحوب بامساك شديد ويحدث اعقاب ذلك خلخلة في تركيز الطفل ويصبح عصبياً متوتراً ومع مرور الزمن تتدنى قدرته العقلية وتقل بوضوح درجات ذكائه ولا تزال دراسات العلماء تؤكد على الربط بين بلادة الاطفال وبين نسبة الرصاص في دمائهم ففي دراسات اجريت في بانكوك تبين أن الأطفال يفقدون في المتوسط ٤ نقاط أو اكثر في معامل الذكاء عند بلوغهم سن السابعة بسبب ما يتعرضون له في حياتهم من الرصاص.

وفي مكسيكوسيتي وجد أن ٢٩٪ من مجموع الأطفال تحتوي دماؤهم على مستويات غير مقبولة من الرصاص مما يؤثر بشدة في قدرتهم الذهنية ومقدرتهم على متابعة المدرسة والتحصيل المدرسي.

وباستطاعة الرصاص أن يخترق جدار المشيمة ويحدث فيها تشوهات دائمة كما يتسبب في اجهاض الحوامل من النساء.

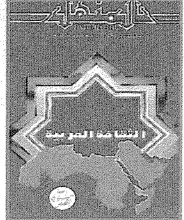
وإذا احتوت دماء الكبار ٣٠ ميكروجرام رصاص بالنسبة الى ليتر واحد من الدم فان ذلك يتسبب في ارتفاع ضغط الدم، ويصيب خلايا القشرة المخية بتلف، الأمر الذي يؤدي الى تدمير هذه الخلايا واصابتها وبالتالي فقد قدرة هذه الخلايا على الاتصال بالمراكز العصبية الأخرى مما يضعف ذاكرة المصاب ويسبب له اضعافاً واحباطاً ذهنيا وبلاده وتقلباً في المزاج وتشتتاً في التفكير.

امام هذه الاضرار الكبيرة التي يحدثها الرصاص للانسان ولصحة الأطفال بشكل خاص فقد تنادت الدول المتقدمة لاستخدام تقنيات جديدة تحد من انتشار ذلك الملوث الخطير وأصدرت قوانين تتعلق بتحديد نسبة الرصاص في الوقود أو تحريم إضافة الرصاص الى البنزين أو استخدام محولات خاصة تمنع انطلاق الرصاص مع غازات العادم. ولا يقتصر الأمر عند وقود السيارات فيصل الرصاص الى اجسامنا عن طريق مواسير الرصاص المستخدمة في شبكات المياه، الأمر الذي حدا بالحكومة الامريكية لرصد ميزانية هائلة لاستبدال انابيب نقل المياه في المدن بأنابيب اخرى مصنوعة من النحاس الأحمر أو البلاستيك وذلك لتجنب تسلل الرصاص إلى مياه الشرب ووضعت هذه الدول قيودا على صناعة الدهانات ومواد الطلاء تمنع إضافة الرصاص الى هذه المواد وذلك للحد من خطورة التلوث به.

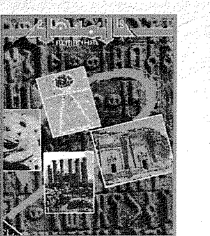
ومما يبعث على التفاؤل ان نسبة الرصاص في دماء اليابانين والامريكيين قد انخفضت الى ثلث ما كانت عليه سابقاً. فالى أية نسبة وصلت كميات الرصاص في دمائنا؟ هل وصلت الحد الخطر؟ أم لا تزال قبل حدود الخطر؟ وما هي الاجراءات المستقبلية التي نستخدمها للحد من التلوث بالرصاص؟ تلك خطوات تحتاج الى بحث ودراسة وتحر وتحتاج الى جهد علمي متواصل للوصول الى الحقيقة.



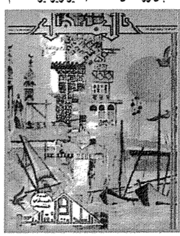
الأمن والأمان
شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٥ م



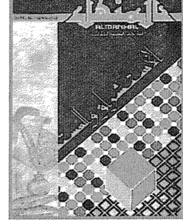
الثقافة العربية
شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ١٩٨٦ م



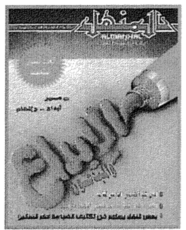
الأثر والآثار
رمضان وشوال ١٤٠٧هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٧ م



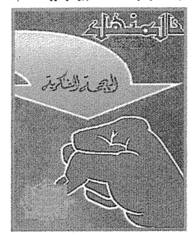
العادات والتقاليد
رمضان وشوال ١٤٠٨هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٨ م



الاستشراق والمستشرقون
رمضان وشوال ١٤٠٩هـ/ ابريل ومايو ١٩٨٩ م



الابداع والبدعون
شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٩٠ م



الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري
شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٢ م



اللغة العربية .. آفاق مستقبلية
شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ/ ابريل ومايو ١٩٩٣ م

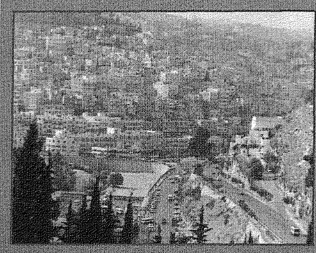


النقد والنقاد
شوال وذو القعدة ١٤١٦هـ/ فبراير ومارس ١٩٩٦ م

من اعدادنا السنوية المتخصصة

مجلة السائح العدد (١١٥)

في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقريء
الملامح ويرسم اللوحة



السلط

مدينة الآثار والتراث



الواحات المصرية جنة الصحراء

السائح

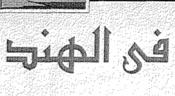
Jumada 1-2, 1420 H – Sep – Oct, 1999 C



في استراليا

** في غابات استراليا وأحراشها، لا تزال هناك شعوب تعيش حياة بدائية يمارسون طقوس أجدادهم وأعرافهم وتقاليدهم، لم يدخلوا عليها جديدا، يخرجها من طابعها الأول، كأنما هي قداسات لا تتخلف.. وحتى اولئك الذين انقطعوا عن حياة الغابة، وانصهروا في حياة المدينة، والمدنية، يرجع بهم العشق القديم الى الغابة وطقوسها، ولما كان لا سبيل الى الرجوع إليها، فلا أقل من أن يقيموا مهرجاناً سنويا يستعيدون فيه حياة أجدادهم وأسلافهم.

وهذه الرقصات والازياء والاقنعة واحدة من استعادة ذلك التراث.



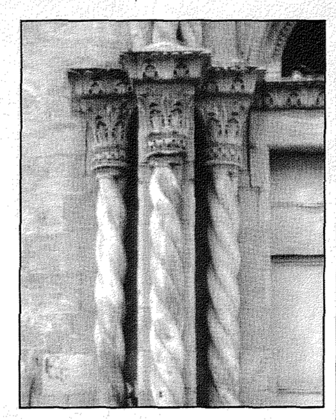


في الهند

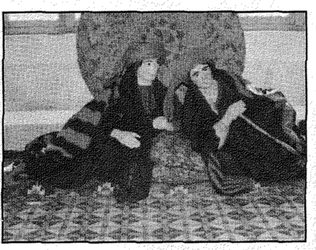
** الهند بلد العجائب ، ولا غرابة في ذلك.. من ركوب الفيل، إلى رقصة الثعبان، إلى صراع الجمال، واقتتال (الديكة) .. إلى السحر، وأفلام الحركة التى تشد الانفاس وتقطعها.

ولعل من جديد عجائبهم وغرائبهم رقصة الدب، ولعب القرود، باسلوب جديد متفرد.

(السلط) مدينة الآثار والتراث



ـ أعمدة منحوتة على الحجر.



ـ الازياء الشعبية لنساء السلط.

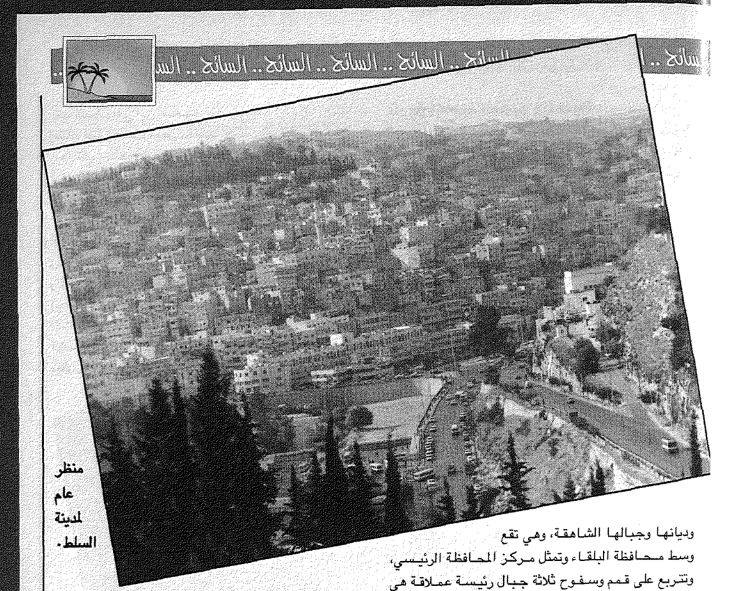
تاريخ المدن وتراثها ثروة كبيرة لا تقدر بثمن، وهي مع الأسف البالغ ثروة مضيعة في كثير من الأحيان والأقطار.. ولعل ما تتميز به بعض مدن عالمنا العربي من ثروة تراثية وأثرية خصبة ما يحفز المرء على دق نواقيس الخطر للفت الانتباه إليها والحفاظ على ثرواتها، ولبذل المزيد من الجهد والمال من أجل الوقوف على عجائب هذه الثروة وصيانتها والحرص على بقائها في أزهى صورة، وأرقى حال.

سوف أتناول في هذا الاستطلاع إحدى أقدم المدن العربية تاريخاً وحضارة، وقبل الخوض في تفاصيل ذلك، لابد من القول أولا أن هذه المدينة لم تنل بعد حظها من العناية والرعاية كمدينة ذات تاريخ عريق وتراث معماري مميز، لا، بل لقد جرت كثير من المحاولات المعاصرة لطمس العديد من معالمها التراثية الرائعة، وتحويل هذه المعالم إلى صناديق حجرية هي ما بات يشكل العمارة الحديثة في عالم اليوم دون أدنى شعور بأهمية ما تنطوي عليه المدينة القديمة من تراث عريق زاخر، ولولا حماية الله تعالى لهذه الثروة، ثم ما اتجهت إليه أنظار بعض المؤسسات المتنورة إلى هذه الثروة، وإدراك ما تبقى منها، وأشير هنا إلى جهود واهتمام مؤسسة إعمار المدينة، لما وجدنا شيئاً من معالمها وتراثياتها العظيمة الرائعة.

مدينة أخّاذة موقعاً وطبوغرافية:

تأسرك مدينة السلط وأنت دالف إليها من العاصمة الأردنية (٢٥كم إلى الغرب من عمّان)، فأجمل ما يميز المدينة هو طبوغرافيتها الرائعة إذ أول ما يواجه القادم هو

استطلاع: موسى الصبيحى
ـ الريـاض ـ



منظر عام لمدينة السلط.

وديانها وجبالها الشاهقة، وهي تقع وسط محافظة البلقاء وتمثل مركز المحافظة الرئيسي، وتتربع على قمم وسفوح ثلاثة جبال رئيسة عملاقة هي القلعة والجدعة والسلالم (سميت بالسلالم لعلوّها وصعوبة الصعود إليها)، ويخترق وسط المدينة واديان رئيسان هما وادي الأكراد، ووادي الميدان اللذان يشكلان شوارع السلط الرئيسة ثم يلتقيان جنوب المدينة ليشكلا وادياً واحداً يلتقي بدوره مع واديين آخرين: وادي المحباصية من جهة الغرب، ووادي الشجرة من جهة الشمال الشرقي لتؤلف الأودية الأربعة معاً وادياً واحداً هو الشهير بوادي السلط.

ترتفع مدينة السلط عن سطح البحر بحوالي ثمانمائة متر، وتقع على خط عرض (٢ر٣٢) درجة شمالا، وعلى خط طول (٤٤ر٣٥) درجة شرقاً، ويبلغ عدد سكان المدينة حوالي مائة ألف نسمة من مجموع عدد سكان محافظة البلقاء البالغ قرابة ثلاثمائة ألف نسمة.

ولقد كانت السلط على مرّ التاريخ هي مركز البلقاء، وقد أكسبها موقعها وطبوغرافيتها الجبلية حصانة طبيعية فريدة من نوعها إذ وصفها أبو الفداء بقوله: (بليدة وقلعة في جبل الغور الشرقي.. وهي تقابل أريحا، وتشرف على الغور، وللصلت بساتين كثيرة، وحب الرمان المجلوب منها مشهور في البلاد وهي بلد عامر آهل بالسكان..) وقد أدت طبيعتها الطبوغرافية الجبلية هذه إلى توسعها توسعاً عمودياً، وبدت بيوتها ذات الحجارة الصفراء والعقود والقناطر والطوابق المتعددة وكأنها شجرة كرمة تشعبت أغصانها وتسلقت جبالها الثلاثة فأضفت عليها طابعاً معمارياً جميلا أخاذاً.

السلط أو سالتيوس:

يعود تاريخ المدينة إلى العصور القديمة، والاسم الحالي لها (السلط) هو اسم حديث نسبياً، وأقدم مرجع ورد فيه هذا الاسم هو كتاب (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) لمحمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة (متوفى عام ٧٢٧هـ)، كما ورد ذكر لهذا الاسم

عند الجغرافي ابن سعيد المغربي (١٢١٤ - ١٢٤٣م). وهناك لفظ (الصلت) ومن معانيها الجبين الواضح، كما أنها ربما تكون مأخوذة من قولنا أصلت السيف أي جرّده، وقد أورد ذكر هذه التسمية المؤرخ ابن الأثير (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) في سياق حديثه عن حوادث عام ٥١٢هـ، واللفظان المذكوران (السلط) و(الصلت) هما صيغتان محرفتان عن الكلمة اللاتينية سالتوس وتعني الغابة أو الوادي المشجر، ومن المعاني التي حملتها المعاجم لكلمة السلط: القهر والشدة، كما لابد أن نذكر أن هذه المدينة عرفت قديماً باسم (جدارا) أو جادورا)، وقد وردت هذه التسمية في وثائق الآشوريين ومن معانيها الجدار أو الحائط، كما أن هذا الاسم ربما يكون منحدراً من اسم النبي جاد بن يعقوب الذي يقال بأنه سكنها.

- جزء من جبل الجدعه.

تاريخ المدينة القديم والحديث:

يرجع تاريخ مدينة السلط إلى العصور الحجرية القديمة أي قبل نحو ثلاثين ألف عام قبل الميلاد منذ أن كان الانسان الأول يعمل بمهنة الصيد إذ كان يتخذ من مدينة السلط مسرحاً لممارسة الصيد في غاباتها الكثيفة آنذاك إلى أن شرع بأولى خطواته نحو تكوين التجمعات الزراعية، ولقد دلت على ذلك العديد من أعمال التنقيب في التل والوادي التي كشفت عن فؤوس ورؤوس حراب وخناجر ومُدَى وغيرها من مخلفات الإنسان في تلك الحقبة.

وقد توالت بعد ذلك الحضارات المختلفة على المدينة إذ دخلها الهكسوس قادمين من مصر إبان العصر البرونزي المتأخر (١٦٠٠ ق.م) وجلبوا معهم مخترعات الحضارة المصرية القديمة من فخار ومنسوجات وأسلحة وعربات تجرها الخيول، وفي عام (١٠٠٠ ق.م)، إبان العصر الحديدي، اكتسح العمونيون مدينة السلط وقسّموها إلى ثلاثة أجزاء: الجزء السكني المقام على سفوح الجبال، والأرض الزراعية المحيطة به، والقلعة المشادة على أعلى قمم جبالها (سنأتي للحديث عن هذه القلعة فيما بعد)، وبعد زوال الدولة العمونية تعاقب على حكم المدينة البابليون والآشوريون والكلدانيون، والفرس، واليونانيون، والرومان، والبيزنطيون، حيث شهدت المدينة ازدهاراً كبيراً في العهد البيزنطي ولا أدل على ذلك من بقايا معصرة الزيت التي عثر عليها منذ عهد قريب، كما أصبحت مركزاً للأسقفية المسيحية، وقد ظل البيزنطيون في المدينة إلى أن دخلتها جيوش الفتح العربي الاسلامي، حيث أصبحت السلط في العصر الاسلامي

الراشدي حاضرة البلقاء، وفي العهد الأموي الذي شهد انتقال عاصمة الخلافة الاسلامية من دمشق إلى بغداد تراجعت أهمية السلط، إلى أن هاجمها الصليبيون وتعرضت المدينة للدمار بعد أن أصبحت مركزاً للقائد الاسلامي صلاح الدين الأيوبي (حوالي القرن الثاني عشر الميلادي)، حيث قام الملك الصليبي بلدوين بهدم قلعتها عام (١١٠٧م) وأعيد بناؤها عام ١٢١٧م، وقد اجتاح التتار المدينة ودمروا قلعتها مرة ثانية عام (١٢٦٠م) إلى أن أعاد الظاهر بيبرس ترميمها في العام التالي، بعدها وقعت المدينة تحت حكم المماليك واعتبرت إحدى ولاياتهم.

وفي سنة ١٥١٧م أصبحت (السلط) تحت مظلة حكم السلطان العثماني سليم الأول، وبقيت تابعة للدولة العثمانية حتى نهاية الأخيرة عام ١٩١٨م.

وفي عام ١٩١٧م دخلت القوات الانجليزية مدينة السلط على إثر انسحاب الأتراك منها وتم فرض الانتداب البريطاني على الأردن عام ١٩٢٠م، وفي نيسان من العام ١٩٢١م قام الأمير عبد الله بن الحسين ـ ملك الأردن فيما بعد ـ بتأسيس إمارة شرق الأردن وجعل عمان مركزها الإداري، إلى أن قام الأمير شاكر بنقل مركز الإمارة إلى مدينة السلط عام ١٩٢٣م بصورة مؤقتة ثم أعاده الأمير عبد الله إلى عمان في العام ذاته.

تراث السلط وآثارها:

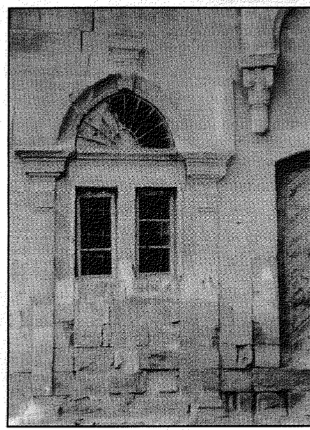
ـ مدفن بيزنطي:

تم العثور في موقع يسمى (سارة) يقع بمنطقة وادي الشجرة على مغارة تتشح جدرانها برسومات دينية يرجح أنها كانت تستخدم كمدفن للبيزنطيين، وعثر إلى جوارها على غرفة مربعة منحوتة في الصخر ذات ستة أقواس، نقش على أحدها رسم لرجل وامرأة.

ـ قبر روماني:

أيضاً عثر عام ١٩٧٨م في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة وبطريق المصادفة على قبر روماني يتألف من حجرة مربعة الشكل ذات باب حجري، ويتكون القبر من طابقين في كل منهما ثلاثة قبور، وينتصب في أحد الطابقين تمثال لرجل طاعن في السن يرجح أن يكون هو رب الأسرة، وتدل الشواهد على أن تاريخ القبر يرجع الى القرنين الثالث والرابع للميلاد حيث تم العثور فيه على قطعتي نقد نحاسيتين تحمل إحداهما نقشاً لصورة الملك هيرودوس بينما تحمل

ـ فن العمارة القديمة في السلط.



ـ مدينة السلط القديمة.

لثانية نقشاً لصورة الأمبراطور قسطنطين الأول (٣٠٦ ـ ٣٣٧م).

ـ الحمّام الروماني:

ولعل من أحدث ما تم الكشف عنه من بقايا أثرية في المدينة تدل على قيام العديد من الحضارات فوقها هو ذلك الحمّام الروماني الذي عثر عليه في تموز من عام ١٩٨١م عند مدخل مدينة السلط وقد اكتست جدرانه بطبقات القصارة، ولكن زال هذا المعلم الأثري النادر ـ مع الأسف ـ بعد أن تم إقامة بناء فوقه (بناء مجمع النقابات المهنية الحالي في المدينة).

ـ قلعة السلط:

تقوم هذه القلعة فوق قمة جبل يتوسط المدينة، وقد تردمت القلعة ولم يتبق منها سوى بقايا قليلة، ويعود تاريخها الى القرن الحادي عشر الميلادي حيث قام ببنائها الملك شرف الدين عيسى ابن الملك العادل، وهي بالاضافة إلى موقعها الحصين فقد كانت أيضا محاطة بسور مبني من الحجارة الضخمة، وتنتصب على السور أبراج عديدة لم يبق منها سوى برج واحد هو برج (خيار)، كما يحيط بالقلعة خندق ضخم أيضا لا تزال المنطقة تعرف باسمه حتى يومنا هذا.

ملك القلعة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بعد استيلائه على دمشق ثم سقطت بأيدي التتار إلى أن قام القائد قطز باسترجاع البلاد، كما أجرى السلطان بيبرس عام ١٢٦١م بعض الإصلاحات في القلعة التي استمر استخدامها حتى القرن التاسع عشر الميلادي حين قام ابراهيم باشا بتدميرها عام ١٨٤٨م.

وتطل القلعة على معظم مناطق المدينة بوضوح، إذ يمكن للناظر من القلعة أن يشاهد إلى الجنوب منها وادى الأكراد، وإلى الجنوب الغربي منطقة الصافح الآهلتين بالسكان، وإلى الشمال شارع ومنطقة الميدان، وإلى الشرق منطقة السلالم، ولعل من أسرار وعجائب هذه القلعة ذلك النفق السري الممتد من وسطها إلى وسط المدينة حيث عين الماء القديمة إذ يرجح أنه كان يستعمل معبرا ومنفذا للجنود إضافة إلى استخدامه طريقا للتزويد بالماء والطعام.. ويذكر الرحالة بيركهارت الذي زار المدينة في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي وشاهد هذا النفق بأنه ـ أي النفق ـ لا يزال يستخدم حينئذ.. وكل ما تبقى من القلعة حاليا هو بعض الأساسات والأقسام السفلى من الجدران، ويعلو تل القلعة مسجد حديث تحفه بساتين التين والعنب والزيتون، كما جرى استخدام المنطقة الجنوبية من التل كمقبرة لا يزال بعض أهل المدينة يدفنون فيها موتاهم.

ـ جامع السلط الصغير:

يتوسط هذا الجامع مدينة السلط، وقد بني على نفقة أهالي المدينة في مطلع هذا القرن وبالتحديد ما بين عامي ١٩٠٦ ، ١٩٠٧م ويقع في نهايات شارع قديم عريق مبلط بالحجارة الصفراء وتنتصب على جانبيه العمارات والمحال التقليدية التي عكست أسلوب وفن العمارة التقليدية في المدينة، ولا يزال هذا الشارع قائما ومحافظا على طابعه المعماري الفريد، ويسمى شارع (الحمام)، وقد استخدمت في بناء المسجد حجارة صفراء تم تحضيرها في محاجر المدينة، وهو ذو أعمدة داخلية مبنية من الحجارة أيضا، وذو عقود استخدم في إشادتها الطوبار الخشبي، ويمتاز الجامع بارتفاع سقفه المؤلف من ألواح خشبية مغطاة من الخارج بمادة القرميد الأحمر، وتتم عملية إنارة الجامع من خلال فتحات وترية تعلوها نوافذ دائرية ذات زجاج ملون.

يتألف الجامع من مصلى رئيسي، وساحة خارجية مكشوفة ذات بلاط حجري، ومن الخارج تصطف على جانبي مدخله عدد من المحال التجارية (الدكاكين) الصغيرة، ويعتبر هذا الجامع أقدم مساجد المدينة التي لا تزال قائمة عقب هدم الجامع الكبير في عقد السبعينيات وبناء مسجد حديث مكانه.

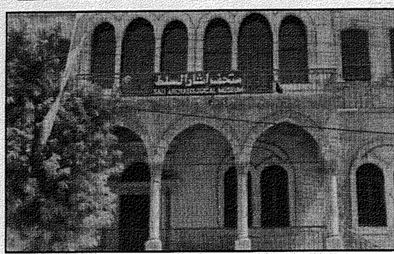
- مبان تراثية عريقة:

تحفل مدينة السلط بالكثير من المباني السكنية ذات الطراز المعماري المتميزة بعقودها الرائعة الجميلة، بعض هذه المباني تم هدمها واستبدالها بمبان حديثة، وبعضها لا يزال قائماً إلى الآن، وهي في نظري تحتاج الى المزيد من الاهتمام والعناية للحفاظ عليها، ومن هذه المباني التي لا يتسع المجال للدخول في تفاصيل ومميزات كل منها نذكر: مبنى الخطيب، الذي يضم بيتاً فلاحياً كبيراً ربما يعود بناؤه إلى العام ١٨٦٠م، ومبنى المعشر الذي يقع في وسط ساحة السلط الرئيسة وهو مكون من ثلاثة طوابق يتم الصعود إليها عبر درج ضيق متعرج، ومبنى الداود وهو يتألف من طابقين ويتميز بجدرانه السميكة التي تفصل بين غرفه المغطاة بعقود متقاطعة وأخرى برميلية، وهناك أيضاً مبنى السكر ويتألف من عمارتين تتكون الرئيسية منهما من أربعة طوابق ويتسم هذا المبنى بتفاصيل معمارية رائعة الجمال.

السلط الحديثة اليوم:

تطورت مدينة السلط تطوراً مشهوداً في العقدين الماضيين، وأخذت تمتد وتتوسع أفقياً وعمودياً، وتسارعت وتيرة النمو في المدينة، وتزايدت أعداد سكانها بصورة ملوحظة.. وقد شيدت المباني والمنازل الحديثة فيها وأقيمت المجمعات التجارية الكثيرة، وشهدت المدينة قيام بعض الصناعات الناجحة فيها مثل مصنع الحسين للأدوية التابع للشركة العربية لصناعة الأدوية، وهو أول مصنع للدواء في الأردن وربما كان من أقدم المصانع الدوائية في منطقة الشرق الأوسط أيضاً.

وأكثر ما يميز مدينة السلط الآن مقاهيها الشعبية وبخاصة ذلك المقهى الشهير المسمى (مقهى المغربي) وبلسان أهل السلط (قهوة المغربي)، حيث يلتقي كل مساء



- متحف آثار السلط.

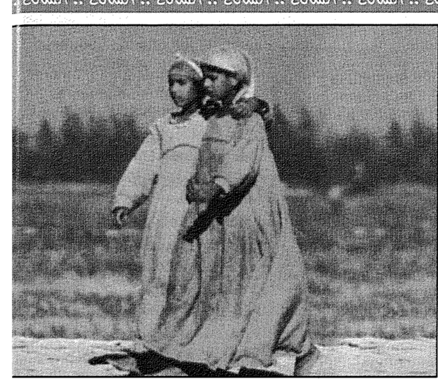
الأصدقاء ويقضون عدة ساعات في لعب (الشدة) وتبادل الأحاديث وتناقل الأخبار العامة، ويقول أحد رواد هذا المقهى بأن الجلوس في المقهى هو أفضل مكان لتسقط أخبار البلد!!

وقد أنشئت في مدينة السلط حديثاً جامعة رسمية ضخمة أطلق عليها اسم جامعة البلقاء التطبيقية، وتضم العديد من الكليات الجامعية المتخصصة في العلوم التطبيقية والموزعة في كافة انحاء الأردن، ولعل أهم ما تفتقر إليه المدينة هو المتنزهات العامة، ومن مشكلاتها ما تعانيه من اختناقات مرورية صعبة في شوارع وسط المدينة حيث تتركز الأسواق والمجمعات التجارية، كما أنها تفتقر إلى مقبرة كبيرة خارج حدود المناطق السكنية، إذ أن مقابر المدينة المتعددة أصبحت الآن وبحكم تطور المدينة وتوسعها واقعة وسط الأحياء السكنية المأهولة.

وبعد:

السلط مدينة التاريخ والتراث والعراقة.. مدينة بساتين الزيتون والرمان، وكروم العنب والتين، وغابات الصنوبر والشيح والقيصوم، لا تزال بأمس الحاجة إلى مزيد من الاهتمام والرعاية والتخطيط السليم، للحفاظ على مكنونها التراثي، ولدفع عجلة تطورها إلى الأمام ضمن معادلة التوازن المطلوب ما بين الحفاظ على التراث والدفع باتجاه التطور أو لنقل التوازن ما بين الأصالة والمعاصرة.

الواحات المصرية جنة الصحراء



تستطيع أن تقضي أسبوعاً كاملا في منطقة من اجمل مناطق مصر «الواحات البحرية» ذات الطبيعة الخلابة الساحرة ويمكن ان تقيم هناك داخل عشش من جريد النخل وان كنت تملك خيمة فلتنصبها في اي مكان في الحقول أو في الصحراء فلن يمنعك احد لأن سكان الواحات يستضيفون الغرباء لاسابيع كاملة دون مقابل.. اما اذا كنت تود الاقامة في الفنادق أو القرى السياحية فهناك مستويات حتى اربعة نجوم.

والرحلة الى الواحات المصرية هي في الحقيقة رحلة الي الطبيعة التي لم تفسدها ملوثات البيئة الصناعية بعد.

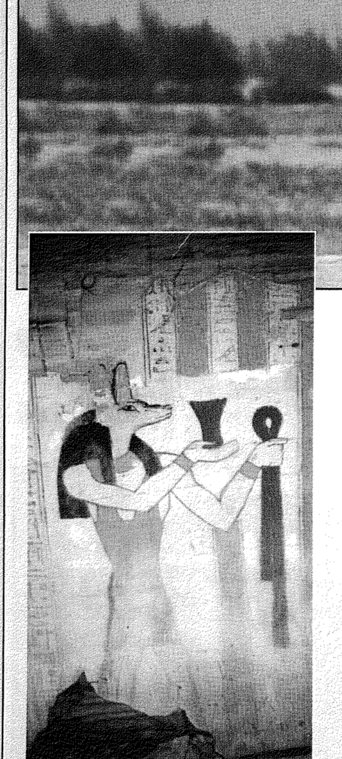
امتدت بنا الرحلة لاكثر من خمس ساعات من القاهرة الى اجمل منطقة في قلب الصحراء المصرية الي الواحات البحرية التي تقع في الجنوب الغربي للقاهرة على بعد ٣٦٠كم.. وإذا كنا قد قرأنا أو سمعنا الكثير والمثير عنها لكن من سمع ليس كمن رأى.

هناك ثلاث محطات للسفر للواحات البحرية الاولى محطة اتوبيسات اسفل «قلعة صلاح الدين» بالقاهرة وتستطيع أن تركبها من ميدان الجيزة وتلك هي المحطة الثانية اما المحطة الثالثة في حي السيدة زينب امام حي جنوب القاهرة وهي خاصة بسيارات الميكروباص وهي مستمرة طوال اليوم، اما الاجرة فهي ١٢ جنيها في اي من المواصلتين.. ولكن صديقنا ياسين عبد الهادي باعتباره واحداً من كبار عائلات الواحات نصحنا ان نستقل الاتوبيس لانه اكثر راحة وامنا في طريق طويل كهذا.

المهم، بدأت السيارة طريقها مخترقة قلب القاهرة الي ميدان الجيزة ومنه الى شارع الملك فيصل ومنه الى طريق الفيوم ثم ادلفت يمينا بعد ثلاث كيلو مترات

اعداد : عبدالسلام سيد محمد
- مصـــر -

السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح


- رسوم جدارية فرعونية في الواحات.

الي طريق الواحات البحرية، نرى على يمين ويسار الطريق تلك القرى والمنتجعات السياحية الحديثة والاحياء الراقية وعلى اليسار نجد مدينة الانتاج الاعلامي ثم على اليمين تطالعنا مدينة ٦ اكتوبر بأحيائها المتعددة، والمنطقة الصناعية التابعة لها وهي واحدة من عشر مدن حديثة تم بناؤها في مصر مؤخرا.. ونرى بعض الشركات التي بدأت في استصلاح الاراضي الصحراوية لزراعتها وشيئا فشيئا بدأ الطريق يخلو من زحام السيارات خاصة بعد ان تجاوزنا مدينة ٦ اكتوبر وانطلقت السيارة في سرعتها وبعد ٤٠ كيلومتر نجد حقول بترول قارون على الجانبين تبشر بمستقبل مشرق لهذه المنطقة وقد تم اكتشافها منذ ما يقرب من عام.. ويتسلل إلينا السكون لا يقطعه سوى صوت احد القطارات بين الحين والآخر نراه على يسارنا.. يقول مرافقنا ياسين عبد الهادي انه يحمل خام الحديد من مناجم الواحات - اكبر واهم مناجم للحديد في مصر - الى المصانع

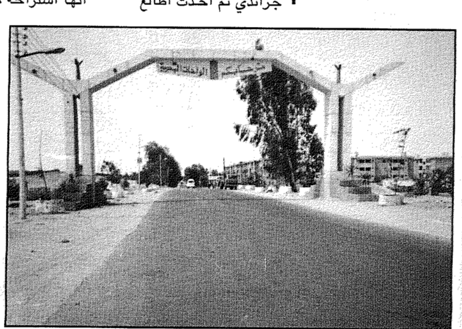
جبال على شكل طيور وتكوينات صخرية عجيبة

بمنطقة التبين بحلوان بمسافة ٣٦٠كم.

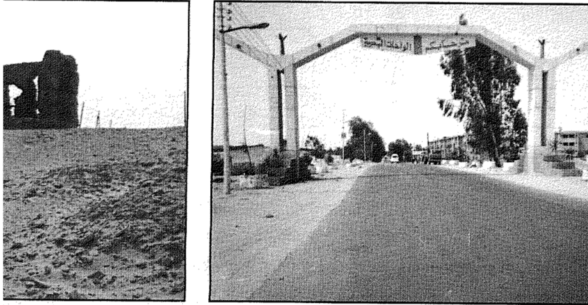
تلال ورمال تحيطنا من كل جانب.. اننا الآن في قلب الصحراء، ركاب الاتوبيس بدأ معظمهم يغط في نوم عميق برغم صوت الكاسيت الذي بدأه السائق بآيات من القرآن الكريم في أول الطريق، ويبدو انه يعشق ام كلثوم كثيرا.

لم اتعود على النوم في السفر وصاحبي راح في نوم عميق لعله لم يكمل نومه بالأمس، قرأت جرائدي ثم اخذت اطالع وجوه الركاب.. اكثر ما لفت نظري ان ما يقرب من ثلث الركاب سياح اجانب.. تجاذبت اطراف الحديث مع احدهم «جون ماليت» من المانيا ويتحدث الانجليزية، قال هذه ليست المرة الاولى التي آتي فيها الي الواحات فقد حضرت إليها عام ١٩٩٤م وكنت قد سمعت عنها من اصدقائي الذين أتوا اليها قبلي ثم قرأت عنها في عدد من الكتب والمجلات التي كتبها بعض الصحفيين والكتاب الالمان الذين زاروا مصر والواحات، وعن اهم ما اعجبه في الواحات قال ان اكثر ما اعجبني هو جوها النقي الخالي من التلوث ومناظرها الطبيعية فعندما تصعد احد الجبال ترى الواحة وكأنها مفروشة بالنخيل وهذه المرة انوي البقاء انا وصديقي لمدة اسبوع وقد اعددت نفسي لأرى كل المناطق الاثرية، والتقط بعض الصور خاصة في «وايت ديزرت» الصحراء البيضاء.. قطع حديثنا صوت السائق وهو يتوقف بالاتوبيس، قال: لقد وصلنا «الرست» ربع ساعة فقط حتى لا نتأخر.

انها استراحة كبيرة ونظيفة تقدم بعض الاطعمة



- مدخل الواحات البحرية.



- اطلال قصر الحاكم الانجليزي

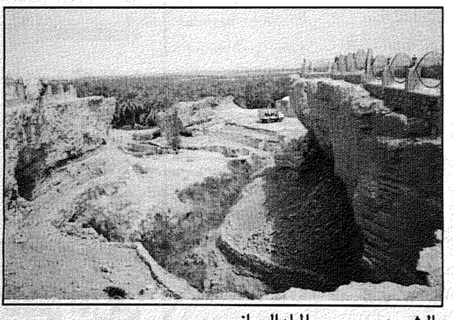
متحف مفتوح للآثار الفرعونية والرومانية والقبطية والاسلامية

والمشروبات وتبيع منتجات الواحات مثل العجوة بانواعها واخرى بالمكسرات والبلح والمشمش وقمر الدين وزيت الزيتون.

يقول محمد علي احد العاملين فيها ان هذه الاستراحة اقامتها شركة الحديد والصلب لتخدم المسافرين من والى الواحات منذ ما يقرب من ٢٥ سنة ونحن اجرناها مؤخرا من الشركة وتواجهنا مشكلة المياه فنحن ننتظر سيارات نقل المياه التي كثيرا ما تتأخر وتعرضنا لمواقف محرجة.

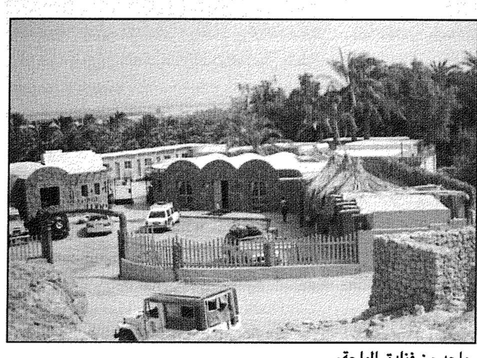
ـ الرست :

وانطلقت السيارة لتستأنف الرحلة مرة اخرى ولم ينقطع حوارنا المتواصل مع مرافقنا الذي يشير الي احد المباني نراها بعد عشرة كيلومترات تقريبا اقامها بعض اهالي الواحات لتكون استراحة اخرى على الطريق وتقع هذه الاستراحة في منتصف الطريق تقريبا ورغم طول المسافة إلا أن الواحات البحرية تتبع محافظة الجيزة ربما لانها اقرب محافظة اليها وترتبط معها بطريق مرصوف رغم انه قد تم ربط الواحات منذ فترة ليست قريبة بطريق بالوادي الجديد وطريق آخر بواحة سيوة ولكن يظل طريق القاهرة هو الطريق الرئيسي خاصة وان اهالي الواحات لم يختلطوا بمحافظات اخرى سوى الجيزة والقاهرة برغم ان الواحات كانت من قبل تابعة لمحافظة مرسى مطروح الا ان اهالي الواحات كانوا يسافرون اليها عبر القاهرة لعدم وجود طريق آخر غيره



ـ البشمو : ويرى مجرى المياه الروماني.

منتجع سياحي طبيعي لعلاج الروماتيزم والروماتويد في الرمال الآبار الكبريتية والمياه الجوفية الساخنة تتدفق ذاتيا من باطن الارض



ـ واحد من فنادق الواحة.

وبالفعل ثبت فشل ارتباطها بمحافظة اخرى غير الجيزة ولان الطريق غير مزدحم فهو يصلح لسياحة السفريات وتقام عليه سنويا سباقات رالي الفراعنة التي تبدأ من تحت سفح الهرم مارة بطريق الواحات.

ومما قرأناه عن الواحات انها عبارة عن منخفض شبه بيضاوي ينحصر بين خطي طول ٣٠ر٢٨ درجة، ١٠ر٢٩ درجة وبين خطي عرض ٣١ درجة، ٥٠ر٣١ درجة وتبعد عن وادي النيل بمسافة ١٨٠كم غربي مدينة «سمالوط بالمنيا» ولكن لا يوجد طريق يربط بينهما وربما كان ذلك سببا في احتفاظها بطبيعة وعادات خاصة.. يبلغ طول منخفض الواحة حوالي ٩٥كم وعرض حوالي ٤٢كم وتبلغ المساحة الكلية لهذا المنخفض ٢٠٠٠كم.

بدأ يظهر اسم الواحات البحرية بعد سقوط الاسرة الثالثة عشرة وبداية حكم الهكسوس وقد عرفت باسم «زس زس» ومع بداية الاسرة ٢٦ دخلت الواحات البحرية اعظم فترات تاريخها ومعظم آثارها الهامة ترجع الي هذا العصر برغم وجود آثار اخرى فرعونية ورومانية وقبطية واسلامية ثم عرفت باسم «الواحة الصغرى» ثم حديثا باسم الواحات البحرية.

ـ مناجم الحديد :

ويتوقف الاتوبيس امام نقطة تفتيش يقول صاحبي.. الحمد لله على السلامة لقد وصلنا أول منطقة في الواحات وهي المدينة السكنية للعاملين

السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح .. السائح

بمناجم الواحات البحرية المدينة شاملة المرافق والخدمات وبها تقريبا كل مقومات الحياة لا تختلف كثيرا عن اي مدينة حديثة يسكنها ما يقرب من ١٢٠٠ اسرة كلهم من العاملين في المناجم تحيط بالمدينة اشجار كثيفة من الكافور يقول مرافقي ذلك لامتصاص الاتربة من خام الحديد المتطاير اثناء عملية الحفر.. نزل بعض الركاب ثم استأنف الاتوبيس السير علي اليسار نرى جبالا ضخمة من خام الحديد الاحمر الداكن وبني اللون والاصفر تم اكتشاف هذه المناجم في أواخر الخمسينيات وبدأ الانتاج يزداد، والآن هناك اربعة مناجم رئيسية هي «منجم الجديدة ـ ناصر ـ الحارة ـ غرابي» ويوجد بها اكبر احتياطي لخام الحديد في الشرق الاوسط.

بعد خروجنا من منطقة المناجم بدقائق هبطت بنا السيارة، وانا اعني كلمة هبطت كأننا نواجه مطباً هوائياً شديد الخطورة، يشعرك بالطنين.. انه مدخل المنخفض ويسمى عندهم «النقب» بعمق ١٣٠ مترا تحت سطح البحر..

■ الباويطي:

ما هي إلا نصف الساعة قضيناها بين القرى المتناثرة هنا وهناك حتى وصلنا الى مدينة «الباويطى» وهي المدينة الأم عاصمة الواحات البحرية.. هنا بعض الاهالي يستقبلون اقاربهم وآخرين يستقبلون السياح، المهم، توجهنا الي مقر اقامتنا في احد الفنادق بالواحة بجوار المحطة ولم يتركنا مرافقنا نقيم في الفندق إلا بعد أن وعدناه باننا سنتناول الغداء لديه يوميا، انه الكرم الواحاتي الذي اشتهروا به.

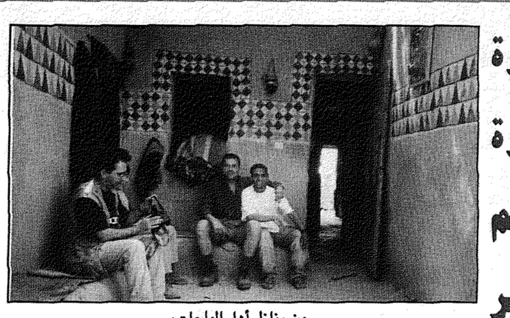
يقول صالح شريف صاحب الفندق، انا أول من اهتم باقامة فندق للسياح منذ ما يقرب من عشرين عاما وكان السياح قبل ذلك يقيمون في استراحة مجلس المدينة أو خيام يأتون بها معهم ينصبونها في الحقول.. انشأت هذا الفندق وقرية سياحية على الطراز الواحاتي تتلاءم مع البيئة المحيطة فعندما اقامت محافظة الجيزة عددا من الشاليهات كان السياح لا يقبلون عليها لانها لا تختلف كثيرا عما يقيمون فيه في اي مكان في مصر وهي الآن مغلقة للاسف لهذا السبب ولعدم مقدرة مجلس المدينة على ادارتها.. ويقبل السياح على الاقامة هنا لإعجابهم الشديد بشكل ومحتويات المكان بالاضافة الى اننا نقدم برنامجاً مثيراً للسائح.

■ الوليمة:

وبعد الاستراحة أتى صديقنا ياسين بسيارة «جيب» ويقول هذه السيارة هي اصلح وسيلة للتجوال هنا وفوجئنا به وقد اعد لنا وليمة كبرى وسط الحقول والحدائق بها كل ما لذ وطاب وقد استضاف بعض الشخصيات الهامة من ابناء الواحات لنتعرف عليهم.

يقول رشدي سلطان عضو مجلس المحافظة ونائب رئيس المدينة: لقد تم تغيير رئيس المدينة منذ ايام ولم يبدأ الجديد عمله بعد، اما الواحات، فقد تحولت الى مركز ومدينة خاصة بعد انشاء عدد من الوحدات القروية الجديدة.. يبلغ عدد سكان الواحات البحرية ما يقرب من ٤٠ ألف نسمة موزعين على عدد من القرى وتوابع القرى بدءا من مدينة الباويطي وتتركز بها كل الخدمات والمرافق ما بين «قسم الشرطة ـ ومجلس المدينة ومدارس لكل المراحل التعليمية ـ وسنترال ـ و...» ثم قرى القصر ومنديشة والزبو والعجوز والحارة وتتكون من «عين جديد وعين يوسف وعين وادي والحيز» وتتكون من «طبلامون وريس والعزة

مغامرة مثيرة في عالم من الاساطير



- من منازل أهل الواحات.

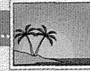
وعين الشيخ» والقبالة وعين الجفارة، وعن الزراعة يقول: يبلغ الزمام المنزرع حوالى ١٥ الف فدان على آبار جوفية واهم المحاصيل، النخيل والزيتون والمشمس والموالح كما توجد محاصيل حقلية مثل الخضر والبقول وهناك مساحات لا تقل عن ٦٠ الف فدان صالحة للزراعة ولكنها تحتاج لآبار جديدة.

- المعابد والقصور:

ويقول عشري شاكر عضو مجلس المحافظة ورئيس آثار الواحات: هناك العديد من المناطق الاثرية الهامة التي تضمها الواحات فمثلا في منطقة القصر يوجد «عين المفتلا» وبها اهم معبد «امازيس» يرجع للعصر الصاوي الاسرة ٢٦ و«جارة حلوة» وبها مقبرة أول حاكم للواحات البحرية امنحوتب والمقبرة منقوشة وملونة ويرجع تاريخها الى الاسرة ١٨ ومنطقة التبينية وبها معبد الاسكندر الاكبر وهو المعبد الوحيد المشيد في الصحراء الغربية.

وكذلك المعبد العظيم شيد على مساحة كبيرة جدا من الحجر الرملي الجيد اما في منطقة الباويطي فيوجد بها مقابر يوسف سليم وبها ست مقابر أهمها مقبرة «با٠ان٠ننيتو» مقبرة «زدامون اف ايو عنخ» وهي منقوشة وملونة ومنطقة مقابر الشيخ سوبي وبها ثلاث مقابر ملونة أهمها مقبرة «ساتي وبد عشتار» ومنطقة الفروج ويوجد بها اضخم مقبرة ترجع للعصر البطلمي مخصصة لدفن الطائر ابيس، أما منطقة الحيز فيوجد بها مجموعة من الكنائس والقصور والمقابر وجبانات ترجع للعصر المتأخر والعصر الروماني، أما مقبرة بنايوتي فهي مقبرة فرعونية تم اكتشافها عام ١٩٣٨ وترجع الي عصر الاسرة ٢٦ وترجع الاهمية التاريخية لهذه المقبرة الى معرفة الاسلوب المستعمل في طريقة الرسوم والنقوش والخطوط الفرعونية بالمقابر والمعابد والقصور.

وبعد الغداء ونظام الشاي الواحاتي المعروف بثلاثة ادوار في كوب صغير، الفنجان الاول «ثقيل وسادة» أما الثاني فهو «مضبوط» والثالث «محلى بالسكر والنعناع».



■ لعنة الفراعنة:

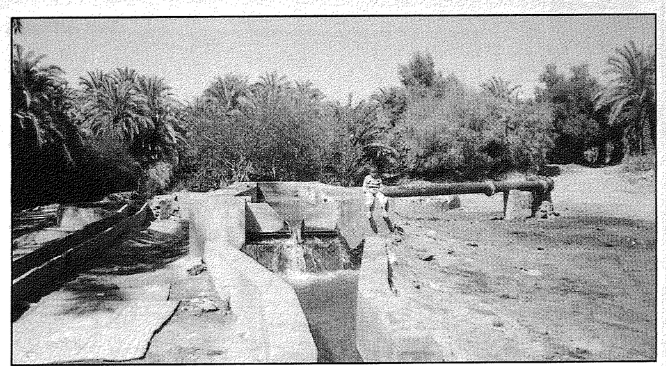
توجهنا في جولة الى المناطق الاثرية والسياحية برفقة محمد عيادي كبير مفتشي آثار الواحات، تخترق السيارة شوارع الواحات الواسعة معظم منازلها، مبنية بالطوب اللبن أو الحجر الرملي والصخور واخرى حديثة بالحجر الجيري الابيض.. كان اول مكان زرناه هو متحف الواحات الاثري، المكان حديث لكنه لا يتبع الاسلوب المتحفي الحديث وذلك بسبب قلة الامكانات لكنه يحتوي على كنوز ثمينة ونادرة جدا ما بين تماثيل الحكام الفراعنة على مختلف العصور ومقتنياتهم وقطع اثرية فريدة في نوعها، وبه اربع مومياوات لاسرة فرعونية، لرجل وامرأة وفتى وفتاة صغيرين تم اكتشافهم مؤخرا.

معظم محتويات المتحف تم اكتشافها على يد الاثريين من ابناء الواحات، ويضيف بانه قام بنفسه بعمل الحفريات ووجد هذه المقتنيات الاثرية وانها لا تقارن بما هو موجود تحت الارض من آثار كثيرة في المقابر والمعابد التي لم يبدأ البحث والحفريات فيها بعد.. ثم طلبت منه ان ارى إحدى هذه المقابر فتوجه بنا الى مقبرة «يوسف سليم» وهو اسم حاكم الواحات في عهد احتلال الانجليز لمصر ومازالت اطلال قصره قائمة حتى الآن.. صعدنا فوق هضبة ثم دخلنا الى غرفة وبها بئر بعمق خمسة أمتار تقريبا قال محمد عيادي تلك هي البوابة الرئيسية للمقبرة، هبطنا على درجات السلم الخشبي الى ارض المقبرة، مكونة من غرف عديدة يمينا ويسارا وغرفة داخل اخرى وعلى الجدران رسوم ملونة ومنقوشة تصور حياة المصريين ومماتهم وعمليات التحنيط والبعث والحساب - حسب تصورهم - ولكن لفت نظري وجود بعض الحفر في ثلاثة جدران وغياب بعض الرسوم يقول كبير المفتشين: للاسف الشديد سرقها اللصوص قبل انشاء منطقة تفتيش الآثار بالواحات وتم ضبطها.. ونرى غرف اخرى مليئة بالتوابيت الصخرية افرغها الرومان من محتوياتها واعادوا استخدامها.. هذه المقبرة تعبر عن عظمة المصريين القدماء وكيف قاموا بحفر هذه المقابر المتعددة وسط الصخور وبدقة متناهية لتعيش آلاف السنين، تلك واحدة من عشرات المقابر مختلفة الاشكال.

ويروي احد الخفر العاملين في هذه المقبرة قصة لعنة الفراعنة التي وقعت في مقبرة «الشيخ سوبي» اكثر من مرة فقبل انشاء وحدة الآثار بالواحات كان لصوص الآثار يأتون الينا من خارج الواحات وفي اكثر من مرة كلما حاول احد اللصوص دخول مقبرة الشيخ سوبي يصاب بصدمة تؤدي لوفاته في الحال ومازال حتى الآن عمال الحفريات قبل أن يدخلوا الى المقبرة يلقون بعض الحصوات أو الحجارة داخل المقبرة حتى يخرج «الرصد» كما يسمونها أو لعنة الفراعنة (حسب اعتقادهم).

■ البشمو:

ثم توجهنا الى منطقة «البشمو» في قلب المدينة القديمة وهناك وجدنا العديد من السياح يلتقطون الصور لهذا المنظر العجيب.. هو انكسار ارضي وتجويف صخري يشبه الكهف، منخفض بعمق ٢٠ مترا وعندما تنزل الى هذا الكهف تجد به مصدرين للمياه يتدفقان لري الزراعات، الأول يأتي متسللا منذ آلاف السنين عبر التجويف الصخري، مياهه باردة، اما الثاني فتتدفق مياهه من باطن الارض وهي مياه ساخنة ويلتقيان في مسار ومجرى مائي واحد، هذا المنظر العجيب لا تملك امامه إلا أن تقول سبحان الله.

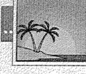


- واحد من آبار المياه الساخنة.

■ منطقة المفتلا:

أما «المفتلا» فتقع في قرية «القصر» وهي عبارة عن هضبة رملية مرتفعة تطل على منطقة زراعات شاسعة بواد محاط بمجموعة من الجبال العالية وتمثل بانوراما للواحات.. يوجد بها معبد جنائزي فرعوني يرجع تاريخه للاسرة ٢٦ لكنه ليس بحالة جيدة وقد بدأت الحفريات به منذ فترة وستبدأ عمليات الترميم قريبا، وبجوار المعبد هناك ربوة عالية من الرمال البيضاء والصفراء وجدنا بعض الرجال يدفنون انفسهم وسط هذه الرمال حيث يقوم مرضى التهاب المفاصل أو الروماتويد يدفنون اجسادهم لمدة ساعة في منتصف النهار على مدى ثلاثة ايام وبعدها يشفى من مرضه.

المهم بعد هذه الجولة القصيرة التقينا في المساء في منزل محمد عيادي الذي أصر على أن يكون العشاء لديه حضر بعض الأهالي الذين اجمعوا على أن الواحات اصبحت منطقة جذب لابناء وادي النيل خاصة بعد استكمال المرافق بها لكنها مازالت محتفظة بطبيعتها الخاصة فأهلها يعيشون على الفطرة يتسمون بالتدين الشديد فانت ترى شوارعها خالية وقت الصلاة.. الجميع يترك ما بيده متجها الى المساجد المنتشرة في كل شارع ولهم عاداتهم في الافراح كالزواج والختان والمولد النبوي الشريف ومولد اولياء الله الصالحين والحج والمناسبات الدينية الاخرى، فالزواج يستمر الاحتفال به ثلاثة ايام وكذلك في حالات الموت يستمر العزاء ثلاثة ايام ايضا.. اهل الواحات يعملون بالزراعة حتى الذين يعملون في وظائف حكومية يذهبون بعد العمل الى حقولهم.. هناك بعض الصناعات التي تقوم على منتجات الواحات من المحاصيل مثل قمر الدين وزيت الزيتون وهناك صناعات يدوية مثل الملابس المطرزة.. مناخ الواحات دافيء في الشتاء حار جاف صيفا، نساء الواحات من



كبار السن مازلن يرتدين الملابس البدوية المزركشة والوشم على وجوههن، اما فتيات اليوم فيرتدين الملابس العصرية، فقد ذهبن الى القاهرة وتخرجن من كليات الطب والهندسة وغيرها.

▪ بئر المطار:

في اليوم التالي رافقنا محمد عيادي في جولة داخل المدينة وقراها توجهنا الى منطقة «بئر المطار» وتسمى بهذا الاسم لأنها كان بها مطار مدني وحاليا بدأ العمل في مطار جديد في مكان آخر على احدث الامكانات العالمية لاستقبال السياح.

وزيارتنا لهذا المكان ليست لهذا السبب فمنطقة بئر المطار هي سهل منبسط فسيح يقع اسفل جبال عالية، به بئر للمياه الكبريتية الساخنة وحمام سباحة وتمثل نواة للسياحة العلاجية وقد اقامت المحافظة عدة شاليهات حول هذا المكان لكنها مغلقة والمنطقة تحيطها زراعات كثيفة مليئة بالمحاصيل الحقلية المختلفة يتم نقلها الى القاهرة واخرى يتم تصديرها مثل البطيخ البعلي الذي ينمو بدون ري في قريتي الحارة والحيز.

▪ الدست والمغرفة:

ومنها انتقلنا الى منطقة قريبة منها وهي «القصعة» عبارة عن ثلاثة تجمعات سكانية تقوم حياتهم على الزراعة بها ايضا ثلاثة آبار كبريتية ساخنة يجاورها جبلان يعرفان باسم «الدست والمغرفة» وهي مكونات جبلية طبيعية تشبه في شكلها ادوات الطعام الدست والمغرفة وتقع بجوارها منطقة «المارون» الاثرية تحيطها الحشائش والزراعات التي تقوم على مياه الصرف حيث تنتشر عمليات صيد البط والغزال والطيور المهاجرة.

ونحن نتنقل بين القرى نرى الجبال تتخللها الوديان المملوءة بالنخيل والزيتون والاشجار المتشابكة تكون كتلا خضراء تعطي منظرا خلابا لا يضارعه اي منظر طبيعي مماثل بالوادي، وتمتاز قرى الزبو ومنديشة - سميت على اسم ابنة احد الحكام الفراعنة - والقبالة والحارة بوجود تلال صخرية ورملية في اجزاء كثيرة منها كما انها اعتمدت في العهدين القديم والحديث علي الزراعة التي تقوم على المياه الجوفية ومعظم آثارها تقوم حول هذه المنطقة الزراعية.

▪ الاستشفاء بالمياه الكبريتية:

وفي طريق عودتنا مررنا على العديد من العيون الساخنة التي تتصاعد منها الابخرة من شدة حرارتها فلا تستطيع ان تضع قدميك فيها مرة واحدة حتى لا يتوقف قلبك بل تدريجيا فهي تتدفق بل تندفع من باطن الارض على عمق لا يقل عن ألف متر، لفت نظري ان عددا من فلاحي الواحات العائدين من حقولهم يركبون الحمير المحملة بالبرسيم والغلال، لابد ان يمروا على احدى هذه الآبار ليستحموا فينزلون من على دوابهم ويسبحون في حوض كبير يشبه حمام السباحة في بئر «الشيخ احمد» واحد من هذه الآبار الساخنة تصل درجة حرارته الى ٦٥ درجة مئوية وسمي بهذا الاسم نسبة الى مقام الشيخ احمد وهو واحد من اولياء الله الصالحين.

فاذا اردت ان تشفى تماما من الروماتزيم عليك ان تأخذ حماما في هذه المياه كل يوم على مدى اسبوع - هكذا يقولون -

وتنتشر في ربوع الواحات البحرية ٥٥٠ بئرا للمياه متدفقة ذاتيا منها ما هو عذب ومنها الآبار الكبريتية المعدنية الساخنة والباردة مثل بئر عين حلفا

وبئر الجوج اللتان تصل حرارتهما ما بين ٤٥ ـ ٦٥ درجة مئوية.

ـ عجائب الدنيا:

وبعيدا عن الآبار الساخنة هناك واحدة من عجائب الدنيا آبار منذ عهد الرومان مازالت تتدفق حتى الآن ونرى اثرا تاريخيا لبئر رئيسي يسمى «الهوبجة» يمثل انكسارا صخريا طبيعيا عميقا تجرى مياهه في باطن الارض على مسافة ٣كم ويضطر بعض الفلاحين من حين لآخر للسير مع المجرى تحت الارض طول هذه المسافة في نفق بعمق ١٥ مترا تحت سطح الارض وذلك لتطهير مجرى المياه وقد ساعدهم على ذلك وجود مجموعة من الآبار التي حفرها الرومان لغرض التهوية والنزول لتنظيف المجرى كلما حدث به انسداد ويصل مجرى المياه ليروي الزراعات بطول ١٥ كم وبئر آخر يسمى «ابوتليس»..

وفي اليوم الثالث كان علينا ان نستيقظ مبكرا جدا لكي نذهب الى منطقة «الحيز» التي تبعد عن الباويطي ٤٨كم ومنها الى منطقة الصحراء البيضاء على بعد ١٤٠كم جنوبا على نفس الطريق وقد نصحنا صاحب الفندق اذا كنا سنذهب الي الصحراء البيضاء علينا أن نأخذ احتياجاتنا من الغذاء والمياه لأنها منطقة خالية لا يسكنها احد.. وصلنا الي منطقة الحيز جنوب الواحات وهي تتكون من قرى «طبل امون ـ العزة ـ ريس ـ عين الشيخ» وكلها تقوم على الزراعة وتضم العديد من الآثار اهمها الكنيسة الكبرى وهي تحفة فنية ولكنها مصابة ببعض الانهيارات يرجع تاريخها للعصر الروماني وهناك عدد كبير من القصور والمعابد والمقابر ترجع للعصر الروماني والعصر المتأخر معظمها تحت البحث والحفريات، وكل يوم يكتشفون الكثير من هذه الآثار والمقتنيات والكنوز لمختلف العصور.

ذبح النخيل:

وبعد ان تجولنا في تلك القرى المختلفة لاحظنا انها مازالت تحتاج لمزيد من المرافق والخدمات والاهتمام من جانب الدولة، وقبل أن نترك القرية اصر عدد من الاهالي على ان نتناول الغداء معهم وقدموا لنا الذبائح واحتفوا بنا كثيرا واهل الواحات البحرية عموما عرف عنهم كرم الضيافة فهم بجانب نحرهم الذبائح مثل الغنم والماعز فانهم كانوا قبل ذلك يقدمون اغلى ما عندهم، فقد كانوا يذبحون نخله ويقدمونها لضيوفهم.. اقصد كانوا يقدمون عصير النخلة، وعصيرها هو الماء المتدفق من قلب الجمار بعد قطعه ويؤدي ذلك الى موت النخلة طبعا ويسمى هذا العصير بـ «اللابجي» ويتم جلب هذا العصير بعد ان يتم قطع الجمارة من قلب النخلة ويقوم بهذه المهمة احد المتخصصين فيها فيعلق إناء ـ وغالبا ما يكون الإناء من «اللاقطين» يشبه القرع العسلي بعد جفافه وتفريغه من محتواه ـ في رقبة النخلة طوال الليل فقط، ولمدة ثلاثة ايام أو اكثر ويجب ان يتناول المشروب «اللابجي» قبل ارتفاع الشمس في الضحى لانه بعد هذا التوقيت يتخمر من الحرارة فيسكر من يشربه، ولكن هذه العادة تقريبا انقرضت بعد ان افتى احد علماء الدين ان ذبح النخيل يعد قتلا للنفس لان النخلة تظل واقفة حتى تجف تماما، ويعد ذلك تضييعا للنعمة والرزق الكثير الذي تدره هذه النخلة من ثمار البلح من اجل شربة عصير.. فالمفروض ان يتم ذبح النخلة التي لا تثمر نهائيا وهي من الذكور أو توقفت عن انتاج التمر، لكن البعض كان اذا توقفت عن الانتاج في احد المواسم

يقوم بذبحها قال الشيخ: ان هذا يعد ازهاقا للروح..
كما ان البعض كان يذهب خفية ليشرب العصير بعد الظهيرة فأفتى الشيخ بتحريم قتل النخيل وشرب اللابجي.

كوكب آخر:

وتوجهنا جنوبا الى «الصحراء البيضاء» التي تبعد عن هذه المنطقة ما يقرب من ١٠٠كم قضيناها بين الجبال والتلال الرملية وعندما تقترب من المنطقة تشعر بالرهبة وكانك على ارض كوكب آخر غير كوكب الارض وأن هذه التكونات هي على سطح القمر أو المريخ فالموقع هنا منعزل تماما عن الدنيا، عندما تتجول وسط الصخور تشعر وكانك في عالم من الاساطير.. هذا المكان بالفعل خلاب وساحر يسلبك عقلك وانت تطالع التشكيلات البيضاء والملونة من الحجر الجيري والطباشيري على شكل طيور واشكال مختلفة توحي لك بمناظر متعدده وتكونات فنية طبيعية، ما أبدع الخالق.

اما عندما تتحدث بصوت عال تسمع من يرد عليك من بعيد من بين هذه الصخور.. هل هذا المكان مسكون بكائنات اخرى كما يقولون؟ اخذت اتجول وابتعد شيئا فشيئاً عن رفاقي في هذه الرحلة الاسطورية.. سارفع صوتي قليلا وانادي على رفاقي «ياسين».. سين سين سين سين سين... عيادي ... دي دي دي دي... انه صدى الصوت، نعم صدى الصوت، ولكنه يأتيني من اربعة اتجاهات ويتكرر مئات المرات بينها انقطاعات ربما يظل يكرر أو يقول كلاما آخر لا ادري وتظل الكلمة الواحدة تتكرر لمدة لا تقل عن ثلاث دقائق تقريبا.. رفاقي يقولون انه مسكون بالفعل وانا لم اعد متاكداً أهو صدى الصوت أم شئ آخر..

ان المكان يحتاج لدراسة وعناية واهتمام من جانب الدولة انه متحف مفتوح للنحت الطبيعي ويعد قبلة السياح الاجانب من كل مكان فهم يفترشون الرمال الناعمة ياكلون ويشربون ويتسامرون ومعهم بعض ابناء الواحات الذين يغنون على صوت الارغول والدفوف التي يجيدونها تماما.

يقول احد السياح من النمسا هذه المنطقة «وايت دزرت» لو وجدت في النمسا بهذا الخيال الرائع لا قيمت حولها القرى السياحية والفنادق ولحصلت على دعاية كبرى لجذب السياح من كل بلاد العالم.

السياح هنا ينصبون خيامهم ويبيتون ثلاث أو اربع ليال يتجولون ليل نهار وسط هذه الصخور الكثيرة يلتقطون لها صورا وقت الغروب ووقت الشروق، يتجولون وسط هذه التكوينات التي تدل على عظمة الخالق البديع وتلهب خيال أي شاعر أو فنان وعندما اقترب الغروب قررنا العودة وقد ملأت قلوبنا السعادة والدهشة ولكني كنت اشعر بشيء من الحزن مرجعه تلك الكنوز التي لم نستطع الحفاظ عليها أو استغلالها ويؤلمني اكثر هذه المقابر والمعابد التي تنتشر هنا وهناك خاصة تلك التي لم يتم اكتشافها بعد أو تسجيلها، تعرضت ومازالت تتعرض للسرقة من جانب لصوص الآثار الذين يأتون لها من على بعد مئات الكيلومترات متسللين ليلا يعرفون كيف يبحثون وكيف يهربون تاريخنا للخارج. وفي اليوم التالي كان موعدنا للعودة الى القاهرة وصخبها ولسان حالنا يقول اننا لعائدون مرة ومرات، لننسى هموم الدنيا التي سببتها لنا الحياة الحديثة خصوصا أننا أبناء هذه الواحات.

أبهـــا في قلــوب ولاة الأمــر

منذُ تأسيس هذه البلاد الطاهرة على يد جلالة الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه، وولاة الأمر يحرصون على ترسيخ دعائم التواصل بين الراعي والرعية، ايماناً منهم بأن المجتمع السعودي أسرة واحدة، نسجت العلاقة بينهم على أساس من تعاليم الدين الحنيف، بوطنية راسخة وولاء مخلص ومحبة صادقة. فتتابعت بالترحاب جولاتهم على سائر مدن وقرى المملكة من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها، تحدوهم الرغبة المخلصة الى تلمس حاجة المواطن ودفع عجلة النهضة والبناء التي تصب في مجملها لخدمة هذا الوطن ومواطنيه.

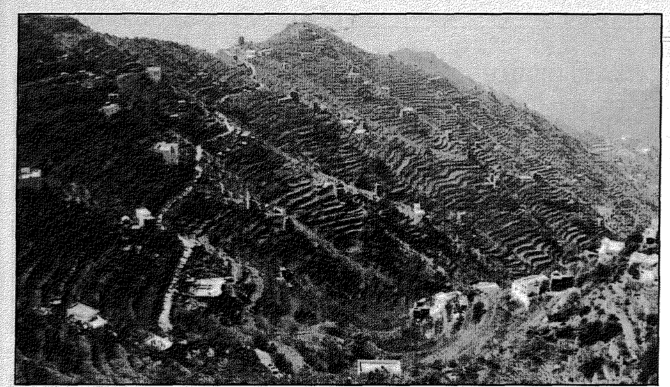
وفي أبها مكان بحثنا هذا ما كان للانطلاقة التنموية أن تنجح إلا بتوفيق الله أولا ثم بجانبين هامين، أولهما ما تحظى به كغيرها من مدن المملكة من رعاية ولاة الأمر واهتمامهم واستمرار متابعتهم وزياراتهم، وثانيهما نجاح الإدارة المتميزة التي يقود بها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير مسيرة الخير بالمنطقة في شتى مجالاتها واتجاهاتها فأمكن بذلك بناء قاعدة تنموية كبرى في المجالات التعليمية والصحية والسياحية والمواصلات والاتصالات والكهرباء.. وغيرها. وأهم من ذلك كله بناء الإنسان السعودي الذي يحظى بكل رعاية واهتمام.

ويشرّفني هنا أن أورد جانباً مما أمكن معرفته عن تلك الزيارات الملكية الكريمة ورعاية ولاة الأمر جزاهم الله عنا خير الجزاء، لإنسان هذه المنطقة فكان تتابع زياراتهم على النحو التالي:

الملك سعود:

كان أول ما حظيت به أبها من زيارات ملكية هما الزيارتين الملكيتين الكريمتين اللتين قام بهما جلالة الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - أولاهما في شوال عام ١٣٧٣هـ[١] وأصدر جلالته خلالها أوامرة بإنشاء مستشفى أبها العام، كما كانت زيارة جلالته تلك سبباً في إنشاء مطار بالمنطقة وتعبيد بعض الطرقات الترابية. أما الزيارة الثانية لجلالته فكانت في ربيع الأول عام ١٣٧٩هـ[٢] حيث دشن جلالته القصر الملكي بالقرعاء وكذا المستشفى العام الذي أمر به في زيارته الأولى[٣]، وكان جلالته قد زار المنطقة عام ١٣٥٢هـ عندما كان وقتها ولياً للعهد.

بقلم : أنور بن محمد آل خليل
ـ السعودية ـ



- صورة عامة لمدينة أبها.

الفيصل في أبها:

زار جلالة الملك فيصل - رحمه الله - المنطقة مرتين الأولى في مطلع شبابه وتحديداً في جمادى الآخرة عام ١٣٤٠هـ عندما أوفده والده جلالة الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن، على رأس حملة عسكرية، لإعادة الاستقرار بعد الأحداث التي عصفت بأبها حينذاك[٤]، وتمكن - رحمه الله - بحنكته المعهودة من إعادة الأمن والطمأنينة والاستقرار الى النفوس، ثم غادر الفيصل أبها ولسان حالها يتمثل بقول الشاعر[٥]:

لما استقر السلم في «أبها»
وزها الربيعُ ونوّر الوردُ!
تمت رسالة «فيصل» فدعا
إلى الرحيل، وأوعب الجند!
كالحلم مرّ.. وعاد تصحبهُ
كلُّ القلوب، فهل له عوْدُ؟!

وفي رجب عام ١٣٩١هـ[٦] عاد الفيصل إلى أبها ملكاً كريماً زائراً، فخرجت عسير بعامة لاستقباله، والاحتفاء بمقدمه، وكانت هذه الزيارة من الأهمية بمكان، حيث غيرت وجه المنطقة بعد أن أمر رحمه الله باعتماد المبالغ اللازمة لشق الطرق وتمديد الكهرباء وإنشاء السدود وبناء المدارس والمعاهد، فكانت زيارته خيراً وبركة على أبها والمنطقة بعامة، وهنا استلهم الشاعر عبد الله بن علي بن حميد عظمة الزيارتين الأولى والثانية فقال[٧]:

مولاي أبها تحيي فيك فاتحها
بالأمس واليوم حيت فيك بانيها
تزهو بأبها حلاها عند مقدمكم
كغادة زادها حسنا تثنيها
وزاد من حسنها تتويج هامتها
بخالد فمنحت القوس باريها

وكان جلالته قد افتتح خلال تلك الزيارة مدينة الملك فيصل العسكرية جنوب مدينة خميس مشيط، وغادر الفيصل أبها وفي نيته القيام بزيارة أخرى


- الملك سعود - عليه رحمة الله - في زيارته لـ (ابها) في شوال ١٣٧٣هـ.


- الملك فيصل - عليه رحمة الله - في زيارته لـ (أبها) في شهر رجب ١٣٩١هـ.

١٣٩٦/٨/١٥هـ[٩]، والثانية في ١٣٩٩/٨/٢هـ[١٠]، وفي كلتا الزيارتين كان الوفاء والتلاحم بين القائد وشعبه متمثلا في أبهى صوره، من خلال الاستقبال الشعبي الكبير الذي اكتظت به ساحة البحار وطرقات المدينة، وكان جلالته قد شهد خلال زيارته الثانية مناورة «جند الله»[١١] التي أقيمت يوم الأربعاء ١٣٩٩/٨/٣هـ[١٢] بمنطقة القاعة شرق المدينة العسكرية وحضرها مع جلالته ضيوفه صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح، وصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، وصاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، والشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، ودولة رئيس وزراء الجمهورية العربية اليمنية السيد عبد العزيز عبد الغني[١٣] - الأسبق - ، ومن أهم المشاريع التي شملها جلالته برعايته الكريمة افتتاح مشروع كهرباء عسير المركزي التي غطت معظم مدن وقرى المنطقة.

ليرى ما أمر به من مشاريع قد نفذت، لكن القدر لم يمهله لاتمامها[٨]، رحم الله الفيصل وأسكنه فسيح جناته.

الملك خالد في أبها:

تواصلت يد الخير والعطاء الممتدة لكل أرجاء الوطن، فسعدت أبها بزيارتين ملكيتين من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله - الأولى في

الفهد في أبها:

منذ مطلع العقد الثامن من القرن الهجري الماضي والفهد - حفظه الله - يؤم أبها كلما سنحت الفرصة، فكانت زيارته الأولى عام ١٣٨٢هـ متفقداً لأحوال المنطقة، ومطمئناً على أهلها .. وفي ذي الحجة عام ١٣٩١هـ كانت زيارته الثانية لأبها ضمن

جـولة في أنحـاء المنطقـة الجنوبية[١٤]، وفي ربيع الآخر عام ١٣٩٤هـ قام الفهد وكان نائباً ثانياً لرئيس مـجلس الوزراء ووزيراً للداخلية بزيارته الثالثة لأبها دشن خلالها حفظه الله سد وادي أبها، الذي شكل للمدينة شريان حياة يروي ظمأ الحلوق وجفاف الزروع[١٥]، ثم تتابعت بعد ذلك زياراته الكريمة ورعايته الدائمة للمنطقة وأبنائها.



ـ الملك خالد ـ عليه رحمة الله ـ في زيارته لـ (أبها) ورعايته لمناورة (جند الله). ويظهر في الصورة سمو الشيخ زايد بن سلطان، وسمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، ودولة رئيس وزراء اليمن. وذلك في عام ١٣٩٩هـ.

ولي العهد في أبها:

سعدت مدينة أبها بعدة زيارات كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز منذ العقد الثامن من القرن الهجري الماضى عندما قام سموه بجولة على بعض مدن المنطقة الجنوبية، كانت من ضمنها مدينة أبها، ثم أتبعها سموه بزيارات أخرى في العقد التاسع كان خلالها في معية إخوانه الملك فيصل والملك خالد والملك فهد.



ـ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله ورعاه ـ في زيارته لـ (أبها) في ربيع الآخرة ١٣٩٤هـ.

إلا أن مطلع عام ١٤١٩هـ شهد حدثاً سعيداً لا ينسى إذ تنادى فيه أبناء منطقة عسير من كل مدينة وقرية من الجبال والسهول إثر سماعهم النبأ السار عن قيام صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز بزيارة تفقدية لأبنائه في منطقة عسير، فتوافد الجميع على مدينة أبها وأقاموا عشرات المخيمات استعداداً لاستقبال زائرهم الكريم.

وفي أجواء ربيعية ممطرة وصور وطنية رائعة، وصل سموه إلى مطار أبها ظهر يوم الأحد السابع من شهر محرم، ووسط آلاف المستقبلين شق الموكب طريقه بصعوبة بالغة ومشاهد الفرح المتبادل تنبض بعمق التلاحم الصادق بين القيادة والمواطن، ولا أبالغ إذ قدرت أعداد أبناء القبائل المشاركين في مراسم الاستقبال من المطار إلى قصر القرعاء مقر



- صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز في زيارته لـ (أبها) في المحرم ١٤١٩هـ، والى جانبه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان، وصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل.

قدرها (٨٣٪) وتضاعفت سعة المحطات التحويلية بنسبة ٣٠٠٪[١٨].

ثم وضع سموه حجر الأساس لمنشآت جامعة الملك خالد بأبها، والتي كان مقرراً تسميتها جامعة الأمير عبد الله، إلا أن سموه خلال الحفل أمر بإطلاق اسم أخيه جلالة الملك خالد على الجامعة تخليداً لذكراه العطرة.

وفي مدينة أحد رفيده وضع سموه حجر الأساس لطريق الأحد، المطار مدينة أبها، كما أمر سموه بشق العديد من الطرق الرئيسية الجديدة التي سيكون لها أثر كبير في انسياب حركة المرور بين مدن المنطقة.

وكان سموه قد شرّف مساء يوم وصوله الحفل الكبير، الذي أقامته إمارة منطقة عسير بالصالة الملكية بالخالدية، حيث احتوى الحفل على العديد من الفقرات البديعة، توَّجها صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز بكلمة كانت في مجملها قطعة أدبية، تحمل أجمل صور البيان، وأنبل مشاعر التعبير، أردت أن أستشهد ببعضها فوجدت أن الاختصار لمثلها لا يجوز.. حاولت أن أصفها بما تستحق فلم أجد بلاغة ترقى لبلاغتها إلا أن أوردها كاملة لقيمتها الأدبية ومناسبتها التاريخية.. وها هي الكلمة كاملة كما تناقلتها القنوات الفضائية والإذاعية[١٩].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إقامة سموه بنحو ثلاثمائة ألف نسمة، توافدوا في إعلان عفوي يترجم الولاء الصادق والوطنية المخلصة، المترسخة في قلوب الجميع تجاه قيادتهم الحكيمة وهي مبادىء ثابتة وملموسة لدى كل أبناء الشعب السعودي في طول البلاد وعرضها[١٦]، وعلى مدى ثمانية أيام قضاها سموه بين أبنائه في المنطقة كان يتنقل من موقع لآخر يفتتح هنا مشروعاً، ويضع هناك حجر أساس لآخر، حيث افتتح حفظه الله محطة تحلية المياه وتوليد الكهرباء وخطوط نقل المياه من بلدة الشقيق على ساحل البحر الأحمر إلى منطقة عسير على جبال السروات، وذلك بطاقة تصديرية تبلغ (٨٣ر٤٠٠) متر مكعب من المياه العذبة يومياً كما أنها تنتج ٥٤ ميجاوات من الكهرباء، ويبلغ طول خطوط النقل من محطة الشقيق إلى خزان جبل خوير بأبها على ارتفاع (٢ر٢٩٧م) نحو ١٠٢كم[١٧].

كما افتتح سموه مشروع توسعة المحطة المركزية لتوليد الطاقة الكهربائية، التي ارتفعت قدرتها التوليدية لتصل إلى (٤٤٠) ميجاوات بنسبة زيادة

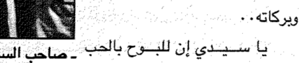
سيدي: صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني.

أصحاب السمو الأمراء أصحاب المعالي والفضيلة الإخوة الحضور.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..



ـ صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز في زيارته لـ (أبها) في عام ١٣٨٢هـ.



يا سيدي إن للبوح بالحب نشوة، ولتجديد العهد بالولاء موقف، وحين وددت أن أسجل نشوة الموقف هذه استعيا القلم، وأشفقت الكلمة من حمل الأمانة، فتلفت إلى ملهمة الشعر والفنون، شاعرة المدائن والقرى عروس المصائف أبها، فدنا الطير وغنى، وانتفض الورد ففاح شذا وعطرا، واهتز الشجر ورقص السحاب حباً وولاء يا سيدي.

يا سيدي لست بالذي يتطاول على لحظته، أو يغفل عن مواطىء قدمه، حتى أرحب بصاحب الدار في داره، ورب الأسرة بين أبنائه، فما هذه المنطقة إلا جزء من بلادك، وما أهلها إلا أسرتك، وأنت المضيف وغيرك الضيوف، ولكنها الفرحة أبت إلا أن تتشكل كلمة، وتبث حروفها بين يديك تغرد حباً وولاء يا سيدي.

يا سيدي هذه عسير قد جاءت جموعاً تتدفق، وسيوفاً تتألق، الشوق داعيها، والحب حاديها، تقدم الشكر والعرفان، يهتف بالحب إنسانها، فترد بالتأكيد جبالها، وفي لحظة الشوق العظيم امتزج الإنسان بأرضه، فاحتزمت الجبال طرقاً، نفذت بين أحشائها أنفاقاً، ونقلت على متونها جحافل العلم والعلاج، إلى كل قرية ومدينة، تنير العقول وتعالج النفوس، فتقهقر الجهل وتراجع المرض، وما أن استضاء الفكر بالعلم، حتى انبرى الإنسان السعودي يبني للمجد صروحاً، ويزرع للمستقبل أملا، ويسجل للتاريخ مثلا، فلم يعد أبهى من أبها ولا عسير في عسير. تزينت البلاد بالحدائق والغابات، يسترها رداء السحاب نهاراً، وتطوقها أساور الكهرباء ليلا، وامتدت كل قرية تصافح أختها، بيد من طريق وبرعشة من كهرباء، فدبت في كل واد وعرق حياة.. حياة تعين الشباب على مستقبل زاهر، وتمسح بيد الحنان مقلة عاجز فارتفعت الأكف دعاء ووفاء، حباً وولاء، يا سيدي.

يا سيدي إن للماء في هذه المنطقة قصة، ويشاء الله أن تكون قيادتنا كعادتها بطل الخير في كل قصة، فمنذ أعوام افتتح أخوك الملك المفدى بيده الكريمة سد أبها، وها هي يدك الكريمة اليوم تفتح مشروع تحلية مياه البحر، وكأنكما والقدر، وهذا الجبل الأشم، على موعد فتجتمع قمة العطاء مع قمة

الوفاء، وتلتقي على يمينك قطرة ماء السحاب مع قطرة ماء البحر، فتجري المياه دليل حياة، وترتفع الأكف دعاء ووفاء حباً وولاء يا سيدي.

وأخيراً وهذه لوحة عسير تكتمل ألوانها زهواً وسموا، تأبى أريحيتك السعودية العظيمة، إلا أن تؤطرها بعبق الكلمة، فكانت كلمة رجل الوطن على مستوى الوطن صحيفة الوطن، عشت يا سيدي رمزاً للوطن، في ظل أخيك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز سلمه الله وأيده.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي مساء اليوم الثاني لزيارة سموه أقام أهالي منطقة عسير حفلا شعبيا كبيراً على شرف سموه، وذلك بساحة البحار وسط مدينة أبها.. ألقيت فيه العديد من الكلمات والقصائد الترحيبية بسموه الكريم، كما شاركت كافة قبائل المنطقة باستعراضات شعبية، رغم انهمار الأمطار منذ صباح ذلك اليوم، فكان الاحتفال من أروع ما شهدته هذه الساحة من احتفالات على مر الزمان، توافد إليها الشباب والشيوخ يحملون البنادق والسيوف في أيديهم والحب والولاء في قلوبهم.

قال شاعرهم في مطلع قصيدة له ألقاها في الاحتفال[٢٠]:

وفدت عليك محبة وولاء
تزجي إليك قلوبها البيضاء
آمالها معزوفة من فرحة
أشياؤها لا تشبه الأشياء
هذي عسير خيولها وثابة
حملت إليك سقاها والماء
حملت إليك جبالها بشموخها
وسهولها وتلالها الخضراء

وقبيل نهاية الاحتفال ترجل سموه من المنصة إلى وسط الساحة، حيث شارك أبناءه فرحتهم وأدى معهم العرضة المحلية.

وفي مساء يوم الثلاثاء أقام سموه حفل عشاء تكريماً لأبناء منطقة عسير، وفي اليوم التالي أقامت قيادة المنطقة العرض العسكري الكبير تكريماً لسموه، وبحضور صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، وقبل مغادرته مدينة أبها متوجها إلى محافظة بيشة مروراً بالنماص وسبت العلايا وغيرها من المدن والقرى على طول الطريق، رعى سموه مساء الخميس الحادي عشر من شهر محرم حفل وضع حجر الأساس لمنشآت صحيفة الوطن، على طريق المطار فكان ذلك مسك الختام للمشاريع التي رعى سموه احتفالاتها في مدينة أبها.

سلطان الخير في أبها:

في شهر شوال من عام ١٣٨٢هـ قام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز بزيارته الأولى لأبها، ليتفقد الأحوال ثم أتبعها سموه الكريم بزيارة أخرى في ربيع الآخرة عام ١٣٨٨هـ، وفي هذه الزيارة قام سموه بوضع حجر الأساس لمدينة الملك فيصل العسكرية[٢١]، ومنذ ذلك الحين والمنطقة تحظى بمكانة في قلب سلطان الخير، الذي لا يكاد يمضي عام إلا وقد اكتحلت عيناه برؤية إنسان ومكان هذه المنطقة، فتتوشح أبها وأهلها برداء السعادة، وتخرج لتبادل زائرها الشوق احتفاء

بمقدمه الميمون، ومنها نذكر على سبيل المثال لا الحصر زيارة سموه عام ١٤١١هـ. حيث شرف بعد عيد الفطر مهرجان النصر الذي أقيم بمناسبة تحرير دولة الكويت، وبعد عيد الأضحى من عام ١٤١٧هـ رعى سموه الكريم حفل افتتاح مشاريع الشركة الوطنية للتنمية السياحية في كل من أبها الجديدة والسودة والقرعاء.. وغيرها.

كما شرف سموه ضمن زيارته الكريمة في شهر ذي الحجة من عام ١٤١٨هـ حفل المنطقة الكبير المقام ابتهاجاً بعودة سموه من رحلته العلاجية سليماً معافي بحمد الله، وقد تبرع سموه خلال الحفل بمبلغ عشرة ملايين ريال لإنشاء كلية للسياحة بمدينة أبها[٢٢]، وهكذا تتابعت بالخير زيارات سلطان الخير الميمونة في كل عام.

بهذا العرض المختصر للزيارات الكريمة التي قام بها ولاة الأمر قادة الوطن لهذه المنطقة، نلمس عمق التواصل ومدى الاهتمام بسعادة وراحة الإنسان، على امتداد خارطة الوطن، فنجحت بذلك سياسة التواصل والباب المفتوح في تعميق المحبة والتلاحم، على كل النظم السياسية المصطنعة في الشرق أو في الغرب، لأنها سياسة مبنية على الحقوق المتبادلة بين الراعي والرعية، كما نظمها دستور هذه البلاد، كتاب الله الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الهوامش:

(١، ٢، ٣) ابن ماضي، مذكرات، تركي بن محمد الماضي، ص ٤٦١. ط ١، ١٤١٧هـ.

(٤) عبد الله بن إلياس، أوراق من تاريخ عسير، تحقيق الدكتور غيثان بن علي جريس، مجلة بيادر، عدد (٢٢)، ١٤١٨هـ.

(٥، ٦) من قصيدة للأستاذ منير العجلاني نشرت في المجلة العربية، العدد الافتتاحي، شعبان ١٣٩٥هـ.

(٧) عبد الله بن علي بن حميد، أديب من عسير، ص ٩٢، ط ١ ١٤٠٠هـ.

(٨) منير العجلاني، المجلة العربية، مصدر سابق.

(٩) مدينة الملك فيصل العسكرية، كتيب إعلامي ١٣٩٦هـ.

(١٠، ١١، ١٢، ١٣) نسخة من الشريط المصور لحفل الاستقبال يوجد منه نسخة بمكتبة الباحث.

(١٤) عسير في عام، إمارة منطقة عسير، مصدر سابق ١٣٩٢هـ.

(١٥) كتيب سد وادي أبها، وزارة الإعلام، مصدر سابق.

(١٦) كنت حاضراً لمعظم المناسبات والاحتفالات التي أقيمت ابتهاجاً بزيارة سموه وكنت أسجل أحداث الزيارة أولا بأول.

(١٧) كتيب عن مشروع محطة التحلية والقوى الكهربائية وخط نقل المياه، المؤسسة العامة لتحلية المياه صدر بمناسبة افتتاح المشروع.

(١٨) كتيب بمناسبة حفل افتتاح مشروع التوسعة، الشركة السعودية الموحدة للكهرباء بالمنطقة الجنوبية.

(١٩) يوجد بمكتبة الباحث المرئية نسخة من الشريط المصور للاحتفالات.

(٢٠) مطلع قصيدة للأستاذ علي آل عمر عسيري، ألقيت في حفل الأهالي.

(٢١) مدينة الملك فيصل العسكرية، كتيب إعلامي، مصدر سابق.

(٢٢) كان الباحث مشاركاً في الاحتفالات التي أقيمت على شرف سموه.

سَرْيَةُ الهوى إلى أبها

(زهرٌ ونحلٌ وفيلسوف)

إنْ شفَّك الوجدُ فانهلْ من لمى أبها
فمنْ لماها الشِّفا للقُبلة الولهى

شمَّاء نشتاقُ قُرباً منْ مرابعها
ذات البهاء المباهي والذُّرى الأبهى

فيها أسودٌ دهاة في مآسدها
دلَّتْ عليها الظبا في نهجها معها[١]

فيها لكُلِّ حبيب روضة حفلتْ
بكُلِّ زاه على قدِّ الصِّبا زهَّى

نادتْ فلبَّيتُ والأشواقُ تسبقُني
كالنحل يصْدَى فيُلْفي الروضة الأزهى[٢]

يعُبُّ منها فلا الأزهارُ مانعة
وإن تروَّى حبتهُ العبَّة الأشهى

وإن غدا ارتدَّ في دأب لمنهلها
فلا ترى الدَّأب من عزْمانه أوْهي[٣]

ولا ترى ثقلة السَّكران تثقلهُ
ولا ترى غافياً أو عازفاً عنها[٤]

كأنَّما الرِّيُّ من أزهارها ظمأ
يشتدُّ ما اشتدَّ رشفُ الظَّامىء الشَّهَّا[٥]

* * *

ساءلتُ عن سرِّها المكنُون فابتسمتْ
صُغرى البراعم للكُبرى بأن سلْها

فاشتدَّ سُؤلي كشأن الفيلسُوف متى
عناه شأن فلا يُلْهيه ما لهَى

وكلَّما جئتُ كبرى افترَّ مبسمُها
كالسَّابقات وكانتْ في الدَّها أدْهى

تُغري بعذب رُضاب زدن لذَّتهُ
وقد تألَّفن نحلا لم يُفلْسفْها[٦]

وما أنا غيرُ صاد فيه لوعتُهُ
شبَّت فهمهم أن يا زهرُ علِّلْها

* * *

وإذ أبى الزهرُ، ذا نحلٌ يُعلِّمُنا
أسرار رضْب دراها لم يُعلِّمْها

جمادى الأولى والآخرة ١٤٢٠هـ - سبتمبر وأكتوبر ١٩٩٩م



شعر :
د. بهاء بن حسين عزّي - جدة

نراه يخفقُ خفقاً فوق زهرته
كأنَّ بالخفق يجني سرَّها منها
والزهرُ يُخفي لأمرٍ كُنْه لذَّته
بجدَّة يبده الشَّهَّا بها بدها[٧]
والنخل للزَّهر مُشتاقٌ بفطرته
يغشى الجبال له والغابةالتَّيْها[٨]
فهل سيشتاقُ زهراً إنْ تعشقهُ
أفضى إليه بكُنْه فيه أو أنْهى؟[٩]
فالعبُّ من زهرة أجدى لعاشقها
وإنْ تضنُّ بسرٍّ يكتُمُ الكُنْها
لها من الغيث سُقيا كُلّ بُرعمة
والطعمُ من ربِّها تُعطاه أو تُنْهى[١٠]
ومُنتهى علمنا طعمٌ تجُودُ به
بكراً لدى الذوق فيه السرُّ ما شهَّى

* * *

مفاتنُ فيك أبها كيف أسرُدُها
وذا عذابي مع الزَّهر الذي زهَّى
وأرضُك البكرُ للغرَّاس مُنبتةً
من كل زوج بهيج فتنة أزهى
فيا ظما الشَّوق قد جئنا مرابعها
ولتبق مَعْنًا لرضب منهُ لا نَنْهي[١١]
وانصتْ لهمس المناجي من براعمها
أزهى فشقَّق من أكمامه البلْها
ما العبُّ إلا الشَّفا، فاقدمْ، تقولُ لنا
تلك البراعمُ، واهنأ.. أنت في أبها

الهوامش:

(*) هذه القصيدة من ديوان (ذو العصف والريحان) أهديها تحية لمدينة أبها الجميلة بمنطقة عسير.

(١) دلتْ عليها: تجرّأت عليها في لطف ودلال.

(٢) يَصْدَى: يظمأ. ، يُلْفي: يجدُ.

(٣) عُزمانه: عزيمته.

(٤) ثقلة: فتورٌ يصيب الجسم.

(٥) الشَّهَّا: الشَّهَّاء.. الكثير الشهوة.

(٦) تألفن: إستملن.

(٧) يَبْدَهُ : يفجأ.

(٨) التَّيْها: التيهاء.. الأرض الواسعة التي قد يضلُّ فيها المرء.

(٩) الكُنْهُ: حقيقة الشيء وجوهره.

(١٠) أو تُنهي: أو تمنع.

(١١) لا ننهى: لا نكتفي (من الرُّضاب) ولا نشبع.

تحقيقات عرضية

**** هذه الصفحات، تصحيح وتعقيب على بعض ما جاء في بعض المطبوعات العربية من كتب وصحف ومجلات .. وكان الأستاذ الدكتور على جواد الطاهر - رحمه الله رحمة واسعة - قد آثر مجلته المنهل بعدد وافر منها . سبق نشر الكثير منه ..**
ويسعدنا أن نواصل نشر ما تبقى من هذه الأوراق.

«مجـــلات»

الأفق: ١٩٨٩/١٢/٧

- نقولا زيادة يروي ذكرياته: القاهرة .. ص ٣٢ «وكانت من المؤسسات النشيطة في المجال الفكري في القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر. والمجلة التى كانت تصدر عنها وهى «الرسالة» كانت واحدة من الصحف التى أخذنا عنها الكثير من أفكارنا» - كانت الرحلة في عطلة الشتاء لسنة ١٩٣٣ - ١٩٣٤، وعلى الصفحة ٣٤ صورة لغلاف مجلة الرسالة.

أ - لم تكن مجلة «الرسالة» تصدر عن لجنة التأليف والترجمة والنشر (ولن تكون)، انها مجلة يصدرها «فرد» واحد هو الاستاذ أحمد حسن الزيات.

ب - أما المجلة التى صدرت عن «لجنة التأليف» فهي الثقافة، وقد صدرت متأخراً عن ذلك التاريخ (صدرت في ٣ يناير من سنة ١٩٣٩).

الوطن العربي: ١٩٨٩/١٢/١٥

- ص ٤٧ في سؤال موجه الى امرأة: «كتاب قرأتيه وأعجبك» الصحيح: قرأتِه - والحال تتكرر في المقابلات هذه الأيام؟!

الحوادث: ١٩٨٩/١١/٢٤

- ص ٦٧ «حاول.. أن يكشف قيم جديدة»: قيماً.

اليوم السابع: ١٩٨٩/١٢/١٨ ص ٣٥ «يبدأ الشباب شاعراً، ثم يتحول الى ناشر» د. على شلش - العراق. الصحيح: د. على شلش - مصر.

ص ٣٧ «الرومانطيقية .. الرومانتيكية» كلمة واحدة وردت بلفظين والمتحدث واحد، وفي فقرة واحدة.

الجيل: كانون الأول ١٩٨٩

ص ١٥١ «أمثال الشعوب في الزواج»:

(الزواج كالقلعة المحاصرة، من في الخارج يرغب في الدخول، ومن في الداخل يتمنى الخروج) - «عربي» ليس للعرب هذا المثل! فمن أين جاءت نسبته اليهم؟!

كل العرب: ١٩٨٩/١٢/٢٥

- «شقيقه» ، «شقيقي»: اخوه، أخي - فقد حسن التمييز بين الشقيق والأخ، والشقيق من كان أخاً من الأم والأب، والأخ من كان من أحدهما.

المنار: شهرية، باريس - القاهرة، كانون أول ١٩٨٩

ص ١٥٥ «مدرسة فرانكفورت (...) تبدو الكتابة عن هذه المدرسة مهمة صعبة، بالنظر الى غزارة إسهاماتها، وتباين وجهات النظر حولها (...) ناهينا عن توالى أكثر من جيل»:

ناهيك من توالى أكثر من جيل،

ناهيكم من توالى أكثر من جيل -



بقلم: د. على جواد الطاهر
« رحمه الله »

الذي يلي «ناهيك» من حروف الجر هو الحرف «من».

كل العرب: ١٩٩٠/١/١

- ص ٣٦ «... خطاب ... ينحى منحى ...»: ينحو منحى.

كل العرب: ١٩٩٠/١/٨

«... السوريالية ... اندريه بروتون .. في عام ١٩٣٠ كان لقاؤه بـ «نادجا» التى أعطى اسمها لقصيدته الشهيرة: لقصته. اذا كانت شهيرة، وهي كذلك، فهل قرأتها لتسميها هكذا: قصيدة؟ انها قصة.

الوطن العربي: ١٩٩٠/١/١

يقول الدكتور عبد الوهاب رواح: لدى دراسة الأسماء اليمنية تبين أن خمسة ملايين يمني، وهو تعداد اليمن قبل الثورة، كانوا يتعاملون بمئة اسم فقط لا غير.

المصور: دار الهلال، القاهرة ٢٣ جمادى الأولى ١٤١٠/٢٢ ديسمبر ١٩٨٩

ص ٦٨ «.. ترجمة (الف ليلة وليلة) باعتبارها نموذجاً للأدب العربي في مصر، ونشرت لأول مرة بالفرنسية في كلكتا بالهند عام ١٨٣٨م وترجمت بعد ذلك للانجليزية عدة مرات أهمها ترجمة ريتشارد بيرقون» - د. محمد عناني الاستاذ بآداب القاهرة ورئيس تحرير مجلة المسرح، نشرت لأول مرة بالفرنسية في باريس ١٧٠٤ - ١٧١٦.

الوطن العربي: ١٩٩٠/١/٢٦

«مجلة (أدب) اللبنانية التي كان يرئس تحريرها يوسف الخال»

يرئس : يرأس. والذي أعرفه جيداً أن لبنان - وحدها - تخطىء في هذا الفعل فتكتب «رئس يرئس» وهو خطأ صحيحه: رأس يرأس. ولذا عجبت - قليلا - أن أرى الخطأ على قلم مصري!.

الثقافة العالمية:

(تصدر دورية كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت) العدد (٥٠)، السنة التاسعة، جمادى الآخرة ١٤١٠/ يناير ١٩٩٠.

١ - ص ١٦٠ «يدرسون جميعهم مواداً وحده» : موادَّ لأنها ممنوعة من الصرف.

٢ - ص ١٧٣ «جورج سان» الاسم المستعار للكاتبة الفرنسية المشهورة . اللفظ صحيح، ولكن سين «سان» أقرب الى الصاد، واعتدنا أن نكتب الاسم بالعربية: جورج صاند متابعة للفظ الحروف التى تكونه (لا اللفظ الفرنسي) SAND .

البيان: (مجلة فكرية شهرية محكمة، تصدرها رابطة الأدباء في الكويت)

العدد ٢٨٧، فبراير - شباط ١٩٩٠/ جمادى الثاني ١٤١٠هـ.

١ - جمادى الثاني: جمادى (وهي مؤنثة) الآخرة.

٢ - ص ٨٦ «كان سليمان فتى معذبا، يسوح في الأرض بلا وطن»: يسيح.

المصور: دار الهلال ، القاهرة ٢٣ جمادى الأولى ١٤١٠/ ٢٢ ديسمبر ١٩٨٩.

١ - ص ٥٩ يقول رجاء النقاش بعنوان: «لماذا يا «لوسي»: «.. لقد وقع في يدي منذ أيام كتاب صدر حديثا في طباعة أنيقة عن مكتبة «المحبة».. عنوانه: «الأصالة والمعاصرة في فكر طه حسين»، ومؤلفة الكتاب «لوسي يعقوب» .. وقعت عيناي على فصل عنوانه «المعارك السياسية والأدبية في حياة طه حسين»

ومنذ السطور الأولى لهذا الفصل تذكرت أن هذا الكلام ليس لصاحبة الكتاب، ولكنه كلام كتبته في دراسة لي بعنوان «طه حسين والأحزاب السياسية» والدراسة منشورة في كتابي «أدباء معاصرون» الذي صدرت منه ثلاث طبعات منذ سنة ١٩٦٨ إلى الآن، ومن دراستي عن طه حسين نقلت الكاتبة خمس صفحات كاملة الصفحات التى تبدأ في كتابها من صفحة ٦٥ الى صفحة ٧٠.

وقد تصورت أن الكاتبة سوف تنسب هذه الصفحات العديدة الى كاتبها الأصلى (...) ولكنها لم تفعل شيئا من ذلك بل نسبت الصفحات المنقولة كلها الى نفسها.

ولصوص الثقافة يفعلون ذلك بي وأنا حي أرزق، كما أنني أحمل قلمي في يدي وأكتب كل اسبوع في مجلة معروفة وأستطيع أن ادافع عن نفسي ضد هؤلاء اللصوص فكيف يكون الحال مع أصحاب الأقلام الذين رحلوا عن الدنيا ولم يعودوا قادرين على رد عدوان اللصوص على جهودهم الفكرية المختلفة (...).

«ولا حل لهذه الظاهرة التي انتشرت في بلادنا في السنوات الأخيرة إلا إعادة النظر في قوانين النشر وتشديد العقوبة على السرقات الأدبية والفكرية (...) ان الضمير معدوم عند بعض الذين حملوا القلم في غفلة من الزمان».

كل العرب: ١٩٩٠/١/٢٩ - ٣ رجب ١٤١٠

ص ٥٢.

١ - «الخروج من آسار» وتكرر: الصحيح: أسار.

٢ - «الكتاب المترجم للعربية «الكتابة والاختلاف»: المترجم الى العربية.. الكتابة والاختلاف.

٣ - «حتى لو يكن هذا المفهوم موجوداً»: اما ان يكون الصحيح حتى لو لم يكن، واما حتى لو يكون.

الأفق: ١ شباط ١٩٩٠

«نجد حضورها.. ليس فقط في الشعر.. بل في القصة والرواية أيضا»: «نجد حضورها في القصة والرواية كما (نجده) في الشعر.

اليوم السابع: باريس ١٥ كانون الثاني ١٩٩٠.

١ - ص ٣٥، محمود الغبطة: محمود العبطة (والخطأ مطبعي)

- مطوله «تحمل عنوان حفار القبور..» مطوله بعنوان .. ، أو عنوانها.

- «السياب لم ينعى مدينته»، لم ينع.

٢ - ص ٣٦ «دراسته أعابت الكثير من الآراء»: عابت، الفعل ثلاثي، متعد .

- «البحث.. ليس تائق في البناء»: ليس تائقا.

٣ - ص ٣٩ «... لم يريد أن »: لم يُرد.

لوتس: (مجلة اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا) العدد (٧٠) ١٩٨٩.

الافتتاحية: «... لكن ذلك كله لن يدفع سوى الى مزيد من التساؤل حول المصير».

التعبير «لن يدفع سوى الى ..» غير عربي. أهون منه: «.. لن يدفع الى سوى مزيد..» اذا كان لابد من استعمال «سوى» هنا. وإلا فالأنسب استعمال إلا»: ... لن يدفع إلا الى مزيد. وكثر الكلام على «حول» الواردة فهي ترجمة عن اللغات الأوربية، وتجعل «التساؤل» المطلوب بعيداً عن صلب المصير، ويكفى أنه «حوله» وليس عنه.

الأقلام: بغداد، آذار ١٩٩٠

- ص ١١٨ «وعلى عالم الأثنوغرافيا أن لا يسوح في المناطق الأخرى».

صحيح «يسوح»: يسيح «... ساح في الأرض يسيح سياحة..»

والجمع: سُيّاح بضم السين وتشديد الحاء.

المرأة: بغداد آذار ١٩٩٠

ص ١٢ «من يستقرىء صفحات المجد.. يجدها»

صحيح : يستقرىء : يستقري (بالياء، ومن غير همزة) - والفعل الماضى: استقرى يستقري.



الغريب

شعر : على أحمد الرفاعى
- جازان -

سـاطتني بوحي من روابيـهـا
هل أنت لم تبلغ مـرامـيـهـا

وكم نظرت إلى الدنيـا وزخـرفـهـا
فلم أشـاهد غـيـر راغب فـيـهـا

بحـر يموج بالأهوال منزعـه
قـعـر المحـيط لم تبلغ أقـاصـيـهـا

والناس كـالزرع والأيام تحـصـده
جنح البـعـوضـة وزناً لا تسـاويهـا

فكن غـريبـا فـمـا الدنيـا بدائمـة
فكم أطاحت بمن عـمـروا صـيـاصـيـهـا

قـرنٌ .. يمر كـالحـاظ ثانيـة
والنفس لا تدرك السـاعـات تطويهـا

من عـاش غـراً فـالأيام توقظه
مـتى تقـضت أعـلاها ودانيـهـا

والطفل كـالشـيخ فـالأجـداث تجـمـعـهم
ولا اخـتـلاف إلا في أسـامـيـهـا

بعـد المـمـات سـؤال من يجـاوبه
نال الجنان بفـوز في أعـاليـهـا

وصلِّ ربي على المخـتـار سـيـدنا
مـحـمـد الهـادي خـيـر ذاكـر فـيـهـا

نقض مطاعن في القرآن الكريم

تأليف الأستاذ: محمد أحمد عرفة

بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية ـ القاهرة

ظهر هذا الكتاب الرائع ليدفع باطلا يتجه الى كتاب الله عز وجل، وقد أحسَّ كاتب هذا الطعن أن نشره بين الناس سيعيد عليه صيحة عاتية لاقى مثلها حين قام بموقف مشابه، فرأى أن يمليه على طلاب كلية الآداب بمصر، ليمكنه التنصل منه عند الحساب الجنائي، ولكن الطلاب مخلصون لدينهم، وقد عرفوا مكامن الخطر فيما يلقى عليهم، فدفعوا بمذكراتهم الى العلماء، ودوَّى دويها في الصحف، فقامت الرجفة الثانية.

على أن أهم ما نشير إليه قبل الحديث عن كتاب (نقض مطاعن في القرآن الكريم) أن كثيرا ممن أرخوا للدكتور طه حسين قد أصرّوا على تجاهل هذا الحدث، وجعلوا يتحدثون عن الضجة الأولى، وكأنها السبب المباشر فيما جدّ من نقله من الجامعة، وهو خلط متعمد ينكره الواقع الفعلي، كما أنهم تجنوا على رجل بارز من دعاة الفكرة الاسلامية فجعلوه رجعيا مأجوراً صنيعة وضع سياسي، وهذا ظلم آخر يجب أن نكشف عنه، لأن للحق سلطانا لا يقهر، وقد ذهبت رجال هذه المعركة إلى دار البقاء جميعا، وعلى الباحث أن يحدد النقاط في أمور ملموسة كيلا يتيح لغيره منفذاً للتدليس والادعاء.

لقد كتب الأستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة الحديث كتابه (مع طه حسين) ليطمس الحقيقة الثانية، وقد قال إنه رجع إلى أوثق المصادر، وكان الدكتور طه عند صدور الكتاب وزيراً للمعارف، فساعد ذلك على رواج ما كتب، وتعدد طبعاته، ولكنه تحدث عن فصل طه حسين من الجامعة في عهد اسماعيل صدقى بما يدل على أن



ذاك الفصل كان نتيجة الرجة الأولى بشأن كتاب الشعر الجاهلي، وهذا باطل، لأن الدكتور لم ينقل من الجامعة بسبب كتاب الشعر الجاهلي بل عاونه أصدقاؤه المسئولون حينئذ على البقاء، ثم أحدث فتنة أخرى تجاهلها الأستاذ الكيالي تماماً وتجاهلها جلُّ من كتب عن طه حسين حين اقتفوا أثره، وبذلك أسدلوا الستار عن المأساة الأليمة التى أدت إلى فصل الدكتور طه حسين من الجامعة، والتى بسببها ألّف الأستاذ الكبير الشيخ محمد أحمد عرفة كتابه (نقض مطاعن في القرآن الكريم) الذى نخصه بهذا الحديث: والأستاذ عرفه ـ رحمه الله ـ كان عضواً بجماعة كبار العلماء بالأزهر، ومن أعلام الفكر الإسلامى الحديث[١].

يقول الأستاذ الكيالى (لقد أثار الأستاذ عبد الحميد سعيد في البرلمان ـ وكان رحمه الله وغفر له ـ من أئمة الرجعية في مصر، أثار قضية كتاب (في الشعر الجاهلى) من جديد، وكان على رأس الحكم اسماعيل صدقى باشا، وكان وزير المعارف محمد حلمى عيسى، ولم تكن الأمور بينه وبين الدكتور طه على ما يرام، لاختلاف نظرهما في كثير من قضايا الفكر، ومن جهة أخرى فقد كانت نزعة الدكتور طه حسين السياسية تناقض نزعة الحكومة، وأراد صدقى باشا أن يستخدم أدب طه حسين في دعم سياسته فأبى ذلك، وكان هذا الرفض من العوامل التى حدثْ بالحكومة أن تدفع نوابها الرجعيين أن يثيروا

في البرلمان قضيته مرة ثانية ليؤلبوا عليه الرأى العام، ودفعوا الأزهر من جديد ليسندوا الحكومة في هذا الاتجاه فنقلوا طه حسين من الجامعة إلى وزارة المعارف[٢].

وهذا الكلام خطأ، لا أدرى أكان مقصودا متعمدا أو جاء عن جهل بالواقع، لأن قضية الشعر الجاهلي لم تكن مجال سؤال الأستاذ عبد الحميد سعيد، بل كان السؤال خاصا بما هو أوجع وأنجع كما سنبينه في هذا المقال، كما أن الأستاذ المجاهد عبد الحميد سعيد، لم يكن رجعيا من أتباع الوزارة، ولكنه كان مستقلا لا ينتمى إلى حزب الحكومة وهو بعد رئيس جمعية الشبان المسلمين، وصاحب الجهاد الإسلامي العظيم، إذ تطوع في شبابه مجاهدا في حرب البلقان مع جيش الخلافة الإسلامية، ثم تطوع مجاهداً في ليبيا حين داهمها الطليان، وأبلى بلاء حسنا بجسمه وعقله معا، ثم مازال صوت الإسلام في كل معركة تقوم بينه وبين المستعمرين في شتى بلاد الإسلام، وبطل كبير مثل هذا البطل لن يكون صنيعة وزارة غير شعبية ولكنه مضى على سننه في الغيرة على الدين وحقائق القرآن! وإذا كان المجاهد المهاجر إلى ساحات الخطر الحربي في وجوه الأعداء رجعيا، فهل يكون القاعدون عن نصرة إخوانهم تقدميين وأحرارا أولى فكر وزعامة! أهون ما يقال عن الأستاذ الكيالى أنه لم يعرف شيئا عن البطل الباسل عبد الحميد سعيد، كما لم يعرف شيئا عن سؤاله البرلمانى، فلم يكن باحثا ولكنه مخبر صحيفة يسمع كلاما فينقله دون تصحيح.

إن نص البيان الذى ألقاه الدكتور عبد الحميد سعيد يدور حول الأسلوب القرآنى، كما يراه طه حسين، وقد جاء في البيان ما يلى[٣]:

١ - ان في القرآن أسلوبين متعارضين لا تربط الأول بالثاني صلة ولا علاقة، مما يدفعنا إلى أن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة، فمثلا نرى القسم المكى منه يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة كما نشاهد أن القسم الثانى وهو المدنى تلوح عليه أمارة الثقافة والاستنارة.

٢ - القسم المكى ينفرد بالعنف والشدة والقسوة والتهديد مثل، (تبت يدا أبى لهب) - (فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب) - (كلا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم) كما ينفرد بالهروب من المناقشة مثل (يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون)، ويمتاز بتقطع الفكرة واقتضاب المعانى، والخلو التام من التشريع، ويكثر فيه القسم بالشمس والعصر والنجوم والضحى الى آخر ما هو جدير بالبيئات الجاهلة الساذجة التى تشبه مكة تأخراً وانحطاطا، أما القسم المدنى فهو هادىء لين وادع يقابل السوء بالحسنى ويناقش الخصوم بالحجة الهادئة مثل (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا).

٣ - يمتاز القسم المدنى بأحكام الشريعة كالمواريث والوصايا والزواج والطلاق ولا شك أن هذا أثر واضح من آثار التوراة والبيئة اليهودية التى ثقفت المهاجرين ثقافة واضحة يشهد بها هذا التغير الفجائى الذى ظهر على أسلوب القرآن. أما طول الآيات في هذا القسم فجلي ظاهر، وأما أفكاره فهى منسجمة متسلسلة ترمى أحيانا إلى غايات اجتماعية وأخلاقية، وعلى الجملة فما في هذا القسم المدنى من الهدوء والمنطق والتشريع والتقصي والتاريخ يدل دلالة صريحة على أن الظروف التى أحاطت بهذا الكتاب إبان نشأته قد تطورت تطورا قويا!

٤ - هناك حروف غير مفهومة بدئت بها بعض السور مثل طس، وكهعيص، حم، عسق. فهذه كلمات ربما قصد منها التهويل أو إظهار القرآن في مظهر عميق مخيف، أو

نقض مطاعن
في القرآن الكريم
يتضمن تفنيدا ألقاه الدكتور طه حسين على طلبة كلية الآداب
في الجامعة المصرية
بقلم
محمد أحمد عرفة
وقف على تصحيحه وعلق عليه بعض أخوانه
السيد محمد رشيد رضا
صاحب المنار
(الطبعة الاولى في سنة ١٣٥١)
مطبعة المنار بمصر

غلاف الكتاب

هى رموز وضعت لتميز المصاحف المختلفة، التى كانت موضوعة عند العرب، فمثلا كهعيص رمز لمصحف ابن مسعود، وطس رمز لمصحف ابن عمر، ثم ألحقها الزمن بالقرآن فصارت قرآنا.

هذه هى الآراء الشاذة التى سببت سؤال الدكتور عبد الحميد سعيد، وتحتم بعدها نقل الدكتور طه حسين إلى وزارة المعارف، وهى آراء أثارت معركة مدوية في الأمة المصرية على صفحات الجرائد أمدا طويلا، وقام كبار العلماء والأدباء بتفنيدها على صفحات أمهات الجرائد، وممن بددوا شبهاتها الضالة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، والأستاذ محمد لطفى جمعة، والأستاذ عبد العظيم الزرقانى وغيرهم، ولكن الباحث العلامة الكبير الأستاذ محمد أحمد عرفه أفرد لها كتابا خاصا تناولها بالبسط الحميد في التفنيد، وأضاف إلى كتابه مقالات أخرى كان قد نشرها في نقض آراء أخرى للدكتور طه حسين حتى بلغ كتابه مبلغا قويا في الكم والكيف معا مع مقدمة شافية للسيد محمد رشيد رضا صاحب المنار استغرقت احدى وثلاثين صفحة! أفيعقل بعد هذا كله أن ينسى مؤلفو تاريخ الدكتور طه حسين هذه المعركة الصاخبة، ويجعلوا ما تم من نقله الى وزارة المعارف كان بسبب معركة (الشعر الجاهلى) وفي أى عالم نعيش؟ إن تجاهلنا الحق المرير، وقمنا مع ذلك بتجريح علم من أعلام الإسلام في هذا العصر هو الأستاذ الدكتور عبد الحميد سعيد، ومكانه في أمته الإسلامية الكبرى راسخ مكين.

بدأ الأستاذ محمد عرفه كتابه بمقدمة موجزة تحدد موضوعه، ثم اتبعها بنص السؤال البرلمانى الذى تقدم به الدكتور عبد الحميد سعيد، وأتى بعد ذلك بتفصيل شاف لتفنيد كل ما أرجف به الدكتور طه حسين، ومثل هذا المقال لا يستطيع أن يلخص مهما أوجز واكتنز كل ما قال الأستاذ الناقض الناقد، ولكننا نأتى بفقرات صائبة تكفى وحدها لهدم هذه الأباطيل.

ففي مجال القول بأن القسم المكى من القرآن جاء خاليا من المنطق على عكس القسم المدنى، بدأ الأستاذ مؤكداً أن القسمين معا يشتملان على المنطق العقلى المقنع، وإذا اعترف طه حسين للقسم المدنى بذلك، فأدلة القسم المكى موفورة، وطه حسين قد هدم رأيه حين استشهد بقوله تعالى {لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا} على أن الآية تعتمد على المنطق لأنها مدنية مع أن الحقيقة أن السورة مكية، والآية مكية، فهل رأيت أبلغ في نسف هذا الرأى مما استشهد به الطاعن نفسه! أما أمثلة الأدلة العقلية للبرهان المنطقى في السور المكية فقد نقل الأستاذ عرفه بالتحليل الشافى أمثلة لها مثل مفتتح سورة (ق) المكية التى تؤكد البعث الأخروى ببراهين عقلية حتى انتهت إلى قوله تعالى {أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد} ومثل آيات سبأ المكية التى تبتدئ بقوله تعالى {وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد} إلى آيات ساطعة من سور الإسراء والقيامة .. وكلها ذات حجج قطعية لا تقبل الدفع! هذا عن الحجاج في مسألة البعث. أما في مسألة وجود الله. فقد أتى الأستاذ عرفة بعدة شواهد من مثل قوله تعالى في سورة النبأ المكية {ألم نجعل الأرض مهادا - إلى قوله - وجنات ألفافا} مع نظائر أخرى من سور عبس والفرقان والغاشية وكلها مشفوعة بتحليل ملزم يخشع له كل ذى عقل وقلب ولا سبيل هنا إلى تلخيصه، وهكذا برع الناقد فيما جاء به من أمثلة للأدلة العقلية على الوحدانية، وثواب المتقين في العاقبة، وقد استغرق نقض هذا الاعتراض الأول ثلاثاً وعشرين صفحة من صفحات الكتاب، كلها عجب عجاب!

أما الطعن الثانى الخاص بالقول بأن القسم المكى من القرآن يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة كالعنف والشدة والسباب والوعيد، فقد نقضه الناقد مستشهداً بعشرات الآيات العاصفة بما ذهب إليه الدكتور طه حسين مبيناً فساد تفكيره فيما فهمه عن سورتى المسد والعصر وغيرهما حتى إذا بلغ المقطع الصائب في ذلك بيّن ما في آيات القسم المكى من اللين والسماحة والعفو على عكس ما قرره طه حسين ناقلا عن حفدة الاستشراق، وجاءت الآيات التى اختارها الأستاذ محمد أحمد عرفه من سور الشورى وفصلت والحجر هادمة لكل ما قرره الدكتور، ولم يغفل الأستاذ عرفة الإشارة إلى أن الوعيد ضرورى في الرسالات جميعها، وقد جاء في القسم المدنى كما جاء في القسم المكى، فقصره على القسم المكى تعمد مغرض لا يلجأ إليه باحث محايد.

وفي مجال الرد على قول الدكتور طه إن القسم المكى يمتاز *بتقطع الفكرة، واقتضاب المعانى*، أتى الناقد

روائع الأدلة التى تثبت بطلان هذا الادعاء، وقد استشهد بسورة الأنعام المكية ملخصا عناصرها ليثبت ما بها من تسلسل المعانى واطرادها قائلا في ختام ذلك[٤].

«فأين تقطع الفكرة؟ واقتضاب المعاني؟، أليست متسلسلة منتظمة آخذا بعضها بعضد بعض، تنتظمها وحدة الغرض، واتحاد الموضوع».

وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم[٥]

أما الحكمة في خلو القسم المكى من التشريعات فظاهرة لمن يعرف تاريخ الدعوة المحمدية، وقد أفاض الأستاذ عرفه في إيضاح هذه الحكمة وما كان أبرعه حين قال (هل كان الناقد يريد أن يفرض على كفار مكة أحكام المواريث، والزواج والطلاق وهم ينازعـــون في أصل العقيدة، وفي أن محمدا رسولٌ! على أن القسم المكى لم يخل من بعض التشريع ولكنه إجمالى لم يحن وقته بعد للشرح والتفصيل».

وحديث المعترض على القسم بالمخلوقات الكونية كالشمس والقمر والعصر والنهار والليل بعيد عن النظر البيانى للأسلوب الأدبى الذى يقتضى تأكيد المعانى بكل ما يضمن هذا التأكيد، ومن بينه القسم، وهو ما أغفله المعترض.

ونأتى إلى ما هدف إليه الدكتور من أن ما توهمه من الفرق بين القسم المكى والقسم المدنى قد جاء بتأثير اليهود!! وكأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد ألّف القرآن الكريم من عنده (كبرت كلمة) وتعلّم من أهل الكتاب بالمدينة ما دفعه إلى مسلك مغاير في أسلوب القرآن!!

وهذا ما قاله غلاة الحقدة من المبشرين ينقله أستاذ كلية الآداب إلى الطلبة الجامعيين، وكأنه حق صريح! ننتقل الى هذا الهدف المنكر لنرى الأستاذ عرفه، يثبت أن اليهود كانوا عداة الدعوة في المدينة، وقد وصمهم القرآن بسوءات أليمة وفي نصوص صريحة ذكرها الأستاذ مستقصيا، وقد عابهم بفقد الأمانة واستحلال الكذب والحسد، وبأنهم بدلوا دينهم حين قالوا إن عزير ابن الله، فكيف تكون هذه منزلة اليهود لدى رسول الله ثم يتتلمذ على أيديهم، وينقل عنهم ما يقولون! والآيات التى ذكرها الأستاذ عرفة في هذا المجال ذات قمع عاصف ودفع شديد.

أما الحروف التى ابتدأت بها بعض السور فقد كشف عن مرماها الأستاذ عرفة بما نعلمه جميعاً مما قاله السابقون وبما فتح الله عليه به من رأى، وقد بين أن حديث هذه الحروف قد نقله طه حسين عن المستشرق جرجيس سايل، دون أن يشر إليه، إذ ذهب المستشرق إلى أنها أحرف وضعها كُتاب محمد من عند أنفسهم! وقد ألصقت بالسور لتدل على أسمائها! فنقل ذلك الدكتور دون بحث.

هذا ما يتعلق بافتراءات الأسلوب القرآني، وقد كشفها الأستاذ في كتابه، ثم اتسع القول لموضوعات أخرى شملت أكثر من نصف الكتاب، وكلها ردود مفحمة سبق أن كتبها الأستاذ محمد عرفة منذ فتنة الشعر الجاهلى ونشرها في الصحف من قبل، ومن أبرعها ما جاء تحت عنوان (منهج الدكتور طه حسين العلمى في البحث) وتحت عنوان (طه حسين يسرق طعونه في القرآن من كتب المستشرقين) وهو باب يجب أن يقرأه من يريد أن يعرف كيف جاء طه حسين بانحرافاته في كتاب الشعر الجاهلي، وتحت عنوان (السياسة الإلحادية في التعليم) وغيرها. مما يدل على سعة محيطه بكل إفك طارف أو تليد.

عرف القارىء إذن رسالة هذا الكتاب الرائع حقا، وقد ذاع ذيوعاً حميدا في الدوائر الأزهرية بخاصة، والدوائر الإسلامية بعامة، وكان المظنون فيمن يؤلفون الكتب عن الأعلام المعاصرين أن يستقصوا كل ما قيل في أمورهم، ولكنهم يمدحون ولا ينقدون.. ويزيدون فيتهمون الدعاة المجاهدين بالرجعية والجمود! على أن الدكتور طه قد رجع عن أكثر هذه الأقوال في كتاب جيد حقا هو كتاب مرآة الإسلام، وسأتحدث عنه ليمحو ما سلف من الأراجيف.

الهوامش:

(١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين/ ج ١ ص ٥٢١ وما بعدها للدكتور محمد رجب البيومي.

(٢) مع طه حسين للأستاذ الكيالي ص ٦٨ سلسلة اقرأ.

(٣) نقض مطاعن للاستاذ محمد عرفة ص ٤.

(٤) نفسه ص ٦٧.

عتيبة بن مرداس

ذكر عنه أنه شاعر مقل غير معدود في الفحول، كما قيل عنه إنه كان هجَّاءً، خبيث اللسان بذيئا[١]، ولعل هذا كان وراء أفول نجمه، وعدم سطوعه في هذه الفترة، التى كانت مؤهلة لأن تضيء الذين عندهم استعداد لذلك، فهو لم يكن صاحب مواقف في الجاهلية، وفي الإسلام، ولهذا رضى أن يعيش في الظل، ولعله كان يساعد على ذلك، فمع أنه لم يكن من «بني فسوة» إلا أنه رضى بهذا الاسم حتى أصبح علماً عليه، فقد قدم عليه ابن عم له من الحج، وكان من أهل بيت يقال لهم: بنو فسوة، فلما رآه قال: كيف كنت يا بن فسوة، فما كان من ابن عمة إلا أن وثب مغضباً وقال: بئس لعمر الله ما حييت ابن عمك الذى قدم عليك من سفر، ونزل دارك، فقال عتيبة مستحييا: لا تغضب يا ابن عم، فإنما مازحتك، فلما استرسل ابن عمه في الغضب قال له: أنزل وأنا أشتري منك هذا الاسم فاتسمَّى به، وظن أن ذلك لا يضره فقال ابن عمه: لا أفعل أو تشتريه منى بمحضر من العشيرة، وظن أن ذلك لا يضره، وقد تمت عملية البيع والشراء ببرد وجمل وكبشين، وكان أن زال هذا الاسم عن ابن عمه، وغلب عليه، وكان أن فتح ـ بسذاجته على نفسه باباً دخل منه بعض الشعراء الذين ولعوا بهجائه، كقول واحد منهم:

أودى ابن فسوة إلا نعته الإبلا

وقد كان معنى هذا أنه كان بارعاً في وصف الإبل لأنه كان أوصف الناس لها وأغراهم بوصفها، فليس له كبير شعر إلا وهو مضمن وصفها.

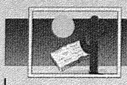
وقد كان من الطبيعى لهوانه على نفسه ولبذاءته، ألا يقترب من القمم الكبيرة في عصره، أو يشارك في الأحداث التى كانت تفرض نفسها على العصر، فهو لم يقترب إلا من عبد الله بن العباس حين كان عاملا لعلى بن أبى طالب على البصرة، فقد حسب أنه كأمراء البصرة الذين سبق له أن يذهب إليهم مادحا، ولكن عبد الله بن العباس لم يكديراه حتى قال له: ما جاء بك إليّ يا ابن فسوة؟ فقال له: وهل عنك مقصر أو وراءك معدى؟ جئتك لتعيننى على مروءتى، وتصلُ قرابتى، فقال له عبد الله بن عباس: وما مروءة من يعصى الرحمن، ويقول البهتان، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل؟ والله لئن أعطيتك لأعيننك على الكفر والعصيان، انطلق فأنا أقسم بالله لئن بلغنى أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعن لسانك، وحين أراد أن يردّ، منعه من حضر هذا اللقاء، أما ابن عباس فقد حبسه يومه، ثم أمر بإخراجه عن البصرة.

وقد ضاقت في عينيه الدنيا، فوفد إلى المدينة بعد مقتل على، وقد لقى هناك الحسن بن على، وعبد الله بن جعفر، فأحبا أن يقفا على ما كان بين ابن عباس وبينه، فقص عليهما قصته، وأرضياه، فمدحهما وقص رحلته مع ابن عباس.

أتيت ابن عباس فلم يقض حاجتى
ولم يرج معروفي ولم يخش منكرى
حُبِسْتُ .. فلم أنطق بعذر لحاجة
وسد خصاص البيت من كل منظر
وجئت وأصوات الخصوم وراءه
كصوت الحمام في القليب المغور
وما أنا إذ زاحمت مصراع بابه
بذى صولة ضار ولا بحنوَّر

وبعد أن ذكر أن ابن عباس كان مشغولا عنه بزوجه شميلة بنت جنادة، نراه يدخل في مدح الحسن، وابن جعفر فيكمل.

بقلم : أ . د . عبده بدوي
ـ مصر ـ



فليت قلوصي عُـرِّيت أورحلتــهـا
إلى حـسـن في داره، وابن جـعـفـر
.. الى ابن رسـول الله يـأمر بالتـقى
وللدين يدعـو، والكتـاب المطهـر
إلى مـعـشـر لا يخـصـفـون نعـالهم
ولا يلبسـون السِّبْتَ مـا لم يُخَـصَّر
فـمازلت في التَّسيار حتى أنختهـا
إلى ابن رسـول الأمـة المتـخـيَّـر
فـــلا تدْعُنى إذ رحلت إليكم
بنى هاشم أن تُصـدرونى بمصـدر

ولقد كانت بذاءة لسانه تسبقه عند بعض الذين كان يتعرض لمدحهم، على نحو ما نعرف من قدومه على ابن عامر بن كريز، فحين استأذن في الدخول عليه قال: والله ما تسأل بحسب ولا دين ولا منزلة، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئا، وأمر به فلكز وأهين، فقال عتبة في ذلك شعرا، ولكن كان هناك من خوَّفه من لسانه، فكان أن أمر برده، فقد قالوا عنه: هذا شاعر فارس، وشيخ من شيوخ قومه، واليسير يرضيه، فقال: ردوه، وحين رُدَّ قال له: إيه يا عتيبة أردد عليَّ ما قلت، فقال ما قلت إلا خيرا، قال: هاته فقال: قلت:

أتعـرف رسم الدَّار من أم مـعـبـد
نعم فـرمـاك الشـوق قـبل التـجلد

إلى أن قال:

فـتى يشـتـرى حـسن الثناء بماله
ويعلم أن المرء غـيـر مُـخلَّد
إذا مـا ملمَّـات الأمـور اعـتـرينه
تجلَّى الدُّجى عن كـوكب مـتـوقـد

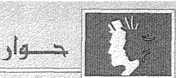
فـتبسم ابن عامر وقال: لعمرى ما هكذا قلت، ولكنه قول مستأنف، وأعطاه حتى رضى. ومع أنه حاول أن يشارك في بعض الخصومات القبلية إلا أن هذه المشاركة كانت على هامش هذه الحياة، بل إن بعض كرماء العرب قد انصرف عنه على حدِّ ما نعرف من سؤاله عبد الله بن عامر أن يُرْعيه كما كان يفعل مع الآخرين، ولكن عبد الله أبى عليه ذلك، ومنعه وطرد إبله، ويقال إن القبائل كانت تستهزىء به، فحين نزل ببنى سعد بن مالك وكانت معه جارية يقال لها جوزاء نراهم يسخرون منه، ويسرقون ثيابه وثياب جاريته، فلم يملك إلا أن يستعدى قبيلته على هذه القبيلة، وأن يهجوها فيقول فيما يقول:

إذا مـا لقيتُ الحيَّ سـعـد بن مـالك
على زم فـانزل خـائفـا أو تقـدم
أناس أجـــارونا فكان جـــوارهم
شـعـاعـا كلحم الجـازر المتـقـسم
لقـد دنست أعـراض سـعـد بن مـالك
كـمـا دنست رجل البـغى من الدم
لهم نسـوة طُلّسُ الثـيـاب مـواجن
ينادين من يبـتـاع عـوداً بدرهم
إذا أيِّم قـيـسـيـةٌ مـات بعلهـا
وكـان لهـا جـار فليـست بـأيم

وإذا كان صاحب الأغانى قد وقف عند صوت له، فان ابن الأعرابى كان يستحسن أبياتاً له ويستجيدها وهي:

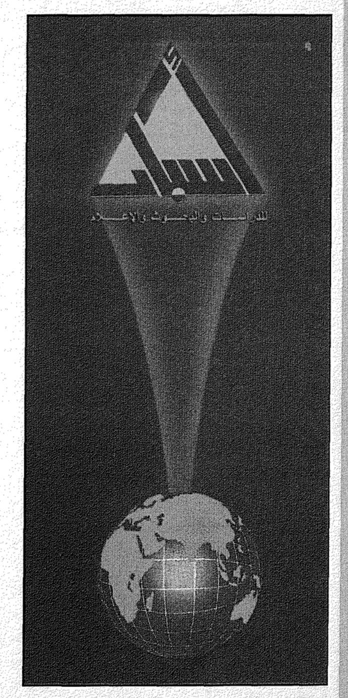
منعـمـة لم يغـذها أهل بلدة
ولا أهل مـصـر فـهى هيـفـاء ناهدُ
وأهوت لتنتـاش الرواق فلم تقم
إليـــه، ولكن طـأطـأتـه الولائد
قليلة لحم الناظرين يزينهـا
شـبـاب، ومـخـفـوض من العـيش بارد
تناهى إلى لهـو الحـديث كـأنهـا
أخـو سـقم قـد أسلمتـه العـوائد
ترى القـرط منهـا في قناة كـأنهـا
بمهلكة لولا البـرا والمعـاقـد

فهو يجيد الوصف بكلمات قليلة، ويتوصل إلى الصور الموحية، من غير إغراب، وبخاصة حين يتوصل للحديث عن المرأة المترفة الثرية، ولكن ظل على هامش الفترة التى عاش فيها، ذلك لأنها كانت فترة ريَّانة تحمل الناس على أن تكون لهم مشاركة في الحياة من حولهم، أما الذين أغضوا أعينهم، واكتفوا بأن يدُوروا حول أنفسهم، فقد كان من الطبيعى أن تركلهم الحياة، ليس في الفترة التى عاشوا فيها فقط، ولكن في كل العصور.



حوار مع الأستاذ / المدير العام لأسبار عبد الله بن محمد البسامي

أسبار للدراسات والبحوث والإعلام ومشاريع الرصد الحضاري للمملكة



حركة التنمية الشاملة في المملكة تستلزم الكثير من نقاط الرصد لأضواء التطور عبر الزمن، فالمجتمع يتطور وفقاً للتقدم العلمي وأساليب الحياة والثقافة والفكر والأدب، وكل ذلك يحتاج إلى رصد، وهذا الرصد يفيد الأجيال القادمة كما يفيد الجيل الحالي وهو نوع من الاخلاص لأجيالنا التي ستأتي في المستقبل، وفائدته للجيل الراهن تكمن في لحظات التقويم للذات وحسن اتخاذ القرار من قبل الجهات المعنية، وفي مجتمعنا السعودي الكثير من الفعاليات الإنسانية التي تستحق الرصد والتسجيل، ونحن من خلال هذا اللقاء مع الأستاذ عبد الله بن محمد البسامي مدير عام دار أسبار للدراسات والبحوث والإعلام سنسلط الضوء على مختلف جوانب نشاطات هذه الدار تعريفاً للقارىء العربي في كل مكان بما تم إنجازه وما سيتم بإذن الله تعالى.

**** في البدء حبذا لو عرفتم القارىء بدار أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، والنشاطات الأساسية التي تقوم بها، التي تميزت بالروح الوطنية والأهداف السامية التي تصب في روافد التنمية الشاملة في المملكة؟.***

** أنشئت دار أسبار للدراسات والبحوث والإعلام

إعداد: عقيل بن ناجى المسكين
- السعودية -

قبل حوالي ثلاثة أعوام لتلبية احتياجات المنشآت الحكومية والأهلية في مجال الدراسات والبحوث واستطلاعات الرأي.

وتعتمد خدمات أسبار كليا على البحث العلمي. فقد بادرت بتشكيل هيئة علمية لتكون الأولى من نوعها في المملكة العربية السعودية. تضم هذه الهيئة نخبة من المتخصصين المتميزين علميا للإشراف على المشروعات العلمية التي تقوم الدار على إعدادها وتنفيذها. كما تعتمد أسبار كذلك على شبكة واسعة من الخبراء والدارسين والباحثين في مختلف الحقول. وتتعاون الدار أيضا مع العديد من مراكز المعلومات ومعاهد البحوث في الداخل والخارج.

وتشمل نشاطات أسبار ما يلي:

أولا: الدراسات الاستراتيجية:

يحتاج صناع القرارات في جميع المجالات الى معلومات وفيرة وموثوق بها لاتخاذ قراراتهم. فالإدارة الحديثة لا تحتمل القرارات اللحظية المرتجلة، فلابد للقرارات من أن تقوم على معرفة دقيقة للواقع، وعلى ضوء تصورات واضحة للمستقبل.

وأسبار بما تتوافر عليه من امكانات وخبرات، تستطيع أن تسهم في ترشيد القرارات عن طريق تحديد البدائل المتاحة القائمة على الدراسة العلمية المتأنية ولذلك جعلت من مهامها الأساسية تقديم هذه الخدمة لصناع القرار.

عبدالله بن محمد البسامي

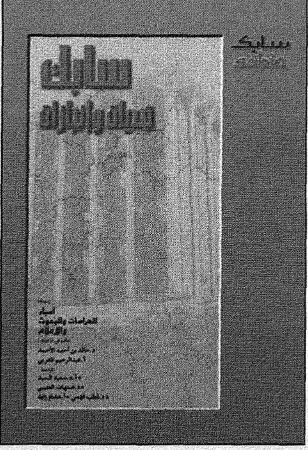


عقيل المسكين

ثانيا: البحوث واستطلاعات الرأي:

تقوم أسبار بإجراء الاستطلاعات والبحوث وفقا لاحتياجات الجهات المستفيدة وهي توظف مختلف المناهج البحثية، الكمية والكيفية، والوسائل المناسبة لجمع البيانات وتحليلها وعرضها، واستخلاص نتائجها، وتقوم بشكل خاص بإجراء البحوث التسويقية المختلفة لجمع وتحليل المعلومات عن حركة السلع والخدمات واختبارات السوق.





ثالثا: التوثيق:

تضطلع أسبار حاليا بإعداد مجموعة من الكتب التوثيقية والإعلامية، للأجهزة الحكومية والأهلية، ومن بينها:

- المملكة العربية السعودية .. الأرض والإنسان والحضارة.
- سابك .. عشرون عاما من العطاء.
- الخدمات والمرافق الصحية والطبية بالمملكة العربية السعودية.
- عرائس الصحراء .. قصة التنمية العمرانية في المملكة العربية السعودية.
- مسيرة الإعلام في المملكة العربية السعودية.
- صناديق التنمية السعودية وآثارها التنموية.
- كتب تعريفية عن المناطق الإدارية في المملكة العربية السعودية.

رابعا: المعاجم والموسوعات:

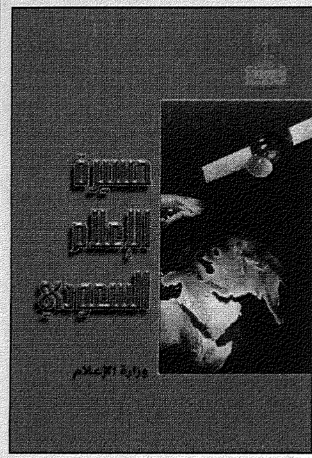
- أصدرت أسبار مؤخرا «معجم أسبار للنساء السعوديات»، وتعكف حاليا على إصدار عدد من المشروعات الرائدة في مجال المعاجم والموسوعات، وهي:

* موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية.
* موسوعة أسبار لرجال التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية.
* معجم أسبار للأطباء والطبيبات «السعوديون».

خامسا: الاستشارات:

يتوفر لدى أسبار من الخبراء والإمكانيات ما يؤهلها لتقديم أنواع متعددة من الاستشارات مثل تخطيط الحملات الإعلامية والإعلانية وقياس أدائها وتقييمها خلال مراحل التنفيذ وبعدها، والتخطيط لحملات التوعية العامة. كما يمكنها تقديم الاستشارات للشركات والمؤسسات لمساعدتها على





إبراز اسمها وتحسين صورتها الذهنية لدى جمهور المستهلكين أو المساهمين. وهي تقدم كذلك خططاً لتطوير إدارات العلاقات العامة، واستشارات فنية وإعلامية لتطوير الإصدارات الإعلامية في القطاعين الحكومي والخاص.

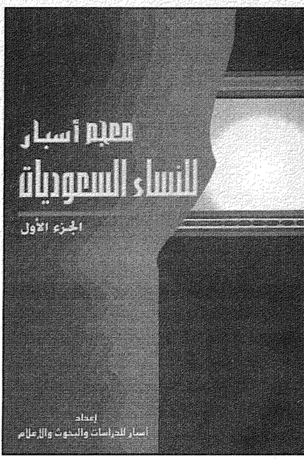
وقد بدأت أسبار باكورة عملها الاستشاري من خلال تنفيذ (مشروع الدراسات التأسيسية لإصدار (صحيفة الوطن اليومية بمنطقة عسير) بتكليف من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير. كما تنفذ أسبار في الوقت الحالي مشروع إعادة هيكلة وتحديث أداء الشركة الشرقية للصحافة والطباعة والإعلام.

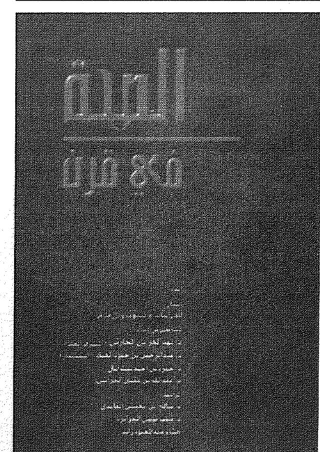
**** عمل المعاجم والموسوعات يتطلب استعدادات جيدة وعاملين على مستوى عال من الكفاءة ومن مختلف التخصصات، وفي السنوات الأخيرة بدأت تظهر في المملكة دور تقوم بأعمال هذا النوع، ترى أين موقع «أسبار» من خارطة هذه النشاطات العلمية؟ وبماذا تميزت عن غيرها من الدور؟.***

** تحتل أسبار موقعاً متميزاً في خارطة هذه النشاطات العلمية، وقد استفادت أسبار من التجارب السابقة، وحاولت أن تتميز من خلال اعتمادها التوثيق العلمي في تلك المعاجم والموسوعات، بالإضافة الى الشمولية، وعلى سبيل المثال فإن «معجم أسبار للنساء السعوديات» لم يركز فقط على المرأة السعودية الكاتبة والأديبة مثل الكتابات السابقة، بل إنه غطى شرائح نسوية أخرى أسهمت بدور هام في الحياة الاجتماعية والتعليمية، والاقتصادية، والفنية. وبهذه الشمولية يقدم المعجم للقارىء العربي صورة عن الواقع المشرق للمرأة السعودية والدور البناء الذي تقوم به في مختلف المجالات.

**** كيف بدأت فكرة «معجم أسبار للنساء السعوديات»؟ وما هي الصعوبات التي قابلتكم حتى تم***







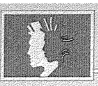
اكتماله وطبعه؟ وما رد فعل الجمهور والجهات المستفيدة من هذا المعجم؟.

** بدأت فكرة إصدار معجم متخصص عن النساء السعوديات، عندما لاحظت أسبار القصور الواضح في المعلومات المتوفرة عن المرأة العاملة في المملكة العربية السعودية، في مرحلة تتطلب التوثيق وإبراز جهود المساهمين في تنمية الوطن رجالا ونساء. ويهدف المعجم إلى إبراز مساهمة المرأة السعودية في مختلف مجالات الحياة العلمية والعملية، وتوثيق السير الذاتية لمجموعة كبيرة من النساء السعوديات العاملات في القطاعات الحكومية والأهلية كما يهدف إلى توفير المعلومات الأوتوبيوجرافية الموثقة، لمساعدة الباحثين ومراكز البحوث. وقد واجهت أسبار عقبات عديدة في مرحلة جمع المعلومات وأهمها عدم تجاوب بعض الجهات والشخصيات النسائية، ونقص المعلومات في بعض التراجم، ولم تقف هذه العقبات عثرة في طريق صدور المعجم، وذلك لأن إيمان أسبار بأهمية المشروع وفائدته جعلها تتحمل كافة المشاق لإنجاز العمل.

وقد صدرت الطبعة الأولى من المعجم مؤخراً، وحظيت بترحيب كبير من الجمهور والباحثين والشخصيات العامة الرجالية والنسائية.

**** وماذا عن «موسوعة أسبار لرجال التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية؟ وهل ستشمل السنوات الأولى من ظهور التعليم في المملكة حتى العصر الحاضر؟ أم ستقتصر على التعليم في السنوات الأخيرة؟.***

** ترمي الموسوعة إلى توثيق سير رجال التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية ممن أسهموا بجهودهم وخبراتهم الطويلة وخدموا أبناء أمتهم من خلال عملهم في مجالات التربية والتعليم المختلفة، وذلك بهدف تكريم تلك الشريحة العريضة من أبناء المجتمع والتعريف بإسهاماتهم المتميزة: العملية، والفكرية. كما تهدف الموسوعة إلى إثراء المكتبة في المملكة العربية



السعودية والمكتبة العربية بصفة عامة بمرجع متميز في هذا المجال، وإبراز دور الدولة السعودية في بناء الإنسان السعودي، ولن تقتصر الموسوعة على التعليم في السنوات الأخيرة، بل ستتطرق إلى الأفراد الذين قاموا بأعمال ريادية في بدايات مسيرة التعليم في المملكة العربية السعودية بصرف النظر عن تخصصاتهم ومؤهلاتهم العلمية، كإقامة مدارس أو حلقات ودروس في المساجد والبيوت.

**** متى ستصدر «موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية»؟.***

** دخلت الموسوعة مرحلة إعداد الكشافات العلمية المتخصصة والمراجعات النهائية، لتأخذ طريقها للطباعة خلال الأشهر القليلة القادمة إن شاء الله. والمعروف أن هذه الموسوعة تعمل على حصر تراجم العلماء والمتخصصين في العلوم الشرعية منذ فتح الرياض (١٣١٩هـ) إلى يومنا هذا، ممن تنطبق عليهم معايير خاصة حددتها الهيئة العلمية في أسبار.

**** وكيف سيتم تناول موضوع «معجم أسبار للأطباء والطبيبات في المملكة العربية السعودية»؟.***

** يقوم المعجم برصد الكوادر البشرية، رجالا ونساء، في مجال الطب، وتوثيق سيرهم الذاتية، وتخصصاتهم، والجهات التي يعملون بها، والجامعات والكليات التي تخرجوا منها، في الداخل والخارج. ويهدف هذا المعجم بالإضافة إلى الجانب التوثيقي إلى تسهيل عمليات البحث عن الأطباء والطبيبات، لخدمة المواطنين، وتوفير قاعدة بيانات مصنفة، تساعد شركات صناعة الأدوية والأجهزة، وموزعيها داخل المملكة وخارجها للوصول الى الأطباء وإعلامهم بالمستجدات الطبية. كما يشرف على تنفيذ مراحل المشروع فريق عمل من المتخصصين في المجال الطبي حسب خطة زمنية وعملية متكاملة. كما أن هناك مساعدين ومراسلين ميدانيين يتولون مهمة جمع المعلومات.

إضاءة

- أ. عبد الله بن محمد البسامي.

- حاصل على مؤهل ماجستير في الإدارة المكتبية، والبكالوريوس في الإدارة العامة.

- عمل بمعهد الإدارة العامة بالرياض منذ عام ١٤٠٩هـ معيداً ثم مدرساً فمحاضراً في الإدارة المكتبية حتى بداية عام ١٤١٧هـ حيث أعير من معهد الإدارة العامة للعمل مديراً عاماً لـ أسبار للدراسات والبحوث والإعلام حتى تاريخه.

**** وهل هناك مشاريع أخرى من هذا النوع؟ وما هي طبيعتها؟.***

** هناك بالفعل مشاريع أخرى تجري دراستها حاليا وسيتم الإعلان عنها بمجرد موافقة الهيئة العلمية في أسبار على البدء في تنفيذها.

* يلاحظ تركيز أسبار على التراجم لأشخاص الكفاءات السعودية (علماء شريعة - رجال تربية وتعليم - أطباء وطبيبات(، فهل هناك مواضيع أخرى ذات منطلقات اجتماعية - اقتصادية - سياسية - أدبية ... الخ. سيتم التطرق إليها في مشاريع قادمة لـ أسبار؟.

** هناك مشاريع متعددة في مختلف المجالات تعتزم أسبار القيام بها في المستقبل وهي تدخل في نطاق نشاطات أسبار السابق توضيحها. وتخضع تلك المشاريع لدراسة الهيئة العلمية في أسبار.

تجربتي في الصحافة



(١٣٢٤ هـ - ١٤٠٣ هـ)

عبد القدوس الانصاري[*]
مؤسس مجلة المنهل

معنى التجربة لغويا:

ذكر اللغويون أن معنى التجربة هو اختبار الامور ومعرفتها .. قال الاعشى:

كم جربوه فمازادت تجاربهم
أبا قدامة الا المجد والفنعا

و«الفنع» هو كثرة المال والفضل والزيادة وحسن الذكر.

وقال اللغويون: تقول هذا رجل مجرب - بكسر الراء المشددة - بمعنى مختبر للأمور وعارف بها .. وقالوا يصح أن يقال: مجرَّب - بفتح الراء المشددة - من جُرب - بضم الجيم اي اختبر وعرف ما عنده.

تجربتي الصحافية:

إن تجربتي الصحافية هي محصول السنين التي مارست فيها الصحافة الادبية والعلمية وغير الادبية والعلمية.

لقد بدأتُ في ممارسة شؤون الصحافة فعلا في عام ١٣٥٥هـ - ١٩٣٧م وذلك بعد صدور الامر الملكي الكريم من المغفور له الملك الراحل مؤسس هذه المملكة وباني مجدها الحديث وموحد شملها تحت راية التوحيد الغراء: عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه، وكان أمره المشار اليه يقضي بالموافقة على طلبي اصدار مجلة المنهل الشهرية الأدبية العلمية الاسلامية بالمدينة المنورة.

وجدير بالذكر بالمناسبة أن المنهل صدر يومئذ ولم يمض على تأسيس الدولة العربية السعودية سوى عشرة اعوام، فهي من هذه الناحية قد واكبت حياة المملكة منذ أوائل عهدها.

وكان اصدار المنهل في ذلك الوقت الذى لم نستكمل فيه الوعي الادبيً تجربة مغامرة، ما كان كثير من الناس يخال أو يتخيل لها النجاح والاستمرار، حتى مُصدرها نفسه كان من هؤلاء .. ولكن اذا اراد الله امراً فلا راد لارادته إنه يفعل ما يشاء وهو اللطيف الخبير.

وحقا اقول إن صدور مجلة ادبية في ذلك الظرف وفي المدينة المنورة كان امرا صعبا، ومركبا غير وثير، وطريقاً غير معبد. ولكن قافلة مجلة المنهل سارت في الطريق الوعر ودعست الاشواك، ومرت بعقبات ومازالت في مسيرتها حتى فتح الله للبلاد عهدا مجيدا زاهرا هو العهد الفيصلي المديد فحثت البلاد الخطى واسرعت الى الامام.. وكيف لا وقد اصبحت البلاد حدائق خُضراً، نضرا، ترفل في حلل فضفاضة من التقدم والنهوض وتطاول العمالقة وتصبح قطب رحى كثير من أرجاء العالم، وشقت الطريق الى العلم، فبنت

المدارس العديدة والمعاهد الوفيرة والجامعات الكبيرة، وأدخلت التعليم الى النصف الثاني من اهل الوطن العزيز، واصبح كل شيء مزهرا، ينبئ بنفسه عن تطوره المجيد.

والصحافة السعودية نالت قسطا وافراً من التجدد والتجديد، وقد تولدت منها الصحافة اليومية التي كانت حلما من الأحلام.

ممارسة أنُف:

كانت لي هواية أدبية منذ سن المراهقة، وفي أول عهد الشباب، نشرت لي مقالات وكلمات في العديد من الصحف والمجلات العربية في خارج المملكة.. مثل الأهرام، والمقتطف، والسياسة الأسبوعية، ومجلة الشرق الأدنى بمصر، ومجلة المرشد العربي بالاذقية وغيرها.. كما نشرت لي في جريدة صوت الحجاز عدة مقالات.

وكان مجلس الشورى قد طلب في المعاملة الخاصة باعطائي رخصة باصدار مجلة المنهل آثاري الادبية فقدمت له تلك المقالات المنشورة في تلك الصحف والمجلات، كما قدمت له ما كنت نشرته في صوت الحجاز وقد وافق ووافقت حكومة جلالة الملك المعظم على اعطائي تلك الرخصة وصدرت موافقة جلالته على الرأي الذي قدره مجلس الشورى حسب ما أشرت اليه آنفا.

وكانت ممارستي الفعلية للصحافة في رئاسة تحرير مجلة المنهل وادارة شؤونها. ولم اكن قد تمرنت على ممارسة فن الصحافة قبل دخولي تجربة اصدار مجلة المنهل. لذلك لاقيت بعض المعاناة فيما يتعلق بترتيب موضوعات المجلة واعطائها مسحة من الجمال، والتنسيق الفني الذى لابد منه لكل مجلة تريد أن تحتل مكانا تحت الشمس في عالم العصر الحاضر، وكنت أدرس ذاتياً اعداد المجلات الموجودة في العالم العربي اذا ذاك كمجلة الهلال والمقتطف والزهراء وغيرها، وأستفيد من دراستي لها الإلمام العام باسلوبها ومنهجها في تلقي الموضوعات وفي طريقة نشرها ووضع العناوين المسترعية لأنظار القراء لها، وكيفية طبعها وكتابة عناوين المقالات المهمة ووضع الفهارس وتنويع الموضوعات ونشر الأهم فالأهم، والاجذب لانظار القارئين فالأجذب، وهكذا دواليك.. هذا الى ادارة شؤون المجلة الادارية والمالية.

الطاقة الفكرية المتزنة تهبُ التجارب القيمة:

هذا وقد علمتني الحياة والتجارب أن الطاقة الفكرية المتزنة تهبُ التجارب والطاقات الصغيرة والكبيرة.. وكما قال ابو الطيب:

على قدر اهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

واعاظم العلماء واكابر المخترعين، ولدوا من الطاقة الفكرية الكامنة في تلافيف أدمغتهم الكبيرة اختراعاتهم، وكانوا عند بداية مراحل اختراعاتهم يستندون الى طاقاتهم الفكرية الموهوبة، والحزم والاقدام في سبيل تحقيق أحلامهم الكبيرة.. ولدينا شاهد عيان في العصر الحديث ألا وهو: المخترع اديسون.. الذى لم يصل الى مستوى عال من الثقافة ولكنه أصبح بفضل طاقاته الكامنة وبسبب جهوده المتتالية من أعظم مخترعي العالم الحديث.

ولو شئنا أن نذكر في هذا الميدان كبار رجال العلم والصحافة في عالمنا الحديث لما كفانا مجلد أو مجلدات. ولكن مالا يذكر كله لا يهمل كله.

من قصص التجربة الصحافية:

لعل من المناسب أن اذكر هنا قصة طريفة حدثت لي ابان صدور اوائل اعداد المنهل.. وهي تدل فيما تدل عليه على أن رئيس التحرير دائما مُعرضٌ للخطأ، وبخاصة اذا كان مبتدئا في هذا الميدان.

لقد رحلتُ من المدينة الى بلد مجاور مع فضيلة المرحوم السيد محمود احمد ونجله الصديق السيد حبيب محمود احمد، وذلك بقصد الاستجمام والتفسح.. وكان سفرنا بسيارة السيد محمود رحمه الله ودخلنا البلد الذى نقصده فقوبلنا بالترحيب والتكريم من الوجهاء والاعيان هنالك.

ثم عدنا الى المدينة مغمورين بالبشر والغبطة من

ثمار هذه الرحلة السعيدة. وأعددتُ موضوعات العدد التالي من المنهل، وصدر، وفيه الرحلة وقد أدخلت فيها - تطعيما ادبيا - قصيدة عصماء لشاعر مدني قديم يصف فيها بعض هوامٍ هذا البلد التي أقضت مضجعه.. وصفاً ادبيا رائعاً. واطلع الاخوان اهل البلد الذى استضافنا على القصيدة في العدد، فثارت ثائرتهم واعتبروا ذلك مقصودا به سمعة البلد نفسه.. وانهالت رسائل الاحتجاج من الاصدقاء منهم على ادارة المنهل، وعلى فضيلة السيد - محمود احمد .. وهالنا الأمر الذى لم نكن ننتظر حدوثه. وقد اعتذرتُ لهم واعتذر لهم عني ايضا - فضيلة المغفور له السيد محمود أحمد، فهدؤوا ثم عادت المياه الى مجاريها.. بعد أن أثارت القصيدة زوبعة ما كنتُ إخال انها ستثيرها بحال من الأحوال، وما كنت نشرتها الا من باب التطعيم الادبي المجرد وكنت خالي الفكر من أي معنى آخر أو مرام آخر مُلتو أو غير مُلتو.

لقد اختزنت الذاكرة هذه القصة أو هذه التجربة المريرة.. اعواما عديدة ولا تزال تحتل مكانها في الفكر حتى اليوم.. وما عدتُ بعدها لمثل هذا الصنيع - فالسعيد من اتعظ بأعماله واقواله قبل أي شيء آخر.

ولقد أرشدتنى هذه التجربة الى أن ادقق الفكر في كل موضوع ينشر بالمنهل من جميع جوانبه الداخلية والخارجية حذراً من أن ينفلت الى عالم النشر في المنهل مالا يحسن نشره فيه.

مهمة التجرد:

اقصد بالتجرد هنا تجرد المحرر أو رئيس التحرير من الحزازات الشخصية الملازمة للبشر حينما يكتب عن شخص أو عمل أو اي شيء آخر، حتى يعطي الموضوع المكتوب فيه حقيقة ابعاده ومستواه ومزاياه وغيرها من غير ان يقحم حزازاته الذاتية وانفعالاته الشخصية فيه، فينحرف في مساره الى شيء آخر ويتشوه وتتبدد عند ذلك الفائدة المتوخاة من الكتابة .

إن هذا التجرد من أهم الأسباب الداعية لنجاح الكاتب عامة والمحرر ورئيس التحرير خاصة.. إذ لا يمنح ما يستحق الذم، ولا يذم ما يستحق المدح، ولا يفسد قضية بمجرد أن له ميولا سلبية حيالها، ولا يشتط في النقد حتى يصل به الى العظم.. وإنما ينقد نقدا موضوعيا سمحاً لا يعتريه جفاف أو جنف أو سخف أو هوى مكشوف أو مستتر.

هذه الحقيقة جعلتها ضمن تجاربي الصحافية، فتوخيتُ بقدر الامكان أن أزاولها. ولا أقول إني نجحت في رغبتي، ولكني أقول اني كثيرا ما ألجم قلمي بلجامها، وأكفكف من عنفوانه، وأحد انفعاله، وأمسك بزمامه حتى لا يثير الغبار عليَّ ويلقي الحجارة الضخمة أمامي في سبيل هواه.

وطالما دعوتُ في مجلة المنهل إخواننا الكتَّاب ورؤساء التحرير الى اعتناق هذه الفكرة المستقيمة النافعة الرافعة، وطالما نقدوني وحملوا عليَّ من أجل هذا المبدأ الذي أحاول تطبيقه على نفسي أولا وادعو غيرى الى تنفيذه ثانيا. فصبرتُ وتحملتُ عناء ما يرمونني به حتى وضح الحق المبين أخيراً واشرقت شمس العرفان والاقتناع في أذهانهم بهذا الزمان.

والواقع انه مرت على ادبنا الحديث فترة قاسية حملت فيها الفؤوس لدق الاعناق وحطم الرؤوس.. ثم خفت حدة الحملة تدريجيا حتى انها لتكاد تتلاشى اليوم، وحتى لم يبق فيها سوى تحركات صغيرة غير وفيرة.. وطالما وجَّه الاصدقاء النصيحة اليَّ من قبل، بان أدع هذا الطريق الشاذَّ، وألتزم بما التزم به الزملاء ليزداد الاقبال على مجلة المنهل، وليزداد انتشارها، فامتنعتُ عن الاستجابة مصمما على بقائي في موقفي حتى يأذن الله بالفتح أو أمر من عنده.

هذا ولعل الباعث على استعمال النقد الشخصي العنيف ناشيء من الاستجابة للعواطف الشخصية من حب وكره.. وحسد وحقد دفين، والظَّن بان إشهار سلاح النقد العنيف يقضي على المنقود، ويجعله عظيما رميما وهيكلا مجردا وهباء منثوراً. وقد ثبت واقعياً ان هذا وهم من الأوهام.

الاعتدال:

من تجربتي الصحافية أن الاعتدال سيد الأحوال.. خير فصول السنة الربيع، وخير الرجال من كان معتدلا بسيرته، وخير الامور اوساطها.

قد كانت تجربتي الصحافية ما ذكرته آنفاً.

ومازلت أحاول التقيد بالاعتدال فيما اكتب وأنشر، وليس معنى هذا تمكني الكامل من ناصية الاعتدال. فالانسان بشر وقد تدفعه عواطفه الجامحة حيناً الى مالا يروق له عقليا، ورئيس التحرير الناجح هو ذلك الذي يلتزم الاعتدال في سائر الأحوال.

تلك جريدة الاهرام عُرف عنها الاعتدال فيما سبق من الازمان، وكان نجاحها معروفا. وتجربتي أن الاعتدال هو المحور لنجاح رؤساء التحرير والمحررين ذلك النجاح الراسخ المكين.

ثقافة رئيس التحرير:

تأملت رؤساء التحرير الناجحين فوجدتهم مثقفين ثقافة تتراوح بين العالية والمتوسطة.

فتبين لي من ذلك انه لابد لرئيس التحرر من أجل نجاحه أن يعبَّ من أنهار الثقافة ما يجعله متمكنا من أن يهب قراءه، علماً مصقولا، وادبا منخولا ورأيا معقولا، وخبراً صادقا وتحليلا مقبولا.

ان هذه التجربة الصحافية أذكر اني كنت خاطبت بها معالي وزير الاعلام السابق حينما جمع رؤساء تحرير المجلات والصحف ليبحث معهم الأسباب الدافعة الى نهوض الصحافية كما يرتجى.

انما ينشره رئيس التحرير بقلمه أو ما يجيز نشره هو معروض دائما تحت مجهر الفحص والنقد البناء والهدَّام لدى القراء.

العقبات في الطريق:

لقد علمتني تجربة الحياة والصحافة أنه لا يمكن أن يستمر جريان الحياة على وتيرة واحدة، ولابد من وجود عقبات وانفراجات ولابد من تجريد الهمم والافكار لمكافحة الأزمات..

من هذه العقبات ما هو مادي ومنها ما هو معنوي.

إن الانسان مخلوق (في كبد) كما نص عليه الذكر الحكيم.

أين هو المنهج الأفضل؟

ثم اين هو المنهج الأفضل في الصحافة؟ هل هو في حسن اختيار الموضوعات؟. أم في تنوعها أم في ارتفاع مستواها أم في هبوطه الى أذواق عامة القراء، أم في حسن الإخراج؟ وهل هو في التخصص أو الشمول؟ أو في الاناقة أو البساطة؟.

على ضوء هذه الاسئلة كنت دائما أبحث عن المنهج الأفضل، بالنسبة للمنهل، وقد قلَّبْتُ النظر في عديد من المجلات المعاصرة. تأملتُ المقتطف الذى كانوا يلقبونه بشيخ المجلات العربية. فبدا لي علميا جافا رتيب المنهج والاخراج.. وتأملت مجلة الهلال فاذا بها طرية هشة خفيفة الظل والاثمار.

وتأملتُ مجلة الرسالة فاذا بها دسمة رتيبة السمات. ودققتُ النظر في مجلة الشرق الأدنى فاذا بها دانية الثمار منوعة الموضوعات جميلة المظهر والمخبر، وكانت المادة تعوزها.

وأعملتُ الفكرة في مجلة السياسة الاسبوعية فاذا بها روضة غناء تنقصها العنادل الصادحة. وتأملتُ مجلة البلاغ الاسبوعي فإذا بها عامرة بالكنوز ولكنها كانت تتغذى من حزب مُعَيَّن. وتأملتُ مجلة الاديب اللبنانية فاذا بها طاقة من طاقات الأدب الحديث، ولكنها فردية كالمنهل تحتاج الى غذاء دسم يمنحها نشاطاً أكبر. وتأملتُ مجلة المختار من (ريدرز دايجست)، فاذا بها تقدمية في المخبر، ولم تستمر لأنها كانت تتنفس في غير جوها الاصيل.

ونظرت مجلة العربي الكويتية فاذا بها حديقة أنيقة فيها من كل فاكهة زوجان، وطيور مغردة، وأزهار متفتحة. وبعض نباتات تحتاج الى بعض تشذيب وتهذيب.

ثم خرجت من كل هذه التأملات التجريبية بنتيجة هي أن المنهل ينبغي أن يحمل بين دفتيه أحسن ما في كل مجلة من تلك المجلات، وفي هذا الجو كان مولد شعارها الذى هو: (الى الأمام على الدوام).

تلك الوان من تجربتي الصحافية قدمتها في هذه العجالة العابرة، مؤملا أن يكون فيها بعض النفع المنشود لرجال الصحافة ان شاء الله.

(*) هذا الموضوع: واحد من مجموعة المحاضرات التى ألقاها الاستاذ عبد القدوس الانصاري - عليه رحمة الله ورضوانه - ولم يسبق نشرها، وهي ضمن أوراقه المخطوطة.



الفروق في اللغة

الفرق بين الفرح والسرور:

إن علماء اللغة وخاصة الذين عنوا ببيان الفرق بين الكلمات، رأوا أن كل كلمة إذا وضعت في مكانها فانها تعطى للسامع وللقارىء ذوقاً لغوياً لا يحسه لو وضعت كلمة أخرى مكان تلك الكلمة، ولو كانت مرادفة لها فيما يبدو، والذي لا يدري الفرق بين الكلمات. تمر عليه المترادفات فلا يفطن لها ولا يميز بين ما فيها من دقيق التباين.. ومن ذلك، هاتان الكلمتان، الفرح والسرور.

ولقد وجدت هاتان الكلمتان في الكتاب والسنة على طريقتين:

إحداهما: أن كل كلمة من الكلمتين (الفرح والسرور) وضعت في مكانها الصحيح الذي لو غيرت فيه الكلمة لما أعطى النظم اللذة اللغوية.

وثانيهما: أنه قد تستعمل كل كلمة في مكان الأخرى حين يكون المعنى واضحاً جليا.

«والعرب من معهودهم - أنها لا ترى الألفاظ تعبداً عند محافظتها على المعاني - وان كانت تراعيها أيضا - فليس أحد الأمرين عندها بملتزم - كما يقول ذلك العلامة الشاطبي في كتابه الموافقات في أصول الاحكام[١] ثم يقول:

بل قد تبنى على أحدهما مرة، وعلى الآخر أخرى، ولا يكون ذلك قادحاً في صحة كلامها واستقامته - والدليل على ذلك أشياء:

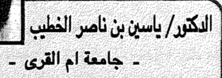
أحدها: خروجها في كثير من كلامها عن احكام القوانين المطردة، والضوابط المستمرة وجريانها في كثير من منثورها على طريق منظومها وإن لم يكن بها حاجة. وتركها لما هو أولى في مراميها، ولا يعد ذلك قليلا في كلامها ولا ضعيفا.

والثاني: أن من شأنها الاستغناء ببعض الألفاظ عما يرادفها أو يقاربها، ولا يعد ذلك اختلافا ولا اضطرابا إذا كان المعنى المقصود على استقامة.

والكافي من ذلك نزول القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف. وفي هذا المعنى من الأحاديث وكلام السلف العارفين بالقرآن كثير.

وقد استمر أهل القراءات على أن يعملوا بالروايات التى صحت عندهم مما وافق المصحف، وأنهم فى ذلك قارئون للقرآن من غير شك ولا إشكال، وإن كانت بين القراءتين ما يعده الناظر ببادىء الرأي اختلافا في المعنى، لأن معنى الكلام من أوله إلى آخره على استقامة لا تفاوت فيه بحسب مقصود الخطاب. (كمالك وملك)[٢] (وما يخدعون الا أنفسهم) (وما يخادعون إلا أنفسهم)[٣] (لنُبوأنّهم من الجنة غرفا) (لنثوينهم من الجنة غرفا)[٤] إلى كثير من هذا، لأن ذلك لا تفاوت فيه بحسب فهم ما أريد من الخطاب.

وهذا كان عادة العرب. ألا



الدكتور/ ياسين بن ناصر الخطيب
- جامعة ام القرى -

ترى ما حكى ابن جني عن عيسى بن عمر وحكى عن غيره أيضا، قال، سمعت ذا الرمة ينشد:

وظاهر لها من يابس الشخت واستعن
عليها الصبا واجعل يديك لها ستراً

فقلت: أنشدتني من بائس: فقال: يابس وبائس واحد، فأنت ترى ذا الرمة لم يعبأ بالاختلاف بين البؤس واليبس، لما كان معنى البيت قائماً على الوجهين وصواباً على كلتا الطريقتين.

وقد قال في رواية أبي العباس الأحول: البؤس واليبس واحد، يعني بحسب قصد الكلام لا بحسب تفسير اللغة. انتهى كلام الشاطبي ثم ذكر كلاما طويلا جميلا في هذا المقام تركناه طلبا للاختصار.

ونعود إلى الفرح والسرور لنرى ما الفرق بينهما؟

من أحسن من ذكر الفرق بين الكلمتين: الفرح والسرور، المناوي عند قوله {صلى الله عليه وسلم} «إن في الجنة داراً يقال لها الفرح» فقال: الفرق بين الفرح والسرور، أن السرور انشراح الصدر بلذة فيها طمأنينة الصدر عاجلا أو آجلا.

والفرح. انشراح الصدر بلذة عاجلة غير آجلة وذلك في الملذات البدنية الدنيوية، وقد يسمى الفرح سروراً وعكسه لكن على نظر من لا يعتبر الحقائق، ويتصور أحدها بصورة الأخرى[٥].

وانظر الى كلام ابي هلال في الفروق[٦] حيث قال: الفرق بين السرور والفرح. أن السرور لا يكون إلا بما هو نفع أو لذة على الحقيقة، وقد يكون الفرح بما ليس ينفع ولا لذة كفرح الصبي بالرقص والعَدْو والسباحة وغير ذلك مما يتعبه ويؤذيه ولا يسمى ذلك سروراً ألا ترى أنك تقول الصبيان يفرحون بالسباحة والرقص.. ولا تقول يسرون بذلك.

ولكي يزيد الأمر وضوحا جاء أبو هلال العسكري بنقيض الكلمات فقال: ونقيض السرور: الحزن. ومعلوم أن الحزن يكون بالمرازي - جمع رزية - فينبغي أن يكون السرور بالفوائد وما يجرى مجراها من الملاذ.

ونقيض الفرح: الغم، وقد يغتم الانسان بضرر يتوهمه من غير أن يكون له حقيقة وكذلك يفرح بما لا حقيقة له...

ويقول الفيومي[٧]: الفرح لذة القلب بنيل ما يشتهي.

والقرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بالآيات التى تبين الفرح والسرور، وقد يفهم الانسان معنى الآيات إذا فهم معنى كل من الكلمتين: الفرح والسرور على حقيقتها.

يقول الله تعالى {فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقالوا: لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون}[٨].

فأنت ترى أن هؤلاء فرحوا بلذة عاجلة لخوفهم من الموت في الجهاد فكانت النتيجة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا.

وقال تعالى {فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون. فَقُطِعَ دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين}[٩].

فهؤلاء ذكّرهم قومهم فعملوا به ثم لما نسوا ما ذُكروا به انحرفوا عن الهدى ففتح الله عليهم الدنيا - أبواب كل شيء - ففرحوا بها فأخذهم الله بغتة، لأن فرحهم لم يكن إلا بتلك الدنيا التي فتحها الله عليهم استدراجا كما هي مفتوحة اليوم على الكافرين.

ويقول عز وجل {الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وفرحوا بالحياة الدنيا، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع}[١٠].

فهذا الفرح فرح في غير محله إذ هو فرح بما في الحياة الدنيا من زخارف ومتاع زائل، ولقد نصح قوم قارون نصحوا قارون، فقالوا له عندما رأوه يتكبر

عليهم ويتعالى على نبي الله موسى عليه السلام، بسبب المال الذى تنوء بحمله العصبة أولو القوة {إذ قال له قومه لا تفرح، إن الله لا يحب الفرحين}[١١].

ويتحدث الله تعالى عن الكفار ويبين ما في قلوبهم من غل على المؤمنين ثم يقول {إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها}[١٢].

فهذا الفرح وبال عليهم، لكنه لما كان لذة لقلوبهم عاجلا سمي فرحاً.

وأما الآيات التي فيها ذكر للسرور فمنها قوله تعالى: {إنَّا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا. فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا}[١٣].

فهؤلاء الذين بهذه الصفة يلقون يوم القيامة هذا الجزاء الوافر العظيم. فهو سرور حقيقى بنفع حقيقي.

وكذلك قوله تعالى {فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسروراً}[١٤].

وقد يأتي السرور على أساس لذة عاجلة كقوله تعالى {وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا، إنه كان في أهله مسروراً}[١٥].

فهو كان مسروراً بمتاع الدنيا الذي كان عنده وعند أهله فهو سرور بعاجل الدنيا لا ينفع يوم القيامة، وقد جاء أيضا في مقابلة سرور المؤمن.

فالسرور إذن - كما قلنا - انشراح الصدر بلذة فيها طمأنينة الصدر عاجلا أو آجلا لكن الفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة غير آجلة. لكن كما قلنا فان القرآن الكريم يسير على طريقة العرب في تخاطبهم فهو قد يضع الكلمة مكان الأخرى لعلة قد تظهر للناس وقد تخفى.

فمثلا قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون[١٦] فهذا الفرح الذى هو بسبب فضل الله ورحمته فرح حقيقي في الدنيا والآخرة، ولكنه لما جاء عند بيان ما ينال الكفار من عذاب بسبب كفرهم حيث سبق هذه الآية قوله تعالى: {قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون}[١٧].

ناسب أن يكون فرح المؤمنين حقيقياً وفرح الكافرين صوريا - عاجلا -

ومعلوم أن القرآن الكريم يستعمل إحدى الكلمتين مكان الاخرى كما ذكرنا في كلمة سرور، وكذلك قوله سبحانه عن الشهداء {فرحين بما آتاهم الله من فضله}[١٨] فهو فرح حقيقي.. والله اعلم.

الهوامش:

(١) الموافقات للامام الشاطبي. أبي إسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي/ ت ٧٩٠هـ ٢/ ٥٦.

(٢) الفاتحة.

(٣) البقرة الآية/٩.

(٤) العنكبوت الآية/ ٥٨.

(٥) نقله الشبراملسي في حاشيته على نهاية المحتاج ٦/ ٣٦٩.

(٦) ص ٢١٩.

(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي للعلامة احمد بن محمد بن على المقري الفيومي ت ٧٧٠هـ ٢/ ١٢٠ مادة فرح.

(٨) التوبة الآية/ ٨١ - ٨٢.

(٩) الانعام الآية/ ٤٤.

(١٠) الرعد الآية/ ٢٦.

(١١) القصص الاية/ ٧٦.

(١٢) آل عمران الآية/ ١٢٠.

(١٣) الانسان الآيتان ١٠ - ١١.

(١٤) الانشقاق الآيات ٧ - ٩.

(١٥) الإنشقاق الآيات ١٠ - ١٣.

(١٦) يونس الآية / ٥٨.

(١٧) يونس الآية / ٥٠.

(١٨) آل عمران الآية/ ١٧٠.





مجلة الشرق تتخطى عامها الثاني والعشرين



ـ غلاف العدد الأول لمجلة «الشرق».

هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبدا.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذي تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر ـ فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.

في مثل هذا الشهر جمادى الأولى من العام ١٣٩٨هـ، وتحديدا في اليوم السابع والعشرين منه.. الموافق الرابع من مايو ١٩٧٨م ـ صدر العدد الأول من الزميلة مجلة «الشرق» وهي مجلة أسبوعية سياسية اجتماعية تصدر عن الشركة الشرقية للطباعة والصحافة والاعلام بالمملكة العربية السعودية ـ الدمام.

ومجلة «الشرق» بدأت بالحماس لفكرة إصدار مطبوعة صحفية تبرز الوجه الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، وتساهم في دفع عجلة التطور والتنمية بالمملكة ومؤازرة سياستها التى ترتكز على الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وإزكاء روح التضامن الإسلامي في العالم الاسلامي.

ولادخال الفكرة حيز التنفيذ، اجتمع رهط من رجالات المنطقة منهم الشيخ تركي العطيشان (يرحمه الله) والشيخ سعيد بن علي غدران، والشيخ سعد المعجل والشيخ احمد بن عبد الرحمن الغامدي، والشيخ زيد المليحي، والشيخ احمد عوض الغامدي.. وغيرهم ورصدوا الأموال اللازمة لإصدار هذه المطبوعة.

وبعد استصدار موافقة وزارة الإعلام أشرق صبح مجلة «الشرق» وصدر العدد الأول منها في التاريخ آنف الذكر والذى كان «أول الغيث» حيث توالت الأعداد أسبوعيا.. تسير بخطى واثقة بين زميلاتها من المجلات والصحف السعودية.

وعلى طريق التطور ـ وبعد اختيار معالي الأستاذ/ زايد بن فهد السكيني لرئاسة مجلس إدارة الشركة الذى رسم خطة تطويرية طموحة تشمل الإدارة والمطابع والتحرير، وزيادة رأس المال ـ استحدثت الشركة مطابع جديدة متطورة، وأدخل الحاسوب في أعمال الادارة والتحرير، وتم توظيف كفاءات سعودية في الادارة والتحرير مما أعطى المجلة ثوبا جديدا، وارتفع بالمضمون الاعلامي.

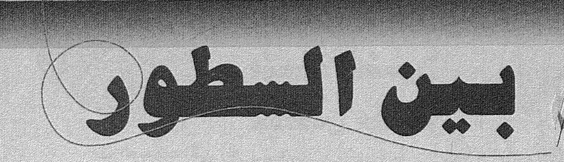


ـ الدكتور سعيد بن عطية أبو عالي
ـ رئيس تحرير مجلة الشرق.

وقد تعاقب على رئاسة تحرير مجلة «الشرق» كفاءات وطنية كان لكل منهم أثره في المجلة.. وان كان لكل منهم أسلوبه الخاص إلا أنهم التقوا جميعا على هدف النهوض بها ووضعها في المكان اللائق بها بين مجلات وصحف المملكة.

والمنهل بكل منسوبيها تزف التهنئة إلى كل منسوبي الزميلة «الشرق» بمناسبة مرور اثنين وعشرين عاما.. راجين لها دوام التقدم والازدهار.

اعداد: يعقوب السيد حسنين



بالإذن يا خليل (٣):

- ان الصراع بين انصار المدرسة التى تعتقد أن مصدر الشعر هو العقل وانصار المدرسة التى تزعم ان الشعرْ مصدره القلب سوف يحسم لصالح المدرسة التى تقول ان شعر الحداثة مصدره الجهازالهضمي.
- شعر الحداثة سلاح ذو حدين كلاهما موجه لقلب المتلقى.
- شعر الحداثة عمل عدوانى موجه ضد الآخرين.
- شاعر الحداثة شاعر ما لم يتكلم.
- امتلأ الشعر بالزحافات والعلل حتى اصبح زحافاً وعلة بهما بعض الشعر.
- الشعر اغنية يسلى بها الشاعر وحدته عندما يكون في جمع من الناس.
- تعميماً للفائدة لم ينشر شعره في ديوان.
- حق قول شعر الحداثة مكفول لكل مجنون «منظمات حقوق الانسان».
- الشاعر الحداثى هو ذلك الرجل منكوش الشعر.
- المجنون هو الوحيد القادر على فهم شعر الحداثة لانه هو الذى يبدعه.
- «اخرس وإلا قذفت بك من اعلى السلم» بيت شعر انجليزى معرّب.

الطبيب النفسي الجيد هو الذى يقول للاعور «يا أعور» في عينه العوراء التى لا يسمع بها بعد أن يكون قد امّن لنفسه طريق الهروب.

قسمة ضيزى:

امتطيت جواد القوافي العجوز وامسكت بسيف العروض الخشب/ وقلت انا شاعر قالوا لن تجوز صراطاً تساّقط عليك فيه الشهب/ اتقول شعراً في عيد النيروز لم نعد نحفل بهذا اللعب/ نحن لا نعشق سوى الابريز ويضيع عمرنا في هذا الطلب/ نحن لا نشرب سوى النبيذ ويلعق شاعرنا الحبب/ لن تستطيع بنا أن تلوذ فامش قبل ان يصيبنا الغضب/ لن تستطيع بنا ان تعود فامش قبل ان يصيبك العطب/ ليس للشاعر عندنا من نفوذ وان لبس ثوباً موشّى بالقصب/ فلتذبح العجل الحنيذ وان لم تفعل فاجمع الحطب/ افضل من شعر لن يفوز بدرهم وان مدحت اغنى العرب/ قلت انا اقرض الشعر العزيز قالوا انت شاعر بالتعب/ انا اتغزل في جمال الفيروز قالوا انت شيء يثير العجب/ قلت انا شاعر قالوا (أراجوز) يضحك منك الناس بلا سبب.

أمة شاعرة:

يقول المثل العامى «كله عند العرب صابون» كناية عن ان كل شيء عند العرب شعر فالصابون يغسل الادران والشعر يغسل الاحزان.

بالاذن يا خليل (٤):

- استدراك على الشيخ الجليل الخليل بن احمد الفراهيدي.
- عمود الشعر العربي تحول مع الحداثة الى خازوق الشعر العربي.
- الشاعر الحداثى هو الذى يتكلم عن الماء الجاف والهواء المكعب واريج الاسمنت المسلح.
- الشاعر الحداثى ليس مزدوج الشخصية وانما مربعها.
- لا يعرف الشعر الا من يكابده.. ولا الرواية الا

د. عبدالغني عبدالحميد رجب
- مصــر -

من يعانيها» قارىء يعاني من قراءة الشعر الحديث والرواية الحديثة.

- الشعر الحداثي ضرورة وانا ادرى لماذا: لكي يزجى الشعراء وقت فراغهم ولكي يتكسب الشعراء من الشعر ولكي يجد باعة البطاطا المشوية أوراقاً يلفونها بها.

- من الماضى لم تكن هناك مشكلة فقد كان هناك امير واحد للشعر اما الآن فهناك الف امير، وأمير لكن بلا إمارة.

- الشعر الحداثى مملوء بالعواطف .. التى ليس لها محل من الاعراب.

- القصيدة الحداثية تنمو من داخلها .. نموا شيطانيا سرطانيا.

- الشعر الحداثي يجمع تهور الشباب .. مع عجز الشيوخ.

- الشعر الحداثى متطور عن الشعر القديم بمليون سنة قبل الميلاد.

- عندما شرح شاعر الحداثة قصيدته وجدتها اصبحت اكثر غموضاً عن ذى قبل.

قراءة جديدة في التراث:

- ان بروميثيوس سرق النار لكى يشعل سيجاره.

- ان ارخميدس خرج من الحمام عاريا يصيح «وجدتها وجدتها» فأصيب بنزلة برد حادة.

- تمكن بافلوف من تعليم الكلب ان يفرز لعابا عند سماع الجرس هل يمكنه ان يعلم الجرس افراز اللعاب عند سماع نباح الكلب. هنا تكمن العبقرية الحقيقية.

- اذا كنا قد انحدرنا من سلالة القرود كما يدعى داروين فلماذا نحاول الصعود اليها مرة اخرى؟

- انك تستطيع ان تصبح فيلسوفاً كسقراط اذا كنت تعيساً في زواجك مثله.

- هل سقطت التفاحة على رأس نيوتن؟ لماذا لم ياكلها ذلك الاحمق بدلا من ان يصدع رؤوسنا بما اسماه الجاذبية الارضية، اكيد ان الأمر سيختلف لو سقط حجر على رأسه بدل التفاحة.

- كيف كانت الارض تجتذب الاشياء قبل اختراع الجاذبية الارضية على يد المدعو نيوتن؟.

- كيف كان يحدث التطور قبل اختراعه على يد السيد داروين؟ ان نظرية التطور ستظل نظرية ما لم تثبت عملياً وثبوتها يتمثل في ايجاد الحلقة المفقودة بين القرد والانسان أما نظرية التدهور فهى ثابتة علميا فهناك دائماً الحلقة الموجوده بين الانسان والقرد.

- تحذير لفرويد: تدخين الغليون يؤدى الى سرطان الفك.

- الافعى هيدرا هل هى زوجة هرقل والتى كلما هشم لها رأساً نما مكانه رأسان.

- هل ما زال سيزيف يحمل الصخره وهل مازال بروميثيوس ينهش كبده، اشك في ذلك.

- من يبيعنى بكبدى السليمة كبداً ذات قروح ويأخذ فرق السعر.

- انا وقبلى الطوفان.

- إن غدا لناظره بعيد اذا كان الناظر يتمتع ببعد نظر.

- ثبت ان البعير هو الذى قصم ظهر القشة علميا.

- اعلن صاحب الشرطة ان الفردوس المفقود جارى البحث عنه.

- من الذى يعلق في رقبة الجرس قطاً؟

- اذا اتتك مذمتى من كامل فهى الشهاده لي بأنى ناقص.

- كان حل اللغز في اسطورة اوديب هو الانسان، الآن حل اللغز هو الكومبيوتر.

- لبست جلد النمر لاعدائى.. لكنه كان قصيراً جداً.

- كل القصص الخالده كتبها اناس آخرون - حتى قصة المرأة التى اكلت ذراع زوجها.

- شهرزاد هي اول طبيب نفسانى في العالم فقد تمكنت من علاج شهريار ومنعه من قتل النساء.

- ماذا كان يفعل المريض النفسانى قبل اختراع العقد النفسية على يد المدعو فرويد؟.

- تقع جزائر واق الواق في كتاب الف ليلة وليلة.

- في العصر الحاضر لا يمكنك ان تقوّم العود الا بعد تقويم ظله اولا.

Jumada 1-2, 1420 H -- Sep -- Oct. 1999 C

الحوار بين الأديان
(رؤية إسلامية لتصحيح المفهوم)

لقد عرفت البشرية في تاريخها الطويل مراحل ومناحي متعددة في كل مرحلة تصل بها الى نتائج، منها المأساوى الدموى، ومنها ما كان يمثل فترات استرخاء كونى، باعتبار أن تاريخ البشرية - كما حاول بعض فلاسفة التاريخ أن يصفه - «بأنه تاريخ بحيرات دموية مع فترة استراحة منذ قابيل وهابيل».

فإذا ما تبينا المفهوم الروحى الخالد نجده يختفى أو يتوارى ليظهر من جديد، ولهذا وفيما يعنينا القرن العشرين، قد شاهد عصرنا مراحل دموية رهيبة وفترات استراحة محدودة، الحرب العالمية الأولى بدمويتها، والحرب العالمية الثانية بنهايتها النووية المرعبة، كما يعرف الجميع ذلك.

والآن وقد تغيرت طبيعة العلاقات بين الدول على ضوء ما حدث في السنوات الأخيرة من تفكك كيانات عظمى، وتراجع كيانات عظمى، وقد حاول البعض أن يصل به الوصف الى حد القول «أن عالمنا الآن يتحكم فيه القطب الأوحد».

هذه مقدمة نراها ضرورية، ولابد منها نذكرها في بداية سطورنا، والذى يهمنا ونركز عليه في طرحنا هذا ما رأيناه ولاحظناه في السنوات الأخيرة من محاولات دائبة لتبنى الحوار بدلا من المواجهات الدموية بين الدول وبين بعضها، وهل هذا جاء نتيجة أن الإنسان أضحى يخشى عاقبة التدميرات للأسلحة المطلقة نووية كانت أم هيدروجينية أم بيولوجية إلى آخره؟!.

أم هل مل الإنسان في النهاية أن يحيا في الوقت الضائع، أن يركز على ما ينفعه بحق، وينفع الناس من حيث المصالح بمعنى (الاقتصاد) وإعطاء أولوية في نفس الآن لمحاولة احتواء ما أمكن من النزاعات والصراعات؟!.

إن الباقى للإنسانية وهى تنهى القرن العشرين وتدخل الى القرن الواحد والعشرين هو الحوار، الحوار الجاد الواعي، الحوار الذى يجب أن يتمتع بمصداقية من منظور القيم الروحية والانسانية المتوارثة.

وإذا أردنا أن نتحدث عن هذا الحوار وهل هو حوار أحادى أم متعدد؟ وماذا يقصد بحوار دولى أي بين الدول؟ نقول: الحوار الآن متعدد، وليس أحادياً، بل متشعب، فهناك الحوار بالمفهوم السياسى والدبلوماسى، ويحتكم فيه لمعيارية المعاهدات والمواثيق الدولية و«الشاطر» فيه له الغلبة، وهناك حوار آخر وهو حوار اتخذ كمعيارية له، «الموضوعية العلمية» بمعنى أنه حوار علمى فعال ينظر الى القضايا المطروحة نظرة موضوعية مالها وما عليها، ويحتكم أساساً للواقع المعاصر الكائن ليصفه، ويستنطقه كتوطئة أو بداية للتعرف على أسبابه وعلاقاته، ليصل في النهاية الى استنتاج يجسد الممكن ما أمكن تمشياً مع متطلبات الواقع، فلا سائد فيه ولا مسود، ولا خلفيات، أى أن الشعوب في الواقع تنتمى الى حضارات وثقافات متعددة، ومن الطبيعى جداً أن توجد معاً لما فيه خيرية ونفع ومصلحة الجميع، وهنا يقترب الحوار العلمى الموضوعى من الحوار الأصيل.

ونأخذ الإسلام هنا كمثال حينما جعل غاية التعايش والتفاهم بين الشعوب والقبائل هو التعارف والتفاهم لا التقاتل والتباغض.

قال سبحانه وتعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير} (الحجرات/ ١٣).

ونضع الحوار السياسى والاقتصادي جانباً ونتركه للساسة والدبلوماسيين فهذا مجالهم لكى يطرحوا القضايا على مستوى القوانين الدولية والمنظمات المعنية.

كما نترك جانباً الحوار العلمى البحت بين الحضارات والثقافات ولا داعى لأن نركز عليه الآن، لأن هذا يتطلب منا أحاديث وكتابات متعددة.

ونكتفى في هذه السطور بالنوع الثالث من الحوارات وهو الحوار الذى ينطلق من منظور روحي،

اسماء أبو بكر محمد
- مصر -



ويحتكم إليه في النهاية وبخاصة بين الأديان السماوية الكبرى.

هذا الحوار حالياً كما نلاحظ من اللقاءات التى تتم بين رجال الدين من هنا وهناك، ومحاولات التقريب بين وجهات النظر المختلفة، ونأمل أن تشكل هذه الحوارات أرضية تخفف من حدة المنازعات والصراعات الكونية التى نشهدها.

وبلا شك ان مرحلة الحوار حالياً والتى بدأت تشق طريقها إلى الكون كبديل للصراعات والمنازعات الدموية، وتزكية هذا البديل بالتفاهم الواعى والحد من التسلح بأسلحة الدمار الشامل، أو الغائها تماماً، كما نلاحظ الآن من محاولات، والتساؤل المطروح في الساحة الدولية حول التجارب النووية التى تجرى في بعض المناطق وما تشكل من قضايا بين الدول كانت موضع أخذ ورد مؤخراً.

وبكل موضوعية تأتى قضية النية في البداية، ما دامت البشرية اتخذت من الحوار أو العودة إلى الشعار الأسمى للإنسان المتسامى بإنسانيته فلابد من المصارحة والمصداقية، وهذا ما نأمله ونتمناه.

وكل إنسان موضوعى يرى في موقف أمتنا ودعوتها الى تصفية اسلحة الدمار الشامل في المنطقة أنه يشكل في حد ذاته مصداقية للحوار.

ونأمل من الدول العظمى حينما تطرح قضية تبنى التصفية الشاملة لقوى التدمير النووى أن تكون من أوائل الدول التى تستجيب وتنفذ في موضوعية رافعة قيم التسامح والمساواة والعدالة.

إن قضية الحوارات بين الأديان الكبرى ستظل قائمة، ليس هناك تناقض في الوحدة وميادينها الخالدة، وانما هناك تناقض بين الفئات البشرية التى زعمت أو ارادت أن توظف هذه المبادىء الوحدوية لصالحها ومصالحها الخاصة، والتاريخ ومراحله المختلفة على ذلك شهيد.

لهذا نرى أنه قد آن الأوان لأن نركز في هذه الحوارات على إعادة النظر في توجهات النيات البشرية التى تتزيا بهذه المبادىء الخالدة، أن تكون نعم الأرضية الحقيقية لتعميق التفاهم والتعارف بين الشعوب والقبائل، ومحاربة جميع أنواع الزيغ والتعصب واليأس، وإلباس المصالح لباس التقديس، ومن ثم فحينما وضع القرآن الكريم معيارية لالتقاء الشعوب والقبائل من أجل التفاهم والتعارف، أكد على أهل الكتاب الدعوة الى كلمة سواء.

قال سبحانه وتعالى: {قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} (آل عمران/ ٦٤).

اذن ما نريده الحق والخير، ما نريده كلمة سواء، لا سائد فيها ولا مسود، وهذا ما نطلبه ونريده ونركز عليه، ونستسمح من يخالفنا في الرأى ولا يحترم الرأى الآخر، والحقيقة لا تكون ولا تتواجد ولا تصح أبداً إلا من احترام الرأى الآخر، فالإسلام دائماً وأبداً هو دين القلب المفتوح، والفكر المفتوح، لا مكان فيه للتعصب أو الإنغلاق.

ونحن نقر بوجود تيارات متحرفة ضالة، وهذه التيارات المنحرفة عن الاسلام لها خلفيات تاريخية وسياسية ومذهبية في عصور الاسلام المختلفة، والمعيار الذى يقاس به مدى انحراف أو عدم انحراف هذه الاتجاهات كان دائماً متمثلا في الاساءة الى مصدرى الاسلام وهما: القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، والاسلام برىء كل البراءة من هذه التيارات الهدامة.

وقد أقر الغرب قبل الشرق أن الاوساط العلمية في عصر ازدهار الحضارة الاسلامية قد شهدت تسامحاً منقطع النظير، وأن النقاش العلمى الموضوعى كان هو اساس التعامل بين أهل الفكر بوجه عام.

وموقف الاسلام من حرية الفكر أو حرية البحث العلمى أو حرية الاعتقاد موقف متسامح إلى أبعد الحدود، ولكن الإسلام في الوقت نفسه حريص كل الحرص على حماية معتقدات الناس ومقدساتهم وقيمهم من أى اعتداء عليها، فمثل هذا الاعتداء يمثل اعتداء على حقوق الإنسان فرداً أو جماعة، فكل إنسان له أن يعتقد لنفسه ما يشاء، وليس لأحد سلطان عليه في ذلك، ولكن الأمر المحظور اسلامياً هو الترويج لأفكار هدامة من شأنها أن تثير البلبلة والقلق والإضطراب بين الناس، وتؤدى الى اثارة الفتنة، وتعود بالضرر البالغ على النظام العام للمجتمع.

إننا نرى أن البشرية الآن تسير في طريق الحوار، ومحاولة تجاوز المنازعات المهلكة، بالحوار والحوار فقط يمكن لنا أن نضيف ونعمر ونبنى، ولكن يشترط النية والمصداقية، يشترط القول مع العمل الفعال حتى نتحاشى مقت الله وغضبه علينا وذلك حينما خاطب كل المؤمنين في قوله سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا لمَ تقولون مالا تفعلون، كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا مالاتفعلون} (الصف/ ٢ـ ٣).

والله سبحانه وتعالى هنا خص المؤمنين بالخطاب فهل لنا أن نعي ذلك ونفهمه؟!.

نظرة في عالم الحب

الحب .. العشق .. الغرام .. معبودات إنسان هذا العصر.؟ هل هي مفردات ذات معنى واحد تغني عنها جميعا كلمة واحدة هي كلمة الجنس.؟ هل يمكن أن يكون ما نعتبره من دلائل الإنسانية والشاعرية هو نفسه دليل الحيوانية والانحطاط.؟ وهل يشترط الحب للزواج.؟!!

لماذا ينتهي كل حب بخيانة أو فتور، وهل يعني ذلك أن الحب برمته سراب؟؟.

اسئلة تتردد على ذهن كل إنسان يعيش تناقضات عصره بين ما يعرض على شاشات التلفاز والسينما، وفي كلمات الأغاني، وبين تعاليم دينه، إن كان له دين أو تقاليده إن كان من أهل التقاليد.

ولنتمكن من الإجابة عن هذه الأسئلة يتوجب علينا الطيران لعالم الخيال، الى حياة لا يسود فيها إلا الحب والعشق والغرام.. قد تبدو لنا هذه الحياة للوهلة الأولى قمة المثالية ولكننا لو دققنا النظر قليلا لوجدنا عجبا عجابا.. لوجدنا شابا يعشق فتاة ويستعد لفدائها بروحه، وتراه يسير في الطرقات ولهانا سكرانا من أثر «سحر عينيها» وما يلبث أن يقطف الثمرة المحرمة ليكتشف بعد شهر أو اثنين أن حبه كان سرابا وأنه قد وقع ضحية خيانة أو سوء اختيار، ليعجل في البحث عن حب جديد.

ولوجدنا الزواج والأسرة المستقرة أندر من كل نادر..

فالحب كائن متقلب.. لا يرسو على حال ولا يقر على قرار.

ولو فرضنا أن تم الزواج في ذلك المجتمع واستمر معه اشتعال نار الحب (رغم أن هذا مستحيل)، فمن ذا الذي يعذب نفسه من غرامه لزوجته والتأرق لوصلها وهجرها وهي أمامه ليل نهار، لو فرضنا جدلا علاقة كهذه لرأينا الغيرة الجامحة والحزن الدفين والاضطراب المستمر، ولصار لدينا شعب من ضحايا حرب القلوب.. لا يقومون بواجب ولا يبدعون في عمل .. ولصار الانتحار الحل الأسهل لكل صدمة عاطفية وعلاقة فاشلة.. بالاضافة إلى الجنس المتأجج في النفوس والذي بسببه تدمر الأسرة ويضيع الأطفال.

نور البار
- جدة -

هذا هو ما يتسبب به الحب المشتعل في المجتمع.. هذا هو ما يسببه حب النظرة الأولى الذي هو بعبارة أخرى شهوة من النظرة الأولى.

ولكن هذا لا يعنى أن الحب كلمة بلا معنى وأنه يمكن الغاؤها من قواميس اللغة.. فالحب كلمة خالدة ذكرت في القرآن الكريم لاثبات علاقة خالدة هي علاقة العبد بربه «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}.. والعلاقة الخالدة تحتاج أطرافا خالدة.. وهي روح الإنسان، ورحمة الرحمن.. فهنا تستمر العلاقة بين الأصل والفرع، بين البعض والكل إلى مالا نهاية.

أما العلاقات الإنسانية الأخرى بين أم وطفل.. بين صديق وصديق.. وبين زوج وزوجة، فهي مزيج من العطف والتآخي والمودة والرحمة.. فالعلاقة بين أي طرفين لا تستمر إلا بهذه المشاعر ولهذا لم يذكر القرآن العشق بين الزوجين مرة واحدة بل ذكر المودة والرحمة والسكن، ولا يمنع هذا ما نراه أيام الخطبة من حب جياش هو بمثابة هدية من الله للعروسين ليقدرا على التعايش سويا مع اختلاف بيئاتهما.

ولم يذكر القرآن الكريم كذلك الغرام بين الأصدقاء قط بل ذكر مكانه التآخي بما يشمله من إيثار ووفاء وحفظ عهد.. وهذا لا يناقض ذكر رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله (رجلان تحابا في الله)، فلفظة الحب هنا لا تعني ذلك الغرام الذي يهز كيان الإنسان بل يعني الميل الطبيعي بين فردين يساندان بعضهما في الطريق إلى الله.

كما أن القرآن لم يذكر الحب بين الأم وابنها بل ذكر التواضع والإحسان واللين والبر دون أن ينفي ذلك قوة هذه العلاقة.

وأخيرا.. أفلا ترون معي أننا نظلم كثيرا أرقى كلمة في الوجود تلك التي بسببها جئنا جميعا الى هذا الكون.

المـــرأة العاملـة

مع تطور المجتمعات وارتقاد التعليم ونهضة الإصلاح الفكري والنمو الثقافي، ونهضت معظم المجتمعات واستفادت من ازدهار العلم وتطور التربية وجاء جيل متعلم مثقف يساهم في بناء مجتمعه، جيل يشمل كفاءة الرجل والمرأة، ينسق جهودهما لما هو خير وتستمر كفاءتهما الفكرية والثقافية للارتقاء بالمجتمعات وازدهارها.

هذا ما نلمسه فعلا في هذه النهضة الوثابة والنجاح الواضح لقطاع التعليم في بلادنا وفي العالم.. ووجود هذه الطاقة البشرية التى نمت نتيجة ذلك وكوَّنت منجزات حضارية ومكاسب شخصية للمرأة هي من احق حقوقها نتيجة للدور المتبادل الفعَّال بين الفرد ومجتمعه، عطاء متكافئاً متوقعاً أثرى كلا الجانبين المرأة والرجل.

وأركز هنا وفي هذا المجال على تعلم المرأة وخروجها للعمل .. وتلك الدعامة النفسية التي تتميز بها المرأة الناجحة العاملة التي تسعد بمردود اجتماعي ونفسي مادي لجهدها وخدمتها للمجتمع.

لا شك انها صورة رائعة اذا خلت من الشوائب وبعض الطفيليات اذا جاز هذا التعبير.

فليس العيب في العمل، فالمرأة قد ساهمت بالأعمال اللائقة ونجحت نجاحاً باهراً منذ عهد الرسول {صلى الله عليه وسلم} وعلى مر العصور، اقول إن هذا الواقع واقع جميل يؤكد كفاءة المرأة وقدرتها المميزة على بناء نفسها وإثراء مجتمعها.

إنما المؤلم فعلا ان تتحول هذه الصورة الرائعة الى مستنقع للمشاكل.. وبؤرة سيئة للخلافات الزوجية وغير الزوجية.. فمن الأزواج والآباء من يساهم بتصرفاته وجشعه على خلق نكسة لنجاح المرأة! عندما يهيء له فكره القاصر الاستيلاء على مكتسبات المرأة أو القاء معظم المسؤولية المادية عليها.

المرأة في اعتقادي: تسعد بانضوائها تحت جناح زوجها وإن تكن اغنى منه مادة أو أوسع منه ثراء أو متساوية معه، فالمرأة تعودت وهذا لا يعيبها في شيء، تعودت الحماية والرعاية في الأجواء الطبيعية الإسلامية التى اهدتها الأخلاق والمبادىء الشرعية لها.

الرجل الشهم الكريم تسعد به زوجته باذلا النفس والنفيس لإسعادها بدافع الرجولة الحقة والخلق القويم والفطرة العربية والنخوة المتأصلة

هند هرساني
- جدة -

في كل الأفاضل من الرجال.. وهذا السلوك انما هو ترجمة فعلية لمشاعره نحوها.. ومسؤوليته تجاهها.

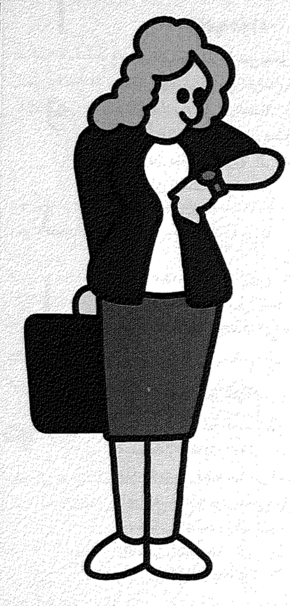
هذا هو الرجل العربي المسلم.. كما عرفناه في آبائنا واجدادنا رحمهم الله تعالى، ونعرفه في كثير من نماذج الرجال اليوم.. بذل وعطاء وحماية ورعاية .. دون مقابل .. حتى تتزوج الفتاة منًا وتنتقل الى بيت كريم .. ورعاية زوج حنون وتغدو امرأة محظوظة تشملها الرعاية الحقة في كل مراحل العمر ومراحل الحياة.. الأب، الأخ الزوج، هؤلاء هم الرجال الذين عرفناهم.

وظاهرة مرضية تفشت لدى بعض الرجال في استنزاف موارد زوجاتهم المالية ومصادرة استقلالهنَّ الذي أقرَّه الدين الحنيف.

ولا اتجاهل مبدأ التوافق الفكري والمادي المسبق بين الزوجين وعلى الظروف الموجبة التى تحض المرأة أو الزوجة بمعنى أدق وتستحث مروءتها في مدِّ يد العون للزوج.

ولكنى أيضاً أركز على سلبيات بعض الأزواج.. واركز اكثر على احساس الزوجة بالسعادة والاكتفاء النفسي عندما يبذل زوجها الكريم كل ما بوسعه مادياً ونفسياً لتوفير السعادة - قدر المستطاع - لأسرته.

إنه احساس رائع دافيء تتشبع بروعته مشاعر المرأة عندما تحس انها تحت رعاية زوج كريم محب، فهذا شرف لها.. يترجم فعلا حب الزوج لزوجته.



إن الوضع الطبيعى من الرجل للمرأة أن يعطيها دوماً وفي كل الأحوال.. ليس لضعف فيها ولكنه تحقيق المحبة وليس لواجب محتم عليه ولكنه تحقيق لمبدأ القوامة التي حددها الشرع.

فأين نحن، هل حققنا نجاحاً أو تميزاً على آبائنا والجيل السابق بما توفر لنا من مادة وخير كثير أم اننا نعاني من خسارة في المبادىء والعرف وتلك العلاقات الحميمة من أجل ماديات قلبت الحقائق وغيرت المثل؟.

أوراق زوجية

١٠١١ ـ أبو عواد:

تحرص المرأة على معرفة الطريق إلى قلب الرجل رغبة في اغرائه ومن ثم السيطرة عليه، لا حبا في ارضائه. وتكون النتيجة غالباً عكسية. بدليل أن معظم المطلقات كنّ يعرفن تماماً الطريق الى قلوب أزواجهن، غير ان الاستثمار كان في الممنوع وبالتالي خسرن الصفقة.

١٠١١ ـ أم عمرو:

عندما يفشل الزواج تعرف أن رجلا وأمرأة فشلا في تكوين زيجه ناجحة، الفشل ليس صفة للمرأة وحدها في هذه الحالة.

١٠١٢ ـ أبو عواد:

«الحب» بلغة الحسابات أصبح شيئا «مستهلكاً» وقيمته الدفترية «صفر» اذا جاز هذا التعبير، فقد حط من قيمته سماسرة العواطف والمشاعر الجاهزه والمتسكعين على أرصفة المراهقة.. وقد تكون لغة الاحترام والتقدير والتضحية ـ ان وجدت ـ اكثر تأثيراً وأبلغ من أي كلمة.

١٠١٢ ـ أم عمرو:

نحن الذين نصنع معانى الكلمات فلو اعطينا كلمة الجد معناها الشامل الصحيح لتحولت إلى نافورة عطاء لا ينفد.

١٠١٣ ـ أبو عواد:

لا تلوموني .. إنّ بعض الزوجات أحياناً تستحق أن تصفع.. لماذا؟ لسبب بسيط جدا.. وهو أنها في نقاشاتها مع زوجها تخرج عن حدود اللياقة الأدبية وتكسر حاجز الاحترام ولا تتورع أن تزجره أو تنهره كما لو كان طفلا صغيرا يعبث بدميته فيكسرها، أو من بقايا العبيد في سرايا والدها الباشا!!

١٠١٣ ـ أم عمرو:

لقد توقفنا منذ زمن عن ضرب الأطفال في المدارس. كيف إذاً نقبل أن يصفع الزوج زوجته؟.

١٠١٤ ـ أبو عواد:

كم هنّ تافهات أؤلئك اللواتى يبالغن في تزوير الوجه والرموش والحواجب والأظافر ويتكلفن في مشيتهن اعتقاداً منهن أن الأنوثة مجرد قشرة ومساحيق وألوان ورائحه بارفان.

١٠١٤ ـ أم عمرو:

المسألة كلها عرض وطلب، فإذا كان المشترى تافها كان البائع اكثر تفاهة.

١٠١٥ ـ أبو عواد:

تتباهى بـ شعر بنت أختها وهي مصلعه!!

١٠١٥ ـ أم عمرو:

واذا لم تتباهى المرأة بشعر بنت أختها قلنا تغار منها. التباهى أخف من الحقد.

١٠١٦ ـ أبو عواد:

عندما تصبح غيرة الزوجة عمياء يضحي قلب الزوج مبصراً..

١٠١٦ ـ أم عمرو:

الغيرة العمياء تنتج من سلوكيات الزوج التى لا تراعى مشاعر زوجته حتى تفقدها



صوابها. على الزوج هنا أن يراجع نفسه قبل أن يلوم زوجته.

١٠١٧ ـ أبو عواد:

يكره الرجل في زوجته لجوءها الى الدموع والبكاء عندما تضع نفسها في موقف أمامه تستحق العتاب الذي قد يصل الى الايلام.. ويتمنى عليها فقط في هذه اللحظة على الأقل لو تمالكت أعصابها واعتذرت عن خطئها لتنهي بذلك الموقف.. بدلا من الدموع والبكاء ثم الانزواء والاعتكاف، وإعمال السنارة في وجهها لحياكه «تكشيره» تزيد بها الطين بله.. ويصبح الخطأ خطأين والجرم جرمين.

١٠١٧ ـ أم عمرو:

ولماذا لا تكون دموع الزوجة تعبيراً عن أسفها وحزنها، ونتركها تغسل قلبها وعقلها بهذه الدموع.

١٠١٨ ـ أبو عواد:

«المادموزيل» ، «الهانم»، «المس» ، «الآنسة»، «السيدة» ، «الليدي» .. تتعدد الأسماء والشّرك واحد.

١٠١٨ ـ أم عمرو:

واذا كانت أسماء آنسة وسيدة وهانم... الخ ، أسماء أخت أو أم أو ابنة هل تصبح جميلة هنا، وهل تعتبر شركاً. اليس للأسماء مدلول واحد.

١٠١٩ ـ أبو عواد:

الأول: متى تنام «حيطة» الرجل؟

الثاني: عندما يستيقظ «ضمير» المرأة.

١٠١٩ ـ أم عمرو:

الحيطة لا تكفل وقاية كاملة، على الزوج أن يختار جيداً ويثق.

١٠٢٠ ـ أبو عواد:

العروس الجاهلة هي التي ترفع سماعة الهاتف لتنقل لأمها أو لصديقتها ـ على الهواء ـ ملاطفات وتذلل عريس الغفلة!! أو توثبات وحش الشاشة مع الاعتذار للفنان ـ فريد شوقي ـ

١٠٢٠ ـ أم عمر:

لا حرج على الجاهلات. الحرج على من يفضلونهن زوجات على غيرهن من المتعلمات خوفاً من عقولهن.

١٠٢١ ـ أبو عواد:

انها أخف من حبة الخردل!! أتدرون من هي؟ تلك التى تسارع لمقابلته وكل معرفتها به مكالمة هاتفية انتهت لتوّها من استقبالها من ساقط!.

١٠٢١ ـ أم عمر:

العلاقات الصحيحة تأخذ مكانها في الضوء والخفافيش وحدها هي التى تعيش في الظلام.

١٠٢٢ ـ أبو عواد:

نؤمن يا سيدتي بكل ما جاء به نبينا الكريم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، وهذا الضلع الاعوج نحرص على التعامل معه برفق ولا نجرؤ على تقويم اعوجاجه حتى لا ينكسر غير أننا نعمل كل ما بوسعنا وباللين أيضا حتى لا يتفاقم اعوجاجه وتصبح الصفة موصوفاً والموصوف صفة فهل تراني على صواب..؟!

١٠٢٢ ـ أم عمر:

النساء شقائق الرجال واذا علمنا المرأة صارت عالمة وحكيمة يستند الى رأيها والى حكمتها. وكلنا نعرف ذلك في امهاتنا فهل امهاتنا من جنس النساء وزوجاتنا من جنس آخر.

رسالة من العقاد إلى السيدة الجميلة

حبيبتي هنومة:

رسالتي إليك عتاب واعتراف معا.. وما أشق العتاب على النفس لأنه مراجعة فيها اتهام وفيها اعتذار، وفيها ابتعاث لأسباب الشقاق والخلاف مما قد يؤدي الى احتدام الخصام فيصير اشد لفحاً وأمضّ إيلاما فيزداد التنائي والجفاء.

أعتب عليك يا حبيبتي أنك لا تصبرين على العتاب فأنت تجفلين منه وتسرعين بالاحتماء بدلالك تارة ويحبي لك تارات ومرات. ولطالما طمأنتك ألا تحزني ولا تخافي من كلمات عتبي وتثريبي.. فَلِمَ تخافين إذن؟ ومِمَّ تخشين؟

تخافين العتاب؟ فلا تخافي
وترجين المآب غدا فئوبي
فديتك هل رأيت فتى محبا
يضن بما رجوت على حبيب
تعالي واطمعي بالصفح مني
أليس الصفح من شيم الأريب
وإن أسلفت لي ذنبا فإني
أحب الله غفار الذنوب
أرى هجريك من غضب عقابا
أكابده وما أنا بالمريب
فإن أنا جدت بالحسنى فإني
أجود بها على قلبي الغضوب

ثقي يا حبيبتي هنومه أنني إن كنت أكره كثرة العتب واللجاج فيه والتماس أوهن الأسباب إليه إلا أنني لا أرضى بالتجني عليّ والادعاء بما لم أقترفه أو تهجس به هواجسي وتستعر به ظنوني.. فالتجني يغري المرء بالشك ويزين له أسباب الإيمان به وكأنها حقائق لا تقبل النقاش أو الارتياب. فأحيانا تقولين إنك جئت إليَّ فلم تجديني رغم الموعد الذى كان بيننا والذى حددناه بساعته ومكانه.. وإنني أدهش لهذا التجني، فالذى أنا على يقين منه أنه لم يحدث أن ضربت لك موعداً لمقابلتي أو زيارتي ثم تغافلت أو شغلني شاغل عنه. لأنه ليس من شاغل لي سواك، ولا حبيب أنا حفيٌّ بلقائه إلاك..

فكيف أسهو، أو كيف أتشاغل عنك؟ إن هذا محض افتراء، بل محض اختلاق.. أنت بهذا تتجنين عليّ، فلماذا التجني وهو يأتي بما لا يشتهي المحبون، ويوصلهم إلى مالا يرغبون الوصول إليه؟

إلام التجني؟ أوشك القلب يبردُ
وكاد معين العذر ينأى وينفد
وأصبح إيمان بحبك دانيا
إلى الشك منه كلُّ ما كان يبعد
هبيني امرءاً في قبلة الوحي قائما
طوال الليالي قانتا يتهجد
رأى قبساً يعتاده ثم أطبقت
عليه ستور فهو لا يتوقد
ونادى ولا من يستجيب نداءه
وضل ولا من في الدياجر يرشد
ألا يعتريه الشك والشك قاتل
ألا يحتويه اليأس واليأس ملحد؟

حبيبتي هنومة:

كان تجنيك عليَّ سببا في سهادي وأرقي، فتجافى جنبي عن وثير الفراش وكأنه رمضاء.. فصار الأرق أخلص أنيس لي.. ولو كان أرقاً لدَيْن أو لقضاء حق أو لضياع عرض لهان الخطب ولكنه أرق الجوى الذى استبد

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -



بشعورى وتصورى، بل واستبد بأمانيّ ومستقبلى الذى أتشوف إليه، أرق سببه تجنيك على ٠٠ وعزت عليّ نفسي٠٠ أنا؟ يتهمنى حبيبى، وصفيّ روحى ونجيّ وجداني؟ عزت عليّ نفسى وكدت من شدة وجدى وضرام الانفعالات التى التهبت بها مشاعرى أن تشرق عيناى بالدموع٠٠ وأنا كما تعلمين رجل قريب دمع العين٠٠ ولكن دموعى حرمتنى جميل العزاء فتحدتنى لأول مرة٠٠ وبكأن قلبى هو الذى أوعز إليها بعصيانى٠٠

ساءلت ذاتى ٠٠ ساءلت روحى ٠٠ أجل، ساءلت: أين الدموع؟

يا غــزير الدمــوع! أين الدمــوع؟
كم تريد البكى ومــا تســتطيع
كـــيف سلواك والفــؤاد بما يُســ
ـليــه في فــاجعــاته مــفـجـوع
لهف نفــســى عليك يـا قلب يـأبى
فــيك إلا الكمــون داء وجـيــع
عــبــراتٌ ، برء الجـوى لو أريقت
وســمـــام حــتى تراق نقــيع

حبيبتي هنومة:

أما الاعتراف فربما كان جانبه أخطر لأنه ألصق بالأسرار ومكامن اللاشعور، ولأن المرء فيه يلزم ذاته فيجسد حياته الباطنة في صورة قد تكون عرضة للمدح أو الذم٠٠ وقبل أن أعترف لك أحب أن أذكرك بأن قد سبق لك أن حاولت إغرائى بالاعتراف فقلت إنك تستطيعين أن تطلعى على ما بصدرى من «الفنجان»! عجبا من ألمعيتك يامىْ٠٠ تقولين:

أتؤمن بالفنجــان! لا ياصــديقــتي
بثــغــرك الفنجــان أصـدق إيمان
إذا هو أعطانى الســعــادة فلتكن
بنوعهــا في الكأس أو سؤر فنجــان
وإن يكن المغــزى هناك خــرافــة
فـثـغـرك صدق في ابتـسام وتبيـان
وفي كــوثري من رضــاب مــعطر
وفي جــوهرى من ثناياه فــتــان

أرأيت إذن يا حبيبتى بأى فنجان أؤمن، ولأى فنجان أعترف؟! ومع ذلك فإنى أزيد اعترافاً، وأزيدك عرفانا:

أعترف بأننى كنت أطمع في أن أجعلك شيئا آخر في العقل والفكر والروح؛ ولكنك كنت تضيقين ذرعاً بما أرسمه لك من منهاج تعليمى وكأننى كنت أكرهكُ على أن تلقى بنفسك في البحر٠٠

وأعترف بأننى كنت مزاجا ربما لم تسمعى عنه من أحد، وهو أننى كنت بين العاشق والأستاذ؛ أحبك وفي نفس الوقت آخذ بيدك لترتفعى إلى سماء فكرى كى تفهمى عنى ما أريد٠٠

وأعترف بأننى كنت على علم بتحركاتك كلها لا يخفى عليّ شيء منها٠٠

وأعترف بأننى كنت أسألك: أوفيَّة لي؟ فكنت أجيب عنك: كلا٠٠

وأعترف بأننى أحيانا كنت ألوم نفسى لأن الخريف عشق الربيع٠٠

وأعترف بأننى وصفت هذا الحب ذات يوم بأنه حب أحمق، وقلت إن افتتاننا بهذه الفتاة الصغيرة هو العجب العجاب٠٠

وأعترف بأن أصدقائى كانوا يعجبون من حبى لك حتى إن بعضهم أسرَّ إليَّ قائلا: كيف تنسجم مع هذه الفتاة الصغيرة؟ كيف تتفاهم مع فتاة لم تحصل إلا على شهادة الابتدائية؟ فكنت أضحك وأقول: وأنا أيضا لم أحصل إلا على شهادة الابتدائية، انتظروا عشر سنوات وسوف تجدونها طه حسين!!

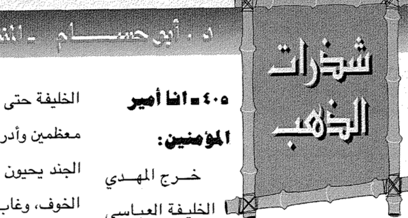
أما اعترافى الأكبر فهو اعترافى بحبك يا هنومه٠٠

إيه يا هنومة:

هذا اعــتــراف يا مليــحـــ
ــة فــاغــفــرى ذنبي المعــاد
أنا إن خــدعــتك فــاعلمى
أن الخــداع إلى نـفــاد
فــخــذى الحــقــيــقــة كلهــا
مــنى على رغم الســداد
قـلبى فــداك، القـلب بيـــ
ـــن يديك مــسلوب القــيــاد
أنت الأعــز من الحــيــا
ة ، ومــا الحــيــاة بلا وداد
بـخلتْ ببــعــض مــرادهـا
ومـنـحــتـنى كل المراد

* * *

هذا اعــتــرافى يا مليــحـــ
ــة لـيـس يـنـقـص أو يـزاد
حـــصنى أبوح بســره
لك وهو مــرفــوع العــمــاد
وأريك كل مــقــاتلى
وأخــون نفــسى في الجــهــاد



٤٠٥ - انا أمير المؤمنين:

خـرج المهـدي الخليفة العباسي إلى النزهة في الصحراء مع نفر من حاشيته، وقد تفرقوا في البادية جماعات، فنزل المطر غزيرا على نحو غير معهود، وركب المهدي فرسه لينجو من الوابل المتقاطر، فجمح به بعيداً عن صحابته، وأطلَّ الخليفة فوجد خيمة يخرج منها دخان، وقد بلله المطر حتى أغرقه، فالتجأ إلى الخيمة فوجد أعرابيا يستدفىء، فتقدم إليه طالباً أن يشركه في الدفء ريثما تجف الثياب، ورحب الأعرابى عن سماحة، وقدم لأمير المؤمنين قعبا مملوءاً باللبن فشرب وحمد الله، ثم قال للأعرابى حين سأله عن حاله: أنا من خدم أمير المؤمنين، فقال الأعرابى: بارك الله في موضعك، ولم يزد، فانتظر المهدى قليلا ثم قال: أترى عليَّ هيئة الخدم؟ فقال الأعرابى لا؟ قال أنا من قواد أمير المؤمنين، فنظر اليه طويلا ثم قال: رحبت بلادك وطاب مرادك، وكأن المهدى أراد أن يدهش الأعرابى فقال له، لست من قادة الجيش، ولكنى أنا أمير المؤمنين، فوقف الأعرابى صائحا: إليك عنى يا شيخ، فإننى أخشى أن تقول بعد ذلك أنا رسول الله ومبعوث من السماء! والله لن تستدفىء معى، هيا، وكان الجند يبحثون عن الخليفة حتى رأوا فرسه أمام الخيمة، فهرعوا إليه معظمين وأدرك الأعرابى خطورة ما قال حين رأى الجند يحيون المهدى بـ (أمير المؤمنين)، فارتعد من الخوف، وغاب الدم عن وجهه، فابتسم المهدى وقال له: لا بأس عليك يا أعرابى فقد أكرمتنى كثيرا، وأمر له بمال وكسوة وسأله عن أولاده وأقاربه، فمنحهم جميعا.

٤٠٦ - القيصر بطرس:

أراد قيصر روسيا الأكبر، أن يقف على صناعة السفن الحربية الكبيرة بنفسه في هولاندا، فأعلن أنه سيقوم بزيارة سياسية لإحدى العواصم الأوربية تستغرق ستة أشهر، ثم لبس لباس التنكر، واتجه الى أكبر مصنع ذاع صيته، وقدم طلباً للالتحاق به عاملا يأخذ أجره اليومى ودأب على العمل في دراية تامة يستوعب بها كل الخبرات الخاصة بالمتطلبات الصناعية لينقلها الى بلاده، وقد شاهد عاملا روسيا يشتغل بالمصنع، فصاحبه برفق، لأنه أحد مواطنيه، وقد لمس من جده وإخلاصه ما قرَّبه إلى نفسه، فسأله بعد أن توثقت صلاتهما الأخوية إلى درجة عالية.

لماذا تركت روسيا، وجئت الى هولاندا؟ فقال صديقه: واسمه ستانمتز: لديّ سرٌ خطير أخشى عاقبة التصريح به، فقال القيصر: أنا صديقك،

وسأحفظ سرك فلا تخف، فقال صاحبه: لقد كنت جنديا في جيش القيصر، وفي ليلة شاتية تقدمت مع رفقتى في مهمة حربية، فرأيت سدا من الثلج يعترضنى، وتثلجت أقدامي فارتميت وأغمى عليَّ، وبعد أن أفقت في الصباح وجدتني وحدى، لأن زملاء الكتيبة قد رحلوا دون أن يعرفوا إغمائى، فخفت أن أرجع الى القائد فيعدنى هاربا، ويحكم عليّ بالإعدام الفورى، فصممت على الهروب، وتركت والدتى وخطيبتى كاترين وحيدتين دون عائل، وأنا في أشد النكد حين أتصور حالتهما المعيشية بعدى.

قال القيصر، سأسافر عن قريب دون خوف، إذ لست هاربا أنتظر الحكم، وسأصحبك معى، لأعرف منزلك في ضواحى العاصمة، وإذا استطعت أن أجد وساطة للعفو عنك فعلت، وإلا حضرت الى منزلك وأمرتك بالعودة ثانية الى هولاندا بعد أن ترى أمك وخطيبتك، فقال: سنانمتز، وإذ ذاك تساعدنى على أن يسافرا معى سرا إلى هولندا لنعيش هنا جميعا في أمان، فأعلن موافقته.

جاء موعد السفر ورحل الصديقان، فاتجه القيصر المتنكر الى منزل صاحبه أولا وشاهد من بؤس الوالدة والخطيبة ما آله، ثم اتفق معه على أن يزوره بعد يومين! فأغلق العامل المسكين منزله عليه، وكمن فيه كيلا يعلم بحضوره أحد.

وبعد يومين حضر القيصر في غير ثياب الامبراطورية، ودقَّ الباب فدخل في هدوء، وقال لصاحبه هيّا، لقد صدر أمر بالعفو عنك، فقال له «ستانمتز» أنت تمزح يا بطرس، ليس الأمر بهذه السهولة، فقال القيصر: صدقنى، فقال: أنا مرتاب.. ومضت لحظة، فسمع العامل ضجة حول المنزل، ونظر من ثقب فوجد لفيفاً من الحرس الامبراطورى، فقال لصاحبه: لقد وقعت: لابد أن أحداً رآنى دون أن أعلم وأبلغ البوليس، وارتعشت مفاصله في رعدة، ففتح القيصر الباب، ودخل رئيس الحرس وقد كان من قبل قائد الكتيبة التى هرب منها العامل المسكين فلما رآه: قال للقيصر، هذا جندى خائن وقد حكم عليه بالاعدام يا مولاى!

فقال القيصر: لقد عفوت عنه، فاحنى القائد رأسه وقال في خضوع: أمر جلالتكم! ودهش العامل، وحار فيما يشاهد، ثم أكبَّ على قدم القيصر وهو يقول أشكرك يا مولاى، فابتسم القيصر، وقال: أنت الآن البارون ستانمتز الرئيس العام لمصانع السفن البحرية، وخطيبتك هى البارونة كاترين، وأمك أم البارون ستانمتز، فخذ هذه الأموال لتهيء أسرتك، وتنتقل غدا الى القصر الخاص بك في موسكو، وقد اعددته قبل أن تجيء إليه في الغد.

لم يدر ستانمتز أهو في حلم أم في يقظة، ودخل الى أمه يتحدث حديث الذاهل المستغرب!.

٤٠٧ ـ امبراطور ألمانيا:

كان جوزيف الثاني امبراطور ألمانيا يستقل في بعض أيام عام ١٧٧٠ عربة مقفلة ذات مقعدين، وكان يقودها بنفسه في ملابسه التنكرية بعيداً عن الزى الرسمى، فتدفق المطر على غير انتظار، ولكن الامبراطور لم يعبأ به، فاعترضه في طريقه جندى من رتبة الملازم الثانى وأوقفه، ثم طلب منه أن يسمح بركوبه في المقعد الثاني جوار الامبراطور دون أن يعلم من هو؟ وأذن جوزيف الثانى للشاب أن يركب معه ثم بدا له أن يسأله، من أنت؟ فأجاب أنا ضابط في جيش جلالة الامبراطور؟ فقال له، ومن أين أقبلت؟ فأجاب الضابط دون تحفظ، كنت أتناول الغداء مع صديق لى يشتغل حارس صيد في حقول جلالة الامبراطور، فقال جوزيف؟ وماذا أكلتما؟ فرد الضابط: أكلنا ديكا سمينا من مزارع الامبراطور، أخذه الحارس من مزارعه؛ فسكت الأمبراطور قليلا ثم سأل: ألا توجد ديوك سمينة في غير مزارع الامبراطور؟ فقال الضابط، قد يتكلف الحارس ثمنها، أما حقول الامبراطور فتحت يده، يأخذ سرا ولا يحاسبه أحد.

استمرت العربة في السير، وزاد تدفق المطر، فسأل الامبراطور عن منزل جليسه في أى مكان؟ فقال له: سأنزل قريبا كيلا أتعبك يا سيدى؟ فأصرّ الامبراطور على أن يمضى به إلى منزله مهما ازدادت شدة المطر، وسارت العربة حتى بلغت منزل الضابط، وحين هم بالنزول سأله جليسه في غير كلفه؟ من أنت حتى أبدأ صداقتى معك؟ فقال الامبراطور: أنا من رجال الجيش؟ فردّ الضابط ملازم أول مثلى؟ فقال أرفع من هذا! فنظر الضابط مليا ثم قال: أميرلاى؟ فقال الامبراطور: أرفع من هذا؟ فاستغرب الضابط وسأل: اذن تكون (مارشال) وهو يظن أنه ارتفع به إلى أقصى رتبة في الجيش فقال الامبراطور، أرفع من هذا، فدقق الضابط في ملامح صاحبه ثم صرخ مرتمياً على الأرض: جلالة الامبراطور!! فابتسم جوزيف الثانى وقال في ملاطفة؛ وسائق عربتك اليوم! فأفحم الضابط، ولم يستطع المسير، فقال له الامبراطور: لا تخش شيئا على صديقك الحارس، حين سرق الديك من حقولى! فقد سامحته ولن أسأل عن اسمه، ثم صافحه باسما، وقال في ابتسام: وداعاً يا بنى.

وكان ذلك موقفا لا ينساه الضابط الملازم!

٤٠٨ ـ وفي مصر:

هذه حادثة واقعية، جرت في مصر في الربع

الأول من هذا القرن، وعلم بها أحد المؤلفين فكتبها لتصبح قصة سينمائية، وهي حقيقة ماثلة، وقد كان بطلها في القصة السينمائية محمد عبد الوهاب.

كان أحد الباشوات الكبار، يأخذ على ولده الوحيد، عدم خبرته بالحياة، واكتفاءه بالدروس التي تلقاها بالمدارس، ويخاف عليه أن يرث أرضه ثم لا يستطيع استثمارها! فصمم أن يوظفه في بنك مالي ليتصل بالناس، ويعرف كيف تتعارض الرغبات، وتضيق المآزق، ثم تنتهي بالحلّ فيستفيد من التجارب، ويقابل العيش مجربا.

وكان ما أراد الوالد، والتحق موظفا بالبنك الذى اختاره أبوه، وطلب الباشا من مدير البنك أن يعامل ولده معاملة أى موظف ناشيء دون محاباه، وأن يؤاخذه إذا قصَّر، دون أن يغتفر شيئا من أخطائه، وكان من المصادفة أن تأتى إلى البنك كريمة ثرى كبير من أصدقاء والده، وأن يكون تعاملها من الشباك الذى يديره الشاب فأعجبت به، بعد تكرار التعامل، وتوالى الزيارات، وصممت على أن يكون زوجها المنتظر وما كادت تفاتح والدها حتى زمجر وغضب، وأنكر أن يتزوَّج كريمته موظف صغير لا يملك غير راتبه الضئيل، وليس من أسرة ذات محتد، وصممت الفتاة وصمم أبوها على الرفض، وكان الشاب يبادلها الحب كأعنف ما يكون التبادل، دون أن يفصح لها عن مركزه العائلى ومنزلة أبيه، غير أنه بعد ثلاث سنوات من عمله قد كسب من المهارة ما جعل والده ينهى وظيفته، ويسأله عن فتاة أعجب بها ذات أصل كريم ليختارها زوجة له، فرجاه أن يوافق عل اقترانه بحبيبته، ورحب الوالد لأنه صديق أبيها، ويعرف مكانته، ثم سارع الى خطبتها فرحب والدها، وأصرت الفتاة على الرفض، لأنها وهبت قلبها لإنسان آخر وستظل وافية له، وحار الوالد ماذا يصنع؟ ثم بدا له أن يرجوها كي توافق على رؤية الخاطب الجديد فقط، ولها أن ترفضه إذا لم يحز قبولها عن اقتناع، فوافقت، وقد صممت على الرفض مهما بلغت مكانة الخاطب وثروته ومنزلة أبيه، ثم حانت الساعة المنتظرة، فتقدمت عابسة ساخطة لتقضى دقائق كريهة وتنصرف! ولكنها فوجئت، حين وجدت الخاطب حبيبها، وأباها يرحبّ به وبوالده، فاندفعت تصافحه ودموع الفرح تتساقط من عينها وعينه! أليست هذه مفاجأة أيضا؟ ومفاجأة مذهلة!.

٤٠٩ ـ عجائب :

يقول الشاعر العربي

على أنها الأيام قد صرن كلها

عجائب حتى ليس فيها عجائب

الإسلام.. والثمار الفكرية !!

يطلق بعض العلماء الأوربيين على الثمار الفكرية الإسلامية إسم: «التراث العربى» ونحن نخالفهم في هذا الإطلاق.. لأننا نرى أن هذه الثمار العقلية.. هى وليدة الإسلام.. وليست وليدة الفكر العربي المحض.. وآية ذلك أننا إذا ألقينا نظرتين متمعنتين.. إحداهما على الأمة العربية قبل الإسلام.. والأخرى عليها بعد ظهور الإسلام.. ألفيناها في الحالة الأولى مجدبة قاحلة.. وفي الثانية مخصبة مزهرة.

فلو أن هذه الأفكار كانت عربية.. ولم تكن إسلامية.. لعثرنا على عناصرها الأولى في البيئات العربية قبل إشعاع القرآن عليها!!

أما ما يذكره أنصار الفكرة المعارضة.. من أنه كان للعرب قبل الاسلام تأملات في أسرار الكون.. وآراء حول نشأته ومصيره.. كتلك التأملات التى أثرت في شعراء العصر الجاهلي.. أو كتلك الدهرية التى نبأنا القرآن الكريم بأن بعض العرب كانوا يدينون بها.. إذ عارضوا فكرتى الخلق والبعث بقولهم: {ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر}.. أو {ءإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءإنا لمبعوثون}.. أو {من يحيى العظام وهى رميم}.

فإننا ندفع القسم الأول منها بأنه ليس عربيا.. وإنما هو مزيج من الافكار الدخيلة التى حملها المسيحيون إلى بلاد العرب.. متأثرين فيها بالطوابع الفلسفية المختلفة التى طبعت بها المسيحية في روما وبلاد فارس وغيرهما!!

وأما القسم الثانى من هذه التأملات.. فنحن نقرر أنه لا يزيد على كونه أفكارا عامية حسية.. اقتطعتها العقلية العربية الساذجة من مشاهدتها الأجسام الإنسانية تتفكك.. كأجسام بقية الحيوانات.. ثم تتحول إلى تراب يختلط بالرمال ويتلاشى فيها!.

ولما كانت لا تتعقل سمو الإنسان على بقية الكائنات الأخرى ولا تخصه دونها بنفس علوية خالدة. لا تخضع لحظ البدن.. فقد استنبطت أن مصيره كمصيرها سواء بسواء.. وليس هذا تأملا في أسرار الكون.. وإنما هو عجز عن التأمل.. ووقوف عند المرتبة السلبية الساذجة.. التى لا ترسل شيئاً من أشعة العقل إلى ما وراء المشاهدة المحسوسة!!

كان العرب في جاهليتهم أمة بدوية رحالة.. تنتجع مساكب الغيث.. وتستوطن منابت الكلأ.. فشغلتهم هذه المشقة العنيفة.. في سبيل تحصيل لقمة العيش.. وجلب القوت.. عن التأمل في أسرار الكون.. والطموح إلى معرفة نشأته ومصيره.

أما أخلاقهم وطباعهم.. في ذلك العصر الجاهلى.. فقد كانت مزيجاً من حسن السجايا وقبيحها.. فكما كان من طباعهم:

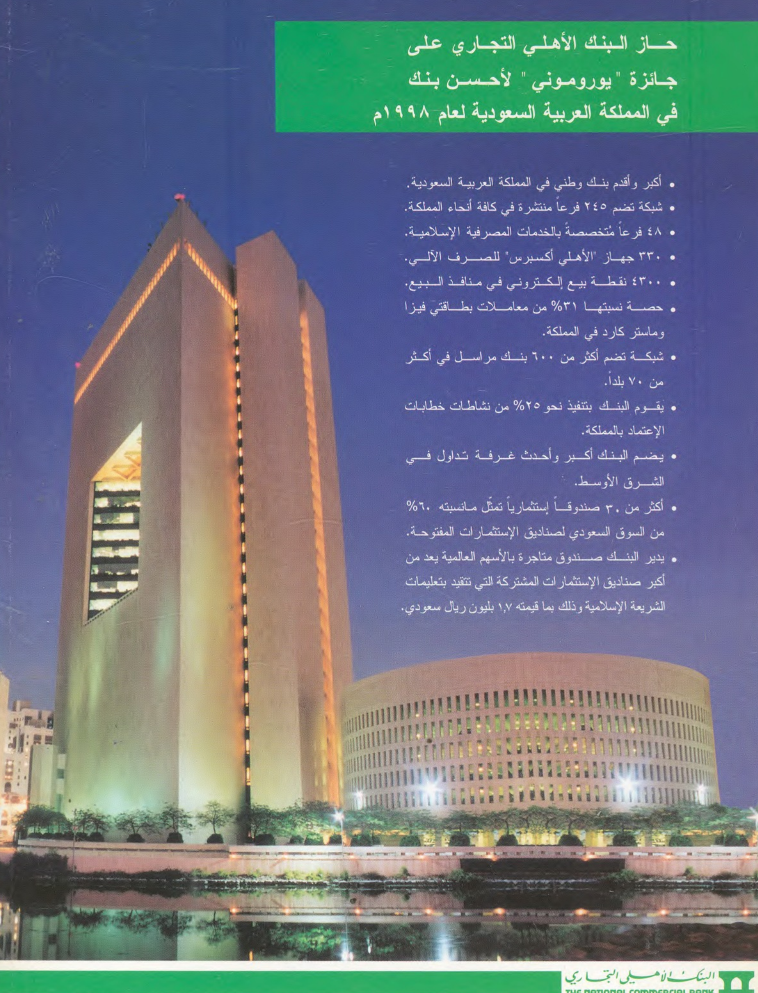
بقلم : عبدالكريم عبدالله نيازي - مكة المكرمة -

السخاء.. وإيواء الضيف.. والشهامة.. والإباء.. والشجاعة.. وقوة الشكيمة.. والصبر على المكاره.. كان مما اشتهروا به أيضاً: الغلظة.. والقسوة.. وسرعة الغضب.. والعنجهية المغالية.. وإتلاف ما تصل إليه أيديهم من مال.. دون التفكير في نتيجة تصرفاتهم.. ووأد البنات خوفاً من الفقر والعار.. وأما تشريعاتهم فكان يكتنفها نوع من الهمجية لا يعرف لها نظير إلا لدى الأمم المتوحشة.. وأما ديانتهم فكانت وثنية جافة.. لا روح فيها ولا حياة، تسير فيها العبادة على نسق لا يسيغه العقل.. ولا يؤيده المنطق.. أو الذوق السليم.

وبالإجمال كانت حياتهم الإجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية مضطربة اضطراباً يؤذن بالخراب والدمار.. يشتعل أوار الحرب بين قبيلتين.. ويستمر أعواماً طوالا تزهق في أثنائها مئات الأرواح.. وتيتم مئات الأطفال.. وتؤيِّم مئات النساء.. وكل ذلك من أجل سباق حصانين.. أو من جراء كلمة نابية.. تنبس بها شفتا شاب متسرع.. أو ما شاكل ذلك.

فلما شاءت الأقدار أن تنقذ هذا الشعب من تلك الوهدة السحيقة التى هوى فيها.. تفضلت عليه بالإسلام.. ذلك الدين الذى صدع به من هذه الأمة رجل هو من أنبل أسرها.. وأعرقها مجداً.. فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم خير ثمرة.. لخير شجرة.. نبتت في شبه جزيرة العرب.. ثم أيده الله سبحانه وتعالى بذلك الكتاب الكريم.. الذى يقول في وصفه أحد المستشرقين المنصفين: «كفى هذا الكتاب مجداً وجلالا.. أن الأربعة عشر قرناً التى مرت عليه.. لم تستطع أن تجفف أسلوبه.. بل لا يزال غضاً.. كأن عهده بالحياة أمس».. والذى تحدى أعداءه على طول الخط.. أن يجاروا أقصر سورة منه في ميدان الفصاحة والبلاغة.. اللتين كانتا كل ما امتاز به العرب من موهبة.. فأعلنوا عجزهم.. وسلموا الراية لصاحب هذا الدين الجديد.. وأخذوا يأتمرون بأمره.. وينتهون بنهيه.. وهو في كلتا الحالتين يعلن أنه لا ينطق عن الهوى.. ولا يصدر إلا عن وحى أو إلهام.. من أحكم الحاكمين.. وأعلم العالمين بالخير والمصلحة.. فكان من الطبيعي أن تقودهم هذه التعاليم الراقية إلى النظام العمرانى.. والرفعة الإجتماعية.. والكمال الأخلاقى.

وهذا هو الذى كان بالفعل.. فلم يكد الإسلام يبسط جناحيه على جزيرة العرب.. حتى رأب صدعها.. ولمَّ شعثها.. وجمع كلمتها.. ووحد صفوفها.. وأخذ يضرب بيد من حديد على كل أسباب الفشل والشقاق.. من عادات العرب وتقاليدهم الهمجية الأولى.. ونشر فيهم روح العدالة والشورى والسلام.. وأعلن فيهم أن الإسلام قد سوى بين رفيعهم وضعيفهم.. لأن بنى الإنسان جميعاً سواسية كأسنان المشط.. لا فضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى والاستقامة [إن أكرمكم عند الله أتقاكم].. وحرم عليهم التمسك بتلك العصبية البربرية.. فلما تغلغلت في نفوسهم هذه التعاليم.. خلقتهم خلقاً جديداً.. وكونت منهم خير أمة صالحة.. لا للحياة فحسب.. بل لبسط سلطانها.. ونشر دينها في المعمورة بأسرها.. وقد نشرته فعلا في قارتي آسيا وأفريقيا.. وجزء عظيم من قارة أوربا.


حاز البنك الأهلي التجاري على
جائزة "يوروموني" لأحسن بنك
في المملكة العربية السعودية لعام ١٩٩٨م
• أكبر وأقدم بنك وطني في المملكة العربية السعودية.
• شبكة تضم ٢٤٥ فرعاً منتشرة في كافة أنحاء المملكة.
• ٤٨ فرعاً مُتخصصةً بالخدمات المصرفية الإسلامية.
• ٣٣٠ جهاز "الأهلي أكسبرس" للصرف الآلي.
• ٤٣٠٠ نقطة بيع إلكتروني في منافذ البيع.
• حصة نسبتها ٣١% من معاملات بطاقتي فيزا وماستر كارد في المملكة.
• شبكة تضم أكثر من ٦٠٠ بنك مراسل في أكثر من ٧٠ بلداً.
• يقوم البنك بتنفيذ نحو ٢٥% من نشاطات خطابات الإعتماد بالمملكة.
• يضم البنك أكبر وأحدث غرفة تداول في الشرق الأوسط.
• أكثر من ٣٠ صندوقاً إستثمارياً تمثّل مانسبته ٦٠% من السوق السعودي لصناديق الإستثمارات المفتوحة.
• يدير البنك صندوق متاجرة بالأسهم العالمية يعد من أكبر صناديق الإستثمارات المشتركة التي تتقيد بتعليمات الشريعة الإسلامية وذلك بما قيمته ١,٧ بليون ريال سعودي.
البنك الأهلي التجاري
THE NATIONAL COMMERCIAL BANK